المأدُبة النبوية

في آداب الحياة اليومية



المأدُبة النبوية

في آداب الحياة اليومية

الطبعة الأولى

تحرير

يوكسل جلبنار

تصحيح

سليمان أحمد شيخ سليمان

تصميم و غلاف

ياووز يلماز - أحمد علي شحاتة

الترقيم الدولي

ISBN: 978-977-6183-74-2

رقم الإيداع

2015/5065

رقم النشر

1027

دار النيل للطباعة والنشر

الإدارة: 22 ج- جنوب الأكاديمية- التسعين الشمالي - التجمع الخامس- القاهرة الجديدة - مصر

Tel & Fax: 002 02 25379391

Mobile: 002 01023201001

E-mail: info@daralnile.com

www.daralnile.com

القاهرة - 2015م

المأدُبة النبوية
في آداب الحياة اليومية

تأليف

مصطفى كوندوغدو

ترجمة

أسماء مكاوي السنباطي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة الذاتيّة للمؤلف

وُلِـدَ الأسـتاذ "مصطفى كوندوغدو" عـام (١٩٦٨م) بمقاطعة "برنوفا" التابعـة لولايـة "إزمير" غـرب تركيا، وتخرّجَ في ثانويـة "الأئمة والخطباء" بولايـة "إزمير" والتحـق بكلّيّـة الإلهيـات بجامعـة "التاسـع مـن أيلـول (*Eylül 9*)" عـام (١٩٨٦م)، وبعـد أن تخرّجَ فيها انشـغل بالعلوم والتجارة فترةً، وفي عام (١٩٩٨م) أنهى مرحلةَ الماجستير في مجال علوم الحديث بكليـة الإلهيـات بجامعـة "صَقَارْيَا"، وهو الآن يسـتمر في تحضير رسـالة الدكتوراه التي بدأها منذ عام (٢٠١٢م)، ويعمل حاليًا ومنذ عام (٢٠٠٠م) محـررًا في دار "إِشِـقْ (*Işık*)" للطباعة والنشـر والتوزيـع، وله من الأولاد بنتان وولدٌ واحدٌ.

فهرس

مقدمة

خلق الله ﷻ الإنســان ليكون خليفته في الأرض، كما أنه ﷻ لم يتركه وشــأنه، بل أرسل للبشر قرآنًا كريمًا ينظّم حياتهم الشخصيّة والاجتماعية، وبعــث فيهم نبيًّا مرشــدًا يُعلّمهم الكتاب والحكمــة ويُبيّن لهم، فمن يتدبّر القرآن الكريم حقّ تدبّره؛ يُحسِن تأويله وتجسيدَ معانيه، حتى إن أمّنا السيدة عائشــة رضي الله عنها حينما سُئِلَت عن خُلُق النبيّ ﷺ قالت: "كان خُلُقه القرآن"[1]، ومــن ثمّ كان المصطفى ﷺ خير مرشــد لنــا يعلّمنا القرآن الكريم، ويتّضح مــن قوله تعالــى ﴿**وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُــمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْـلَامَ دِينًا**﴾[2]، أن الإســلام قد ارتضاه الله دينًا عامًّا للبشــريّة جمعاء، وأن سيدنا محمد ﷺ قد أُرسل لتبليـغ هذا الدين، وبفضل هذا المرشد والمبلّـغ العظيم؛ سيغدو الناس عبادًا طائعين لربّهم، ويبتغون مرضاته، ولكي يتحقّق ذلك أمر الله ﷻ الناس في آياتٍ كثيرةٍ من القرآن الكريم بأن يطيعوا الرسول ويتبعوه، فقال تعالــى في محكم آياته ﴿**قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُــمْ ذُنُوبَكُــمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيــمٌ**﴾[3]، ومنها نتعلّم أن ثمرة اتّباع الرســول ﷺ هــي نيل حــبّ الله أي إذا كنا نبغي الإيمان الحقيقــيّ ونبتغي إلى جانبه رضوان الله؛ فيجبُ علينا أن نتّبـع ســنة نبيّنا ﷺ ونحيا على نهجه، ومن ثمّ يجب علينا معرفة حياته ﷺ وســنّته جيّدًا، وقد قام علماء الإســلام من لدن

(١) **مسند الإمام أحمد**، ١٤٨/٤١؛ البخاري: **الأدب المفرد**، ١١٥/١.

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٣/٥.

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٣١/٣.

العهد الأوّل بتصنيف سنّته ﷺ من حيث وجوب اتّباعها، وألّفوا كتبًا كثيرةً في هذا الشأن، وقد تناولت كتب أصول الفقه حياة الرسول ﷺ من منظور كونـه نبيًّا وأبًـا وقائدًا، كما تضمّنـت أوامره ونواهيه وإرشـاداته ونصائحه وإجاباتـه على الأسئلة والاستفسـارات وتوجيهاته للناس فـي أمورٍ عدّة، ولقـد بيّـن علماء الفقـه في هذه الكتب أنـه يجب علينا اتّباعـه ﷺ في كلّ سـلوكٍ ذي طابعٍ ديني، أما السـلوكيّات التي كان النبيّ ﷺ يقوم بها ولسنا مجبَريـن على فعلها فهي تختلف باختـلاف الاحتياجات المادّيّة والفطريّة للشخص، لكن يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها.

بيد أن "سـعيد النورسـيّ" له نظرةٌ مختلفةٌ تمامًا لهذا النوع من السـنن التـي تنـدرج تحـت الآداب، حيـث نظر بديـع الزمان لهـذه الآداب نظرةً إيجابيّةً، أي إنه لم ينظر إليها من باب "لا يُعاقَب تاركها"، بل نظر إليها من باب "يُثابُ ويُؤجر فاعلها" فقد أرادَ تحقيق الأجر والثواب من خلال إحياء السـنّة التي يتكاسـل كثيرٌ من الناس عن أدائها، وقد قال في هذا الشـأن إن مصادر السنّة ثلاثة:

١- أقوال النبيّ ﷺ

٢- أفعاله ﷺ

٣- أحواله ﷺ

وهذه المصادر الثلاثة للحديث الشريف تنقسم أيضًا إلى ثلاثة أقسام:

الفروض، والنوافل، والعادات.

١- الفروض: ونحن مجبرون على اتّباعها، ومن يتركها يُعاقب.

٢- النوافل: وهي على ضربين:

أحدهما: السنة النبويّة الخاصّة بالعبادات، ويُعتبَر تغييرُها بدعة، ويُثابُ فاعلها ولا يُعاقب ولا يأثَم تاركها.

أما الثاني: وهو الآداب ولا يقال أن مخالفَتها بدعةٌ؛ ولكن تكون مخالفة لآداب رسول الله، وعدم انتفاع من نورها وحكمتها، وهذا الجزء يعني: اتّباع النبيّ ﷺ في سلوكيّاته التي تندرج تحت العرف والعادة والتي توجبها الفطرة مثل الطعام والشراب مثلًا، وهناك سننٌ كثيرةٌ تخصّ آداب الحديث والكلام، وسننٌ أخرى تخصّ آداب المعاشرة، وهذه الأنواع من السنن تسمى آدابًا، ومن يتّبع هذه الآداب سينتقل من العادة إلى العبادة والانتفاع المعنوي، لأنّ اتّباع آداب النبي ﷺ الخاصّة، يُذكّرنا بالنبيّ ﷺ، ويُدخل النور إلى القلوب.

٣- أما العادات والسلوكيّات: فالأفضل فيها أن يتبعها الفرد أو المجتمع من أجل حكمتها ومنفعتها، وذلك لأن اتّباع هذه العادات والآداب يدخل في حكم العبادات لأن كلّ عادةٍ أو سلوكٍ منها يحوي منفعةً وفائدةً خاصّة، علاوةً على ذلك كلّه فالأهمّ هو "النيّة الخالصة في الأعمال" ومن ثم يمكننا القول بأن "اتّباع السنة الشريفة بنيّةٍ خالصةٍ يُحوِّل العادات إلى عبادات"، وتستوقفنا هنا ثلاث نقاط، إذا ما فهمناها وطبّقناها في حياتنا اليومية فإنّنا سننال ثوابًا جزيلًا على عملٍ قليلٍ، وهذه النقاط هي كالتالي:

أ. العبادة:

وهي اللجوء إلى الله والاستسلام إليه عن رغبةٍ، والخضوع إليه وإطاعته والانقياد له ﷻ، فالعبادات تقوّي العلاقة بين العبد وربّه، ولها أقسامٌ كثيرةٌ تناولتها كتب الفقه منها الطهارة، الوضوء، الغُسل، التيمّم، الصوم، الزكاة، النذر، الأضحية.

ب. الآداب:

وهـي جمـع كلمـة "أدب" بمعنـى الخلُق الحسَـن، التربية السـليمة، الكياسة وحسن المعاملة؛ فالأمور الخاصّة بالأخلاق تسمّى أصولَ وآداب التربية والمعاملة الحسـنة، وكل ما نقوم به في حياتنا اليوميّه عدا العبادات يسمّى "آدابًا" أو "عاداتٍ".

ولقد قسّم الإمام "الشاطبيّ" العادات إلى قسمين:

١- عـاداتٌ لا تتغيّـر بتغيّـر الزمـان والمـكان والحـال؛ وهـي الميل إلـى الرغبـات الطبيعيّـة مثـل الطعام والشـراب والفـرح والحـزن والنوم والاسـتيقاظ والبعـد عن ما لا يتـلاءم مع الفطرة وقبـول كلّ ما هو طاهر طيّب، وغيرها من الأشياء التي تندرج تحت هذا القسم.

٢- عـاداتٌ تتغيّـر بتغيّر الزمـان والمكان والحال؛ وهـي طراز اللّبس وشـكله ونمط المسـكن والمأوى والتعامل بالرفق في حالة الشدّة والشدّة عند الرفق والتردّد والتسرّع في التعامل مع الآخرين وغيرها.

ج. النيّة:

وهـي أن نقـوم بالعمـل بإخـلاصٍ ابتغـاء وجـه الله تعالى، ففـي ديننا الحنيـف يُقـدّر عملنا طبقًا لنيّاتنا، وفي هذا يروي عمر ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: ''**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَـى دُنْيَـا يُصِيبُهَـا، أَوْ إِلَى امْـرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُـهُ إِلَى مَا هَاجَـرَ إِلَيْهِ**''(٤)، أمّـا إذا كان العمـل ممّـا أمرنا الله به فـإن الفاعل يُثاب علـى فعله؛ لاتّباعه الأمـر الإلهـيّ، فقد قـال تعالى -على سـبيل المثال- فيمـا يتعلّق بالصلاة

(٤) صحيح البخاري، الإيمان، ٤١؛ صحيح مسلم، الإمارة، ١٥٥.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[٥]، فمن يتّبعْ الأمر ويُقمْ الصلاة يُثبْ، ومن يعصِه يُعاقب، كذلك الصوم والحجّ والزكاة وأبسط الفروض وأوامر البرّ، كما أن هناك ما هو مُحرّمٌ ومنهيٌّ عنه، فمثلًا من يتجنّب شرب الخمر وقتل النفس وغيرها يُثاب ومن يفعلها يأثم، وما سوى ذلك فهو يندرج تحت الآداب، وهي تسمّى عادةً "الأمور المباحة" أي الأمور التي لا يُثاب فاعلها ولا يأثم تاركها، مثل الطعام والشراب والنوم، ولكي يُثاب فاعلها أو يُعاقب تاركها لا بدّ من معرفة نيّته عند القيام بها، فمن شرب كوبَ ماءٍ بنيّة أنه خمرٌ فهو آثمٌ، وإذا شرب المؤمن دون أن يتّبع السنة في الشراب لا يُثاب ولا يُعاقب، أما إذا شرب بنية اتّباع السنة فأمسك القدح بيمينه وسمّى ثم شرب ثلاثًا فله الثواب، كذلك من ينام على شقّه الأيمن ثم يقرأ الدعاء وينفث في يديه ويمسح بهما ما أقبل من جسده ثم يضع يده اليمنى أسفل وجنته اليمنى يُثاب، وتكون النتيجة أن هذه الأعمال التي اعتاد القيام بها يوميًّا تتحوّل إلى عبادة، وذلك يُشبه "صناعةَ الذهب من الحديد" فيجب أن نفعل ذلك لكي نربح ثواب العبادة من عملٍ يبدو لنا بسيطًا وسهلًا للغاية.

وفي النهاية فإن الجميع يتمنّى الفوز بالجنّة، ويستعدّ لذلك بأداء الصلوات الخمس يوميًّا، فهي تشغل ساعةً واحدةً فقط من اليوم بأكمله.

أي إننا نريد دخول الجنة والفوز بها عن طريق ساعةِ عبادةٍ واحدةٍ فقط من أصلِ أربعٍ وعشرين ساعة، لكنّنا إذا طبّقنا المنهج السابق سنتمكّن من تحويل الثلاث وعشرين ساعة الباقية أيضًا إلى عبادة، وبهذا نكون قد قضينا الأربع وعشرين ساعة في العبادة، ومن ثمّ علينا أن نسعى لمعرفة

(٥) سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٠٣/٤.

نهجه ﷺ وكلّ سلوكٍ قام به في شتى مناحي حياته، وهكذا نحيا وكأنّنا قد أفنينا عمرنا كلّه في العبادة.

ولقد أردنا في هذا الكتاب أن نبيّن للقارئ سلوكيّات النبيّ ﷺ في حياته إضافةً إلى وصاياه ونواهيه، وسنتطرّق بإيجازٍ إلى تلك العلوم والفروع الإسلامية التي تناولت جوانب حياةِ وسيرةِ النبيّ ﷺ بشكلٍ خاص.

علم الحديث:

هو العلم الذي يتناول أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وسلوكيّاته.

السِّيَر:

جمع "سيرة" وهي تعني سيرة الرسول ﷺ، وهو العلم الذي يتناول حياة الرسول ﷺ منذ ولادته وحتّى وفاته.

المغازي:

وهو العلم الذي يتناول غزوات الرسول ﷺ، ويشمل الأحاديث التي تتحدّث عن هذه الغزوات، وهو في الأصل جزءٌ من السِّيَر، بيد أنه يتناول غزوات النبيّ ﷺ فقط.

الشمائل:

هو العلم الذي يتناول أخلاق النبيّ ﷺ وخصاله التي تُشكّل شخصيّته وتكوّنها، ويتناول بُنْيَتَهُ الجسديّة وأسلوب حياته ولباسه الخاص.

الدلائل:

بينما تتناول الشمائل النواحي البشريّة للرسول ﷺ؛ فإن الدلائل هي العلم الذي يدلّ على صدق نبوّته ﷺ ويُبيّن حقيقة معجزاته.

ولقـد تناول هذا الكتاب أجزاءً محدّدةً من شـمائل الرسـول ﷺ، ولم يناقـش شـمائله كلّهـا في هـذا الكتاب لعدم الإطالة، ونحسـب أنه سـيتمّ تناول باقي المواضيع في كتبنا الأخرى، ولقد تمّ إعداد هذا العمل بهدف دراسـة النواحي البشـريّة للرسـول ﷺ وتطبيقهـا على كلّ جـزءٍ في حياتنا اليوميّـة، فـإذا قمنا بدراسـة سـيرة نبيّنا وقدوتنا الحسـنة ﷺ دراسـةً جيّدةً، وتعلّمنـا أحواله وسـلوكيّاته، عند ذلك سيسـهل اتّباعهـا وتطبيقها بصورةٍ أفضـل وأكبـر، وعندئذٍ قد نربح ثوابًا من أفعال لا يُثـاب فاعلها عادةً مثل الطعام والشراب والنوم والجلوس والتهادي.

ونريد أن نوضّح هنا مسألةً تتعلّق بمجمل الكتاب، وهو أننا قد تناولنا فـي هـذه الدراسـة النواحي البشـريّة للرسـول، وأوردنا بعـض التعليقات كلّمـا لزم الأمر، فهناك تفسـيرٌ وإيضاحٌ مختصـرٌ لبعض الأمور التي يجب توضيحهـا، أو التـي قـد تُفهم بشـكلٍ خاطئ، وممـا يجدر التنبيـه إليه أننا انتهجنـا في هذا الكتـاب منهج "الكاندهلوي" في كتابـه "حياة الصحابة"، وذلك نظرًا لوضوح المشاهد والأحداث المدروسة هنا من سيرة النبيّ ﷺ العطرة، فهي لا تسـتدعي الإيضاح والشرح إلا في مواطن قليلة، وقد قمنا بهذا الشرح والإيضاح في مكانه المناسب خدمةً لك أيّها القارئ الكريم.

وأرجـو من القـارئ الكريم المعـذرةَ لما قد يبدو في هـذا العمل من نقصٍ أو تقصيرٍ، وأتوقّـع نقدًا بنّاءً، كما أنني أعلم بأني مدينٌ بالشكر لكلّ أصدقائـي الذيـن كانـت لهم يدٌ في إعـداد هذا العمل ونشـره، وأتمنّى أن يكون وسيلةً لنيل شفاعة المصطفى ﷺ.

مصطفى كُونْدُوغْدُو

١٩ نوفمبر ٢٠١٠م

جامليجا/ إسطنبول



القسم الأوّل

آداب رسول الله ﷺ في اللّباس



اللِّباس في حياة رسول الله ﷺ

إن حُسْنَ الهندام واللباس والظهورَ بين الناس بأبهى صورةٍ وأجمل هيئةٍ؛ هو واحدٌ من أهمّ ما يحتاج إليه الإنسان بعد المأكل والمشرب، وحاول البشر من عهد سيدنا آدم عليه السلام وحتى يومنا هذا التكيُّفَ مع هذه الاحتياجات بطُرق متنوّعةٍ تبعًا لأقاليمهم وأماكنهم التي يقطنونها، ووفقًا لعقائدهم التي يعتنقونها -من إسلامٍ وغيره- وتبعًا للأعراف والعادات التي يعيشونها، وفي عهد المصطفى ﷺ اهتمّ النبيّ ﷺ بلباس أصحابه رضي الله عنهم، ذلك أن أُسلوب حياة المسلمين كان يختلف تمامًا عن حياة المشركين، فأرشدهم ونصحهم فيما يتعلّق بالملبَس سواءً كان من ناحيةِ جنسِه أو لونِه أو طولِه وقِصره، فلنحاول الآن أن نلقي نظرةً على منهجِهِ ﷺ في الملبَس ونطّلع على إرشاداته حول ذلك.



أ. الأمور التي أمر ﷺ باتباعها في الملبس

١- الانتباه إلى ستر العورة أثناء العمل

لا بدّ من الانتباه إلى ستر العورة تمامًا أثناء العمل، ويستوقفنا هنا حديثٌ خاصٌّ بهذا الأمر رواه المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه قال: أَقْبَلْتُ بِحَجَرٍ أَحْمِلُهُ ثَقِيلٍ وَعَلَيَّ إِزَارٌ خَفِيفٌ قَالَ فَانْحَلَّ إِزَارِي وَمَعِيَ الْحَجَرُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَضَعَهُ حَتَّى بَلَغْتُ بِهِ إِلَى مَوْضِعِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"ارْجِعْ إِلَى ثَوْبِكَ فَخُذْهُ وَلَا تَمْشُوا عُرَاةً"**[٦].

٢- ارتداء لباسٍ متواضعٍ

كان ﷺ يأمر أصحابه بأن يرتدوا لباسًا متواضعًا قدر ما استطاعوا فقال ﷺ في روايةٍ عن مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ رضي الله عنه: **"مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلّٰهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا"**[٧] أي من ترك اللباس الفاخر والمُهَنْدَمَ أمام الناس -وهو قادرٌ على ارتدائِه- تواضعًا منه لله كافأه الله وجزاهُ خير الجزاء، أي إن ذلك هو الجزاء الأكبر للعبد المؤمن المتواضع.

٣- النهي عن الإسراف في اللباس الفاخر والمُهَنْدَمِ

وقد نهى ﷺ عن لبس الثياب باهظةِ الثمن التي تُثير غَيرة الناس وتؤدّي إلى التبذير والتفاخر، قال الحقّ سبحانه وتعالى ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[٨]، أي إن كلّ النعم والطيّباب قد أوجدها الله تعالى لينتفعَ ويتمتّع بها عبادُه -مع شكره عليها- دون إفراطٍ

---

(٦) صحيح مسلم، الحيض، ٧٨.

(٧) سنن الترمذي، صفة القيامة، ٢٩؛ مسند الإمام أحمد، ٣/٣٣٨-٣٣٩.

(٨) سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٧/٣٢.

أو تفريطٍ كما قال ﷺ: "**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ**"[٩].

٤- التَّيَمُّنُ عند ارتداء الثياب

أمر النبيّ ﷺ بالتيمُّن في كلِّ شيءٍ وفي هذا قول أمّنا عائشة رضي الله عنها: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ"[١٠]، ونتعلّم من الحديث التالي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه عند ارتداء الثياب يجب البدء بالجانب الأيمن حيث يقول ﷺ: "**إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ لِيَكُنْ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ**"[١١]، والحديث يوضّح الترتيب الذي يجب البدء به عند انتعال الحذاء وعند انتزاعه، ومن هنا اكتسب المؤمنون عادةَ البدء باليمين وتفضيل أعضاء الجانب الأيمن، لأنه إذا ما تيمّن المرءُ في تنعُّله الحذاء ثم جعل حذاءه الأيمن آخِر ما ينتزعه من قدمه ظلّ الحذاء في يمناه مدّة أطول، واتّباع هذا الترتيب يُظهر مدى الاهتمام بالأعضاء اليمنى، ومن ذلك قول النبيّ ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: "**إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَؤُوا بِأَيَامِنِكُمْ**"[١٢]، وهذا الحديث يوضّح أهمية البدء باليمين في اللباس وغيره، ولقد أوصى النبيّ ﷺ بالنسبة لارتداء الملابس العلويّة مثل الفانلّة، القميص، السترة، المعطف وغيرها أن يُبتَدَأ لبسُها من الذراع اليمنى أوّلًا، وبالنسبة لارتداء البنطلون والسروال والبدلة والبيجامة وغيرها أن يُبتدَأ كذلك بالقدم اليمنى.

---

(٩) **صحيح البخاري**، اللباس، ١.

(١٠) **صحيح البخاري**، الوضوء، ٣١؛ **سنن أبي داود**، اللباس، ٤٢؛ الترمذي: **الشمائل المحمدية**، ٨٦-٨٧.

(١١) **صحيح البخاري**، اللباس، ٣٩؛ **صحيح مسلم**، اللباس، ٦٧.

(١٢) **سنن أبي داود**، اللباس، ٤١؛ **سنن الترمذي**، اللباس، ٣٧.

٥- أمرهُ لأصحابهِ بارتداء الثياب الحسنة

أمـر النبيّ ﷺ أصحابه بتحسـين الملبَس من الثيـاب فقد روى عبد الله ابـن مسـعود رضي الله عنه عن رسـول الله ﷺ أنه قال: "**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّـةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِـهِ مِثْقَـالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَـنًا وَنَعْلُـهُ حَسَـنَةً قَالَ: **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِـبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَـرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّـاسِ**"[١٣]، تختلـف الإمكانات المادّيّة من شـخصٍ لآخر، ويهتم الناس بِهِنْدَامِهِـم كلٌّ علـى قدر سـعته والأمر المهمّ هنا هو محاولة التوسُّـط في ارتداء الثياب بما يتناسـب مـع المكان والزمان قدر المسـتطاع دون إفراطٍ يوصلـه إلـى التفاخـر والتكبّر، ولا تفريط يوصلـه إلى التدنّـي أو الرُّثُوثة، بالطبـع يودّ كلّ امرئٍ أن يبدوَ حسـن المظهـر أمام الجميع، إلا أنّ المهمّ هنا هو عدم الزيادة الفاحشـة أو الملحوظةِ بالنسـبة لثياب المتعسِّـرين من النـاس، فمن الأفضل والأثـوب ألّا يتعالى الأغنياء بلباسـهم على الفقراء وأن يؤثـروا الملابس البسـيطة والعاديّة؛ كي لا يقعـوا في أمراض الخُيَلَاءِ والكِبْرِ والعُجْبِ.

أوامره ﷺ فيما يخصّ طول الملابس أو قِصرها

كمـا نقـل لنا الصحابة رضوان الله عليهم أحوال النبي ﷺ وكلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من حياته؛ فإنهم أيضًا نقلوا لنا تفاصيل لباسه الشريف ومدى طوله وقِصَـرِه، ولربمـا يرى البعض أن هـذه تفاصيل زائدةٌ، لكننا نراها مقياسًـا مهمًّا فهي كما تُشكّل نَمَطًا وطُرُزًا من الحياة الإسلاميّة فهي كذلك توضّح معاييـره ومنهجـه ورؤيته ﷺ في هذا الخصوص، وإننا اليوم في عصر يُقلِّدُ فيه الناس عامّةً مَن يَرَونَه مثلًا أعلى لهم من فنانين أو ممثّلين أو مطربين، حتى إنّ ما يرتديه الفنّان من ألوانٍ وطُرُزٍ يغدو لدى العامّة طرازًا عامًّا محبّبًا

(١٣) صحيح مسلم، الأيمان، ١٤٧؛ سنن أبي داود، اللباس، ٢٦؛ سنن الترمذي، البر، ٦.

ومشـهورًا، وإذا كان كذلـك فليقتـد النـاس وليهتدوا بهـدي نجم الوجود وشـمس الأكوان سـيدنا محمد ﷺ الذي بعثه الله لسـعادتهم، وليقلّدوه في حُسْـنِ وجمـال الملبَـس وألوانها وطولهـا وقِصَرِها وليتّخذوا نمط لباسـه قدوةً لهم وأسـوةً، فلقد قالت السـيدةُ أسماء بنت يزيد رضي الله عنها عن طول ثياب النبيّ وقصرها "كَانَتْ يَدُ كُمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الرُّسْغِ"(١٤)، ولقد أوضح علماء الإسـلام معيـار طول الثياب مسـتعينين بالروايـات الخاصّة بلباس الرسـول ﷺ، وعليه يتّضح من الحديث السـابق أن كُمّ القميص يُمدّ حتى الرسغ وأكمام الألبسة مثل الجُبَّة وغيرها تُمدّ حتى ثُلُثَي الإصبع.

أوامره ﷺ بشأن طول ثياب المرأة

عـن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قال: "**مَنْ جَـرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَـمْ يَنْظُـرِ اللهُ إِلَيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**، فَقَالَتْ أُمُّ سَـلَمَةَ رضي الله عنها: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَـاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: **يُرْخِينَ شِـبْرًا**، فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِـفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: **فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ**"(١٥)، وبالطبـع تختلف ثياب المرأة عن ثياب الرجل، فحتـى وإن كانـت الملابـس مؤلّفـةً من ثـوبٍ واحدٍ من أسـفل العنق إلى القدمين؛ فلا بدّ وأن تكون ملابس النسـاء أطول من ملابس الرجال، ففي هذا الحديث الشـريف سـألت أمّ المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها عن مقدار طول ثياب المرأة فقال ﷺ: "**يُرْخِينَ شِـبْرًا**" قاصدًا أسـفل الرُّكبة وهذا هو الطول الذي أباحه للباس الرجال حتى السـاق، فقالت أمّ سـلمة رضي الله عنها: "إذًا تنكشف أقدامهنّ" فقال ﷺ: "**فيرخينه ذراعًا**" وهذا هو مقدار الطول الذي يغطّـي الكعبين، كمـا أنّ الفقهاء قالوا إنه يلزم أن تغطّي تنّورة المرأة كامل قدميها.

(١٤) **سنن أبي داود**، اللباس، ٣؛ **سنن الترمذي**، اللباس، ٢٧.

(١٥) **سنن أبي داود**، اللباس، ٣٦؛ **سنن الترمذي**، اللباس، ٩؛ **سنن النسائي**، الزينة، ١٠٥؛ **سنن ابن ماجه**، اللباس، ١٥.

٦- ارتداؤه الثياب الحسنة الطاهرة وأمره بالارتداء بهذا الشكل

يقول جُنْدبُ بنُ مَكيثٍ ﵁: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ الْوَفْدُ لَبِسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ، وَأَمَرَ عِلْيَةَ أَصْحَابِهِ بِذَلِكَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ قَدِمَ وَفْدُ كِنْدَةَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ يَمَانِيَةٌ، وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِثْلُ ذَلِكَ"(١٦).

٧- حمدُ الله عند ارتداء الثياب الجديدة

عن ابن عمر ﵄ قال: "رأى النبي ﷺ على عمرَ ثوبًا أبيض، فقال ﷺ: **أَجَدِيدٌ ثَوْبُكَ أَمْ غَسِيلٌ؟** فَقَالَ: فَلَا أَدْرِي مَا رَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **الْبَسْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا** -أَظُنُّهُ قَالَ-: **وَيَرْزُقُكَ اللهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** "(١٧).

ب. الأمور التي نهى عنها ﷺ في الملبس

١- لبس الثياب الرقيقة أو الشفّافة التي تبيّن لون الجسد

وقد نهى النبي ﷺ عن لبس الثياب الخفيفة والشفافة التي تُظهر لون الجسد كما روى أبو داود أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ﵄، دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: "**يَا أَسْمَاءُ، إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا** وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ"(١٨)، كما قال ﷺ في موضع آخر منبّهًا على هذا الأمر: "**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ**

(١٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٤٦/٤.

(١٧) مسند الإمام أحمد، ٨٩/٢.

(١٨) سنن أبي داود، اللباس، ٣١.

كَذَا وَكَذَا"[١٩]، المقصود من قوله "كاسيات عاريات" في الحديث: اللباس العاري أي الرقيق الشفاف الذي يكشف لون الجسد، يقصد به أيضًا النساء اللاتي يرتدين ثيابًا تغطّي نصف أجسامهنّ وتكشف النصف الآخر، ولقد كان رسول الله ﷺ في هذا الحديث يوجه الخطاب إلى السيدة أسماء رضي الله عنها بَيدَ أن أمره هذا يسري على جميع النساء، حيث أمرهنّ بأن يتحرّين الدقّة في لباسهنّ.

٢- ارتداء الثياب الضيّقة التي تكشف تفاصيل الجسد

كما أن ارتداء ثياب شفّافة تبيّن لون الجسد لا يجوز، فلا يجوز أيضًا ارتداء ثيابٍ ضيّقةٍ توضّح تقاسيم الجسد، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: "كَسَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ رضي الله عنه، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ؟**" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً**[٢٠]**، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا**"[٢١].

٣- تشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال في اللباس

وقد حرّم ﷺ تشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال في الملبس فيقول أبو هريرة رضي الله عنه: "لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ"[٢٢]، وهناك حديثٌ آخر في هذا الشأن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ"[٢٣] وهو يقصد من يحاولون التشبّه بالنساء من الرجال، أي الرجال

---

(١٩) صحيح مسلم، الجنة، ٥٢.

(٢٠) الغلالة: ثوب رقيق يشفّ ما تحته، وهو لباس داخليّ أو قميص رقيق تغطيه ثياب خارجية.

(٢١) مسند الإمام أحمد، ٥/٢٠٥.

(٢٢) سنن أبي داود، اللباس، ٢٨.

(٢٣) صحيح البخاري، اللباس، ٦٢؛ سنن الترمذي، الأدب، ٢٤؛ سنن أبي داود، اللباس، ٢٨؛ سنن ابن ماجه، النكاح، ٢٢.

الذين يلبســون ويتحدّثون ويأكلون كالنساء، أما النساء المتشبّهات بالرجال فهنّ اللاتي يتشبّهن بهم في معاملاتهم وسلوكيّاتهم، وكما يأمر ديننا الحنيف لا بدّ لكلٍّ من الطرفين أن يبقى ويحافظَ على فطرته التي خُلق عليها، فالمرأة تُحافـظُ علـى حوّائيّتهـا، والرجل لا يتنازل عن رجولته فـي كلّ أحواله لأنّ هذه هي طبيعة الحياة وسـنة الله في الكون، ولقد لعن النبيّ ﷺ من يخالف ذلك من الرجال والنساء، ومن المحتمل أن حساسيّة الرسول ﷺ تجاه هذا الموقف تنبع من خوفه أن يتردّى المسلمون -إذا ما تصرّفوا خلافًا للفطرة- في سـلوكيّات من سـبقهم من الأقوام التي غضب الله عليها، ذلك أن فساد البنية العاطفيّة بين الجنسين يبدأ بتقليد وتشبّه أحد الجنسين بالآخر، فيحدث ما لا يُحمد عقباه ولا تسـرّ نتيجته، فقد أوجب الرسـول علينا اجتنابَ تلك المحاذير وإبعادَ شبابنا وأولادنا عن مثل هذه التشبّهات.

٤- لبْسُ الرجال الحرير

عـن عمـر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: "**مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ**"(٢٤).

كما قال ﷺ أيضًا في روايةٍ عن أبي موسي الأشعريّ ﷺ: "**حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيـرِ وَالذَّهَبِ عَلَـى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِـمْ**"(٢٥)، وفي روايةٍ أخرى عـن حذيفة ﷺ يقول: "نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَشْـرَبَ فِـي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ"(٢٦).

(٢٤) **صحيح البخاري**، اللباس، ٢٥؛ **صحيح مسلم**، اللباس، ١١؛ **سنن الترمذي**، الأدب، ١؛ **سنن ابن ماجه**، اللباس، ١٦.

(٢٥) **سنن الترمذي**، اللباس، ١؛ **سنن ابن ماجه**، اللباس، ١٩.

(٢٦) **صحيح البخاري**، اللباس، ٢٧، الأطعمة، ٢٨-٢٩؛ **صحيح مسلم**، اللباس، ٤-٥؛ **سنن أبي داود**، الأشربة، ١٧؛ **سنن الترمذي**، الأشربة، ١٠.

إباحة لبس الحرير للمرضى

رَخّـصَ رسـول الله ﷺ لبس الحرير عند المـرض، ولقد روى أنس بن مالـك رضي الله عنه أن النَّبِـيُّ ﷺ رخَّصَ لِلزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي لُبْسِ الْحَرِيرِ لِحِكَّةٍ بِهِمَا[٢٧]، على الرغم من تحريم لبس الحرير إلا أن هناك حالات استثنائيّة فـي هـذا الحكـم، وهذا الحديـث دليلٌ واضـحٌ على أن ديننـا يقوى على حـلّ جميع المشـكلات، ففي بعـض الأحيان تكون الأحـكامُ خصوصيّةً ومحـدّدةً، وأحيانًا أخرى يسـتفيد الناس الذين لديهـم نفسُ العُذر من هذا الحكـم، وهنـا عدم لبْس الرجال للحريـر حكمٌ عامٌّ، غيـر أن الزُّبَير وعبد الرحمـن رضي الله عنهما قد رُخِّصَ لهما ارتـداؤه لِعِلَّة داءِ الجَرَبِ الذي أصابهما كما جـاء في الحديث الشـريف، والأُمور المحرّمة لا تتغيّـر من أجل مجتمع أو شـخص مـا -حتـى وإن كانـوا أغنياء أو مشـهورين- لكن قـد تُباح في الحالات الاسـتثنائيّة للفرد أو الجماعة إذا كان هناك سـببٌ مشروعٌ، ويتمّ تطبيقه بشكلٍ خاصٍّ، أي إن الحكم لا ولن يتغيّر إن لم تكن هناك ضرورةٌ تدعـو إلـى ذلك حتـى ولو كان من أجل امرئٍ مشـهورٍ، وقـد ينتفع بهذه الحالات الاستثنائيّة أيُّ شخصٍ عاديّ إن كان له عذر.

ونجد الإسلام قد حرم المحرمات بُغْيَةَ حماية الفرد والجماعة، ومع ذلـك نجـده أيضًـا يضـع أحكامًا اسـتثنائية مـن أجل وقاية الفـرد العادي، وانطلاقًـا مـن هذا الحديث توصّل علماء الإسـلام إلـى الحكم التالي: أن لباس الحرير لا يحلّ فقط لمرضى الجرب بل يحلّ لكلّ ضروب المرض التي تستلزم لبس الحرير.

٥- إطالة اللباس بنية الخيلاء والتفاخر والكِبْر

الكِبْـر هـو التَّغَطْرُسُ وتفضيل المرء نفسـه على الآخريـن وهي صفةٌ

---

(٢٧) **صحيح البخاري**، اللباس، ٢٩، الجهاد، ٩١؛ **سنن أبي داود**، اللباس، ٩؛ **سنن النسائي**، الزينة، ٩٢.

لا يحبّها الله ﷻ، وهذا النوع من البشـر لن يجد أبدًا من يثق به في حياته، لأنـه ينظـر إلى الجميع مـن حوله بتعـالٍ، ويسـتهين بالناس، ويسـتخفّ بهـم، فيُبعد عنه الصادقين الصالحين من الناس بسـبب تكبّره وغطرسـته، فـلا تجـد حولهـم إلا أشـخاصًا متكالبين علـى الماديّات، كمـا أن هؤلاء سـيتركونهم عندمـا لا تتوافر لديهم مصالحهـم المادية، ولقد بين النبي ﷺ في أحاديثه حقيقة الكبر ومساوئه، ونهى الناس عنه، أما عن الذين يجرّون ثيابهم خُيَلاءَ وكِبْرًا فقد قال عنهم النبي ﷺ في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "**لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا**"(٢٨) أي إن هؤلاء الأشخاص خرجوا من رحمة الله، كما أن هناك حديثًا آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا يتعلّق بعدم المبالغة في إطالة الثوب، "**مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنْ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ**"(٢٩)، ويتّضح من هذا الحديث أن النار جزاء الكِبْر.

أمـا مـن كان لباسـهم طويلًا من غيـر كِبْر فقد قال عنهـم النبي ﷺ في روايـةٍ عـن ابن عمر رضي الله عنهما: "**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَـمْ يَنْظُرْ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ**"(٣٠).

ويبيّـن الحديـث أن من يرتدون هذه الثياب دون تَغَطْرُسٍ ليسـوا من هـذه الفئـة، وإذا نظرنا جيّدًا إلـى الأحاديث الثلاثة نجد أنـه يُحرَّم إطالة الثياب بنيّة الكبر والتغطرس وجرّها في الأرض، والتصرفات المتغطرسة تبيّن ضعف الشـخصية، والشيء الذي يميز الإنسـان ويُقيِّمُ شخصيّته هو عقلـه وأخلاقه وثقافته، فهناك العظماء من الناس الذين أنجزوا إنجازاتٍ عظيمـةً بثقافتهـم وفكرهـم، لا بملابسـهم وزينتهم، كما أنـه هناك أناس

(٢٨) **صحيح البخاري**، اللباس، ١-٥؛ **صحيح مسلم**، اللباس، ٤٣.

(٢٩) **صحيح البخاري**، اللباس، ٤؛ **سنن أبي داود**، اللباس، ٢٧.

(٣٠) **صحيح البخاري**، اللباس، ٢، فضائل الصحابة، ٥؛ **صحيح مسلم**، اللباس، ٤٣-٤٤؛ **سنن أبي داود**، اللباس، ٢٥.

أثرياء ميسورو الحال لكنهم يرتدون الثياب البسيطة العاديّة لتواضعهم فلا يُدركُ أحدٌ أنهم أثرياء، ومن ثم لا نستطيع التمييز بين الغنيّ والفقير؛ من خلال النظر إلى ردائه، أما المتكبر المتغطرس يكشف نفسَه على الفور فقيرًا كان أم غنيًّا ويحاول أن يُشعِر من حوله أنه مختلفٌ ومتميّزٌ في كلّ شيءٍ، لأنه لا يملك إلا التكبّر والخيلاء، وله أساليب كثيرة في احتقار الناس والاستخفاف بهم، أحد هذه الأساليب هو اللباس الفاخر المُهَنْدَمُ، وقد تتساءل "هل يمكن أن يحتقر الإنسان الغنيّ بألبسته الفاخرة غيره من الفقراء؟" فالرد هو "نعم" فإن إسدال الثياب وإطالتها وجرّها على الأرض بغرض التباهي أمام الناس والتفاخر -بقصد إغاظتهم والتعالي عليهم- يدخل ضمن فئة الخصال التي نهى عنها الإسلام، لأن مثل هذه الأفعال تُحَقِّرُ من شأن من لايقْدر على شراء هذه الثياب من الناس وتهينهم وتجرح مشاعرهم.

ما هو مقياس التكبر؟

ومما يستوقفنا هنا حديثٌ يوضّح معيار التَكَبُّرِ عن أبي هريرة ﷺ: ’’أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ: وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَجُلٌ حُبِّبَ إِلَيَّ الْجَمَالُ، وَأُعْطِيتُ مِنْهُ مَا تَرَى، حَتَّى مَا أُحِبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ، إِمَّا قَالَ: بِشِرَاكِ نَعْلِي، وَإِمَّا قَالَ: بِشِسْعِ نَعْلِي، أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَلِكَ؟ قَالَ: **لَا، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطِرَ الْحَقَّ، وَغَمَطَ النَّاسَ**‘‘[٣١].

اقتداءً بهذا الحديث يجب علينا مراعاة هذه الأمور:

أولًا: تجنّب الإسراف والتبذير في الملبس.

ثانيًا: عدم استخدام الملبس وسيلةً للتكبّر والتغطرس والتباهي.

---

(٣١) سنن أبي داود، اللباس، ٢٦.

ثالثًا: ارتداء الملبس الذي يتناسب مع ظروف وإمكانات الطبقة المجتمعيّة الذي ننتمي إليها.

من لن يَنْظُرَ الله إليه لتكبّره

قال ﷺ في روايةٍ عن أبي ذرّ ؓ: "**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**، قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ ؓ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: **الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**"(٣٢).

وكما قال ﷺ في رواية عن أبي سعيدٍ الخدري ؓ: "**إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَلَا حَرَجَ -أَوْ لَا جُنَاحَ- فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ الله إِلَيْهِ**"(٣٣).

تحذيره ﷺ لجابر بن سُليم ؓ من التكبّر والمَخيلَة

عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ ؓ، قَالَ: "رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللهِ، مَرَّتَيْنِ، قَالَ ﷺ: **لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ** قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: **أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ -أَوْ فَلَاةٍ- فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ**، قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: **لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا** قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قَالَ: **وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ**

(٣٢) صحيح مسلم، الإيمان، ١٧١؛ سنن أبي داود، اللباس، ٢٥؛ سنن النسائي، البيوع، ٥.

(٣٣) سنن أبي داود، اللباس، ٢٦؛ سنن ابن ماجه، اللباس، ٨؛ موطأ الإمام مالك، ٤٨٦/١٧.

أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ"(٣٤)، كان ﷺ عندما يُخطئ الناس من حوله يصحّح لهم خطأهم بكلِّ لُطفٍ وتهذيبٍ، فكان لا يُعَرِّفهُم خطأهم فقط، بل يعلِّمهم صوابه، وفي هذا الحديث حذَّر النبي ﷺ أحد أصحابه لأنه لم يستحسن التحيّة التي ألقاها عليه، فوضَّح له خطأه، وأخبره أن تلك التحيّة تُطلَق على الأموات، ثم بين له كيفيّة أداء التحيّة المناسبة للأحياء، وأخذ يوصيه الوصيّة تلو الأخرى.

ولقد قال العلماء فيما يتعلّق بموضوعنا ويرتبطُ بهذا الحديث، إن المباح له تقصير ثيابه إلى نصف الساق، فإن لم يرتضِ ذلك فإلى الكعبين، ومن ثمّ فإن إطالة السراويل التي نرتديها في أيّامنا هذه حتى الكعبين يتوافق مع ما أمر به الرسول ﷺ، إذًا فالرداء المُسبَل أرضًا والذي اعتبرته الأحاديث من علامات التكبّر ليس مناسبًا في الأصل من حيث الاستخدام في يومنا الحاضر.

حال الرجل الذي أسبل رداءه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يُصَلِّي مُسْبِلًا إِزَارَهُ إِذْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ**، فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ**، فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ، فَقَالَ ﷺ: **إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ إِزَارَهُ**"(٣٥).

(٣٤) **سنن أبي داود**، اللباس، ٢٤؛ **سنن الترمذي**، الاستئذان، ٢٧.

(٣٥) **سنن أبي داود**، اللباس، ٢٥، الصلاة، ٨؛ **مسند الإمام أحمد**، ٣٧٩/٥.

كان النبي ﷺ ينهى أصحابه عن السلوكيّات والمعاملات التي تؤثّر سلبًا علـى أحوالهم وتحرّكاتهم وعباداتهـم وعلاقاتهم بالناس من حولهم، كما كان يؤيّد سلوكيّاتهم الحسنة ويحثّهم على ما يستحسنه ويسترضيه منها.

وكما وضّحنا في مقدّمة الكتاب فالسُّنَّة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- السنة القوليّة.

٢- السنة الفعليّة.

٣- السنة التقريريّة.

إن الأفعال التي أقرَّها الرسول ﷺ من سلوكيّات الصحابة ومعاملاتهم؛ تنـدرج ضمن قسـم السُـنَّة التقريرية، وهـي أيضًا تُعدّ مصـدرًا من مصادر التشريـع الإسلامي كالسُنَّة القوليّة والسُنَّة الفعلية، فقد نهى الرسول ﷺ هنا عن سـلوكٍ وفعلٍ خاطئ، والنهي متعلّقٌ بالثياب التي كان يرتديها الرجل، ذاك أن رسـول الله ﷺ لـم يُقِـرّ مثـل هـذا النوع مـن اللباس الـذي يَنُمُّ في مظهره الخارجي عن التكبّر والتغطرس، وأراد أن يُثنيه عنه، لأنه كان بردائه الطويل المُسْبَلِ ذاك؛ يُمثِّل من يجرّ رداءه خيلاء وتكبّرًا، فقال الرسول ﷺ لهذا الرجل فقط ''**اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ**'' ولمّا توضّأ وجاء قال ''**اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ**''، وعندمـا سـأل الصحابة عن السـبب قـال ﷺ ''**إِنَّ اللهَ تَعَالَـى لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُـلٍ مُسْـبِلٍ إِزَارَهُ**'' غيـر أنه لم يقل للرجل ''صـلِّ ثانية''، أي إن الصلاة التـي أداهـا قُبلت في الظاهر، وأدى المرء مـا يتوجّب عليه، إلا أنها صلاةٌ غيـر مقبولـةٍ عند الله، ومن ثمّ أمر الرسـول ﷺ هذا الرجـل بإعادة الوضوء حيـث يقـول ﷺ في حديث آخر: ''**لَا يُسْـبِغُ عَبْـدٌ الْوُضُـوءَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ**

مَـا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَـا تَأَخَّرَ"(٣٦)، فالصلاة التي تُؤدَّى ويتخلّلها شـيءٌ من الكبـر أو التعالـي لا تكون عبادةً مقبولةً عند الله حتى وإن كانت مقبولةً في الظاهر، وذلك لأنّ المرء لم يُطَهِّر قَلْبه بهذه الصلاة من السيّئات المعنويّة، والأصل في العبادات أنها تشمل الظاهر والباطن معًا.

نَهْيهُ ﷺ عبدَ الله بنَ عمر رضي الله عنهما عن إطالة اللباس

كان النبـي يهتمّ بلبـاس أصحابه وهندامهم كما يهتمّ بلباسـه وهندامه هـو، وإذا تطلّـبَ الأمـر فإنه ينهاهم عمـا لا يرتضيه من ثيابهـم في طولها وقصرها، وعن الخفيف والرقيق منها الذي يكشف لون الجسد، وفي هذا الأمر لنقتد بروايةٍ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث يقول "مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِـي إِزَارِي اسْـتِرْخَاءٌ، فَقَالَ ﷺ: **يَـا عَبْدَ اللهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ**، فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَـالَ ﷺ: **زِدْ**، فَـزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ، فَقَالَ بَعْـضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ"(٣٧).

٦- استخدام اللباس كوسيلةٍ للتباهي والتعالي

لقـد تبيّـن مـن الأحاديـث الشـريفة أن اتّخاذ الثيـاب وسـيلةً للتباهي والتفاخـر أمام النـاس أمرٌ مكروهٌ، لا يرتضيه الباري لنـا، وبمقتضى رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ﷺ "**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّـةٍ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَـارًا**"(٣٨)، وقد يقصد بالثوب المذكور في الحديـث الرداءُ المُزَرْكَشُ باهـظ الثمن، الفاخر الذي يرتديه المرء بغرض الشـهرة والتباهي بين الناس، وقد يقصد به أيضًا الرداء القديم البالي الذي يرتديه المرء لكي يلفت الأنظار ليبدو بمظهر الفقير الزاهد التقيّ.

(٣٦) **مسند البزار**، ٢/٧٥.

(٣٧) **صحيح مسلم**، اللباس،٤٧.

(٣٨) **سنن ابن ماجه**، اللباس، ٢٤.

ارتداء الثياب الحسنة شكر لله على نعمه

عن عمرو بنِ شُـعَيبٍ، عن أبيه، عن جدّه ﵄ أن رسـول الله ﷺ قال: ''**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**''[٣٩]، وفي هذا الحديث يوضّح المصطفـى ﷺ أن الله ﷻ يحـبّ أن تظهر آثار نعمتـه ودلائلها على عباده، أو بعبـارة أُخـرى يجب أن يهتمّ العبد بثيابه وملبسـه، ولذا يجب على كلّ فـردٍ أن يرتـدي من الثياب ما يتناسـب مـع قدراته الماديّـة، فالفقير يرتدي ما يسـتطيع شراءه من الثياب، ليتبيّن كونه فقيرًا محتاجًا، حتى يهتم به من يريد مسـاعدته، والغني سـيرتدي من الثياب ما يدل على يُسر حاله وثرائه، فيكون بذلك قد أدى شـكره لله، ونفى عن نفسـه صفـةَ الفقر، وأخيرًا فإنه يجب على المرء أن يرتدي لباسًـا يلائـم وضعه وقدْرَه وأن يتجنّب ارتداء ما يؤدّي إلى سخرية الناس منه والاستهزاء به.

٧- ارتداءُ الثِّياب الرثَّة

كان النبـي ﷺ يحـبّ أن تكـون ثيـاب أصحابه متناسـقةً مهندمةً، ولذا نهـى المقتدريـن من الناس عن التجوّل بثيابٍ باليـةٍ ممزّقةٍ رثّةٍ، يقول أحد الصحابـه الكـرام وهـو مالكُ بنُ نَضْلَـةَ ﵁ وقد حدث معه ذلـك: ''أَتَيْتُ النَّبِـيَّ ﷺ فِـي ثَـوْبٍ دُونٍ، فَقَـالَ ﷺ: **أَلَكَ مَالٌ**؟ قَالَ: نَعَمْ، قَـالَ ﷺ: **مِنْ أَيِّ الْمَـالِ**؟ قَـالَ: قَدْ آتَانِي اللهُ مِنَ الإِبِلِ وَالْغَنَـمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قَالَ ﷺ: **فَإِذَا آتَـاكَ اللهُ مَـالًا فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ، وَكَرَامَتِهِ**''[٤٠]، ومن هنا يتّضح أيضًا أنه يجب على المؤمن أن يختار الثياب الحسـنة التي تتناسب مـع إمكاناته وأحواله الماديّة.

---

(٣٩) سنن الترمذي، الأدب، ٥٤؛ سنن أبي داود، اللباس، ١٤.

(٤٠) سنن أبي داود، اللباس، ١٤.

٨- ارتداء الثياب التي تحمل رسوم الحيوانات وصورها

لا يجوز ارتداء الثياب التي بها رسوم حيوانات أو إنسان ولقد أخبر المصطفى ﷺ في حديث رواه أبو طَلْحَةَ رضي الله عنه: "**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةُ تَمَاثِيلَ**"(٤١)، كما روي أنه أمر بإزالة الأغطية التي تحمل رسومات ومن ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: "أَنَّهُ كَانَ لَهَا ثَوْبٌ فِيهِ تَصَاوِيرُ، مَمْدُودٌ إِلَى سَهْوَةٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي إِلَيْهِ فَقَالَ: **أَخِّرِيهِ عَنِّي** قَالَتْ: فَأَخَّرْتُهُ فَجَعَلْتُهُ وَسَائِدَ"(٤٢) إلا أنه ﷺ كان يستخدم الثياب المزخرفة أو التي رُسِم عليها رسومات جمادات.

٩- انتعال فردةٍ واحدةٍ من الحذاء

نهى النبي ﷺ عن انتعال فردةٍ واحدةٍ من الحذاء وفي هذا النهي يقول النبي ﷺ في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه: "**لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ لِيُحْفِهِمَا جَمِيعًا أَوْ لِيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا**"(٤٣)، وقد يكون السبب في نهي الرسول ﷺ عن ذلك؛ هو أنّ الناس قد يعتبرون من يخرج عليهم بنعلٍ واحدةٍ أو جَوْرَبٍ واحدٍ أحمقَ أبلهَ، بالإضافة إلى أنه لا بدّ من مراعاة هذا التوازن لتحقيق العدالة حتى بين أعضاء الجسد.

ج. الثياب التي استخدمها ﷺ

١- الثياب التي ارتداها ﷺ

ذكر الصحابة الكرام -الذين شاهدوا واقتفوا ونقلوا أفعال الرسول ﷺ وأحواله- نماذجَ وأمثلةً حسنة يجب علينا اتّباعها، فقد بيّنوا التفاصيل

(٤١) **صحيح البخاري**، بدءُ الخلق، ٧.

(٤٢) **صحيح مسلم**، اللباس والزينة، ٢٦.

(٤٣) **صحيح البخاري**، اللباس، ٤٠؛ **صحيح مسلم**، اللباس، ٦٨؛ **سنن أبي داود**، اللباس، ٤١؛ **سنن الترمذي**، اللباس، ٣٤.

الخاصّة بحسن ثياب النبي ﷺ وهندامه مثلما بيّنوا معاملاته اليوميّة مع الناس، وكما أخبرت زوجاته عن الثياب التي كان يرتديها في المنزل، فهناك روايات عديدةٌ بشأن أنواع وألوان الثياب التي كان يفضّلها ويرتديها ويأمر بارتدائها، فكان النبي ﷺ يرتدي الثياب المصنوعة من الصوف والقطن والوَبَر -أي صوف الإبل-، وأبسط هذه الثياب وأقلّها ثمنًا هي المصنوعة من الوَبَر، وهذا الأمر يدلّ على جواز لبس الثياب المصنوعة من الوبر كما يدلّ على تواضعه ﷺ فقد كان ﷺ يكتفي بالرخيص من الثياب مع قدرته على شراء النفيس منها، ويستخدم أوسطها وينهى عن الثياب التي تثير غيرة الناس أو غبطتهم.

أ. الثياب التي كان يرتديها ﷺ بشكلٍ عام

الثياب التي كان الرسول ﷺ يرتديها تنقسم إلى قسمين: وكان يطلق على الجزء العلويّ منها "رداء"، والجزء السفليّ منها "إزار" غير أنه ﷺ أباح لبس الثوب الذي يسمى "قميص" وهو ثوبٌ مغلقٌ من الأعلى طويل يمتدّ حتى القدمين يشبه "الجلباب" وكان إذا اقتضى الأمر يرتدي ﷺ فوق ثيابه زيًّا من نوع "الحَرْمَلة"(٤٤) التي تشمل "جبّة، عباءة، بُردة".

١- أحبّ اللباس إليه ﷺ القميص

قالت أم سلمة رضي الله عنها: "لَمْ يَكُنْ ثَوْبٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَمِيصٍ"(٤٥)، والثوب في الحديث يشمل كلّ الثياب المصنوعة من القطن والصوف والكتان والجلد وغيرها، والقميص عادةً يُصنع من الأقمشة الخفيفة التي لا تؤلم جسد الإنسان مثل الكتان والقطن، ويُلبس القميص داخل الثوب لكونه خفيفًا بالنسبة للثياب الأخرى كما أنه من حيث المظهر

---

(٤٤) الحرملة: كساءٌ قصيرٌ واسعٌ يحيط بالعنق ويقع على الكتفين متدلّيًا فوق الظهر والذراعين مفتوحٌ من الأمام.

(٤٥) **سنن أبي داود**، اللباس، ٣؛ **سنن الترمذي**، اللباس، ٢٧.

أكثرها حُسنًا وأناقةً، وسبب حبّ رسول الله ﷺ للقميص كونه خفيفًا على الجسد لا يؤلمه ولا يُضايقه، وفي الوقت ذاته يستره، والله أعلم.

٢- مِرْطٌ مُرَحَّلٌ(٤٦) مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ

حرّم نبينا ﷺ رسم صور المخلوقات الحيّة، ووضعها في المنزل، أما رسم الجماد وارتداء الثياب المنقوشة بهذه الصور واستخدامها فلا شيء فيه، وإنما المحرّم هو صور كلّ ذي روحٍ، وتقول عائشة رضي الله عنها: "خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ"(٤٧).

٣- الثياب ذات الأكمام الضيقة

يقـول المغيرةُ بنُ شُـعبةَ رضي الله عنه: "كُنْـتُ مَـعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي سَـفَرٍ فَقَالَ: **أَمَعَكَ مَاءٌ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ الْإِدَاوَةَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ فَلَمْ يَسْـتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ ﷺ: **دَعْهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا"(٤٨)، وفي رواية أخرى "أن هذا حدث في غزوة تبوك"،(٤٩) حيثُ كان ﷺ يرتدي ضروبًا من الثياب، منها الواسع والضيّق ونرى في هذه الرواية أنه لم يستطع إخراج يديه لضيق كُمَّي جبّته فأخرجهما من أسفل الجبة وتوضّأ، ربما يكون السبب في ارتداء ثيابٍ ضيّقة الكمّين بهذا القدر أنها قد تكون مريحةً أكثر وقت الحرب، وكي لا يعلق كُمَّاها بأيّ شيءٍ.

---

(٤٦) المرط: كساءٌ من صوفٍ أو كتانٍ يُؤْتَزَرُ به، والمُرَحَّلُ: ما رُسِمَ عليه رَحْلٌ ونحوه.

(٤٧) **صحيح مسلم**، اللباس، ٣٦؛ **سنن أبي داود**، اللباس، ٥؛ **سنن الترمذي**، الأدب، ٤٩.

(٤٨) **سنن النسائي**، الطهارة، ٦٦.

(٤٩) **سنن النسائي**، الطهارة، ٦٣-٦٦؛ **صحيح البخاري**، الصلاة، ٧، اللباس، ١١، الرقاق، ١٤؛ **صحيح مسلم**، الطهارة، ٧٧.

٤- الثياب الرسميّة

لا يمكــن القــول أن الرســول ﷺ كان يرتدي نفس الثيــاب في مراحل حياتــه المختلفــة، بل يمكننــا القول إنه ﷺ كان يرتدي ثيابًــا خاصّةً ولنا أن نســميها "ثيابًا رســميّةً" ســواء في أيام الجمــع والأعياد، أو عند اســتقباله الوفــود المحلّيّــة أو الأجنبيّــة، يقــول جابر بن عبــد الله رضي الله عنه: "كَانَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ يَلْبَــسُ بُــرْدَهُ الأَحْمَرَ فِــي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَــةِ"(٥٠)، وفي روايةٍ أخرى "أَنَّ رســول الله ﷺ كَانَ يَلْبَــسُ يَــوْمَ الْجُمُعَــةِ بُــرْدَهُ الأَحْمَــرَ وَيَعْتَــمُّ يَــوْمَ الْعِيدَيْــنِ"(٥١)، كمــا أن عــروة بن الزبيــر بن العوّام رضي الله عنهما يســلّط الضوء على موضــوعٍ آخــر "أَنَّ ثَــوْبَ رَسُــولِ اللهِ ﷺ الَّــذِي كَانَ يَخْرُجُ فيــه إلى الوفد ورداءه حَضْرَمِــيٌّ -طُولُــهُ أَرْبَــعُ أَذْرُعٍ وَعَرْضُــهُ ذِرَاعَــانِ وَشِــبْرٌ- فَهُوَ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ قَدْ خَلِقَ وَطَوُوهُ بِثَوْبٍ يَلبَسُونَهُ يَوْمَ الأَضْحَى وَالْفِطْرِ"(٥٢).

ب. ألوان ثيابه ﷺ

كان نبيُّ الله ﷺ يحبّ ارتداء الثياب البيضاء ويأمر بارتدائها فيقول في أحد أحاديثه الشــريفة التي رواها سَــمُرَةُ بنُ جُنْدُبٍ رضي الله عنه: "**الْبَسُــوا الْبَيَاضَ فَإِنَّهَــا أَطْهَــرُ وَأَطْيَــبُ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُم**"(٥٣) فقــد أمر ﷺ الناس بارتدائه كما أمرهم أن يُكفّنوا فيه موتاهم.

١- ارتداؤه ﷺ الثياب البيضاء وأمرُه بارتدائها

كان ﷺ يرتــدي ألوانًا عديــدةً متنوّعةً، غير أنّ أحبّ لونٍ إليه من بينهم كان اللون الأبيض، فكان الرسول ﷺ يفضّل ارتداء اللون الأبيض كما يأمر

(٥٠) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ١/٤٥١.

(٥١) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ١/٤٥١.

(٥٢) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ١/٤٥٨.

(٥٣) **سنن النسائي**، الجنائز، ٣٨، الزينة، ٩٧؛ الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ٤/١٨٥؛ **سنن الترمذي**، الأدب، ٥٦؛ **سنن ابن ماجه**، اللباس، ٥.

أصحابه بارتدائه فيقول في روايةٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما: ''**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**''[٥٤].

يدلّ اللون الأبيض على الطهارة والصفاء والنقاء كما أنه رمزٌ للبراءة والعصمة من الذنوب، والثياب البيضاء تُظهِرُ ما عليها من بُقَعٍ وأوساخٍ ومن ثم يهتمّ الناس بنظافةِ ملابسهم وطهارتها.

٢- ارتداء الثياب غير البيضاء

كان النبيّ ﷺ يرتدي من الثياب أنواعًا كثيرةً ذات ألوانٍ متعدّدة كاللون الأبيض والأسود والأصفر والأخضر والأحمر، وهناك روايةٌ عن البَرَاءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما بشأن ارتداءِ النبيّ ﷺ اللونَ الأحمر حيثُ يقول: ''كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ''[٥٥] كما أن هناك رواية أخرى عَن أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: ''أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ، قَالَ: فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَضُوئِهِ، فَمِنْ نَائِلٍ وَنَاضِحٍ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ وَأَذَّنَ بِلَالٌ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا -يَقُولُ: يَمِينًا وَشِمَالًا- يَقُولُ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. قَالَ: ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى الظُّهْرَ...''[٥٦].

كما نلاحظ في الرواية السابقة أن الخَيمَةَ التي نُصِبَت للنبي ﷺ كانت حمراء اللون مثل لون ردائه، وهذا الحديث دليلٌ على أنه من الممكن والجائز استخدام اللون الأحمر في الثياب والأشياء الأخرى، كما أنه

(٥٤) **سنن أبي داود**، الطب، ١٤؛ **سنن الترمذي**، الجنائز، ١٨؛ الأدب، ٤٦؛ **سنن النسائي**، الجنائز، ٣٨، الزينة، ٩٧؛ **سنن ابن ماجه**، الجنائز، ١٢، اللباس، ٥.

(٥٥) **صحيح البخاري**، المناقب، ٢٣، اللباس، ٣٥؛ **صحيح مسلم**، الفضائل، ٩١؛ **سنن النسائي**، الزينة، ٥٩.

(٥٦) **صحيح مسلم**، الصلاة، ٢٤٩.

يبيّـن أن الثيـاب لـم تكن حمراء تمامًا وإنما كانت مشـوبةً باللون الأسـود ومزركشةً بتطريزاتٍ حمراء.

عن أبي رِمْثَةَ ﷺ قال: ''رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ''[٥٧]، وعلى الرغم من أن اللون الأبيض كان على رأس أحبّ الألوان إلى رسول الله ﷺ إلا أنّـه كان يفضـل اللون الأخضر كثيرًا ويأمر الناس به، وذلك لأنّ ثيـاب أهل الجنة لونُها أخضر، فقد قـال الله تعالى ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَـاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُـونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[٥٨]، لكن لا بدّ هنا من تحرّي الدقّة في فهمِ أمرين اثنين، الأوّل: أن لبس الثياب الخضـراء ليس واجبًـا أو فرضًا وإنّما هو من الألـوان المحبّبة والمفضّلة، والأمـر الثاني: ليـس المقصود بالثيـاب الخضراء؛ هي الثياب المنسـوجة باللـون الأخضـر المحـضِ دون إضافةِ ألوان أخرى، وإنمـا المقصود بها؛ الثياب المزركشة بنقوشٍ خضراءَ.

ج. حياكة الثياب

كان ﷺ إلـى جانـب الثيـاب المصنوعة مـن القطن يرتدي أيضًـا ثيابًا مصنوعةً من الصوف، ومـع أنه حرّم لبس الحرير على الرجال إلا أنه أجاز لبس الحرير في حالات الضرورة مثل المرض والحرب وبعض الحالات الخاصّة.

٢- أحذيته ﷺ

إن أحذيةَ رسول الله ﷺ نوعان، نوعٌ يُشبه الصَّنْدَل[٥٩]، ويسمى "نعلين"، ونوعٌ طويل الرقبة أو قصيرها يسمّى "خُفَّين".

(٥٧) **سنن أبي داود**، اللباس، ١٩؛ **سنن الترمذي**، الأدب، ٤٨.

(٥٨) سُورَةُ الْكَهْفِ: ٣١/١٨.

(٥٩) الصندل: خُفٌّ بنَعْلٍ متين له سُيور من الجلْدِ يثبَّتُ بها في القدمِ.

أ. خُفَّاه ﷺ الجلديّان

الخـفُّ: اسـمٌ لأحـد الأحذيـة التي كان يلبسـها المصطفـى ﷺ وكان يسـمّى الـزوج منـه خُفّين، وقد كان يُطلق هذا الاسـم علـى الأحذية التي تتجـاوز رقبتُها الكعبين قليـلًا مثل "الجزمة"، والخفّ الذي كان على عهد النبي ﷺ هو غير الخفّ الذي نراه اليوم في عصرنا، فلقد كان الخفّ على عهـد رسـول الله ﷺ يُنتَعلُ بمفرده ويُمشـى به دون لبس حـذاء آخر عليه، أمـا اليوم فالخـفّ يُلبَس ثم يُنتَعَلُ الحذاء فوقه. ولقد أُهديَ الرسـولُ خفًّا مـن جهتين مختلفتين، أحدهما كان من النجاشـيّ ملك الحبشـة، والأخر هديّـة أحـد الصحابة وهو دِحْيَـةَ الكَلْبِيّ ﷺ، ولقد انتعل الرسـول ﷺ كلًّا مـن الخفيـن حتـى أبلاهما، وهنـاك روايةٌ لـ"بريـدةَ" ﷺ يتحـدّثُ فيها عن الحذاء الذي أهداه النجاشـيّ لرسـول الله ﷺ فيقول: "أَنَّ النَّجَاشِـيَّ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَاذَجَيْنِ فَلَبِسَهُمَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا"(٦٠)، أمـا الأخـر -وهو هديّة دحيـة الكلبيّ- فقد جاء فيه روايةٌ عـن المُغِيرَة بن شُعْبَة ﷺ يقول "أَهْدَى دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خُفَّيْنِ فَلَبِسَهُمَا" وقال إسـرائيل عـن جابر عن عَامِرٍ ﷺ: "وَجُبَّةً فَلَبِسَـهُمَا حَتَّـى تَخرَّقَا"(٦١)، كما نجد في كتب الأحاديث الرواية التالية "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ أَبْعَدَ الْمَشْيَ، فَانْطَلَقَ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَتِهِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، وَلَبِسَ أَحَدَ خُفَّيْهِ، فَجَاءَ طَائِـرٌ أَخْضَـرُ فَأَخَذَ الْخُـفَّ الْآخَرَ، فَارْتَفَـعَ بِـهِ ثُمَّ أَلْقَاهُ، فَخَرَجَ مِنْهُ أَسْـوَدُ سَـابِحٌ، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: **هَذِهِ كَرَامَةٌ، أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا،** ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَـرِّ مَنْ يَمْشِـي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ**"(٦٢).

(٦٠) الترمذي: **الشمائل المحمدية**، ٨٠.

(٦١) **سنن الترمزي**، اللباس، ٣٠.

(٦٢) الطبراني: **المعجم الأوسط**، ٩/ ١٢١.

ب. نعلاه ﷺ

كان حذاء رسول الله ﷺ الذي يسمّى "نَعْلَين" هو نوع من الأحذية التي يطلَق عليها "صندل"، وله طوقٌ أو حبلٌ يشبه الجسر يغطّي القدم، وهذا الطوق الذي يسمّى "شراكًا" به رباطان، أحدهما يكون بين الإبهام والسبّابة، والآخر يكون بين الوسطى والبنصر، وهذه الأربطةُ تُسمى "قِبالًا"، وهي تُربط في النعل الأرضيّ من الأمام وتُخاط نهايتها في الطوق العلويّ، أما المادّة الخام المستخدَمة فهي جلد الماشية الغليظُ أو الرقيق المدبوغ، ولدينا روايةٌ توضّح شكلَ حذاءِ الرسول ﷺ فعن قتادة رضي الله عنه قال: ''قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: كَيْفَ كَانَ نَعْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: لَهُمَا قِبَالَانِ''[٦٣]، هذان القبالان؛ أحدهما يكون بين الإبهام والإصبع الوسطى، والآخر بين الوسطى والبنصر، وفي رواية أخرى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رضي الله عنهما قَالَ: ''كَانَ لِنَعْلِ النَّبِيِّ ﷺ قِبَالَانِ مَثْنِيٌّ شِرَاكُهُمَا''[٦٤].

٣- عماماته ﷺ

لم يكن الرسول ﷺ يلفّ عمامته على رأسه مباشرةً، بل كان يرتدي شيئًا يسمى "بُرنس" أو "قلنسوة" أوّلًا ثم يلُفُّ العمامة فوقها.

تُلبس العِمَّة فوق غطاء الرأس الذي ذكرناه آنفًا، ويُدَلَّى طرفاها بين الكتفين، وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:''كان النبيّ ﷺ إِذَا اعْتَمَّ سَدَلَ عِمَامَتَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ''[٦٥].

كان ﷺ يرتدي العمامة دائمًا ويوضّح أن طريقة ارتداء المسلمين لها تختلف عن طريقة المشركين، فيقول ﷺ: **''فَرْقُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، الْعَمَائِمُ عَلَى الْقَلَانِسِ''**[٦٦].

---

(٦٣) **سنن الترمذي**، اللباس، ٣٣.

(٦٤) **سنن ابن ماجه**، اللباس، ٢٧؛ وشِراكُ النعل: سيورٌ على ظهر القدَم، يشدّها إلى جانبي النعل ويُحكم التصاقها به.

(٦٥) **سنن الترمذي**، اللباس، ١٢؛ **سنن أبي داود**، الزينة، ١١٠، اللباس، ٢١.

(٦٦) **سنن أبي داود**، اللباس، ٢١.

لون عمامته ﷺ:

كان النبيّ ﷺ يرتدي العمامة البيضاء، كما كان يرتدي عماماتٍ بألوان أخرى في أوقاتٍ معيّنةٍ خاصّة، فقد ورد أنه لبس العمامة السوداء أثناء خطابه الذي ألقاه بعد فتح مكّة، فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ"(٦٧)، وهناك روايةٌ أخرى عن جابر أيضًا: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ"(٦٨)، وكان أحيانًا ما يصبغها بالزعفران -ذي اللون الأصفر- كما ذُكِر أنه كان يرتدي عمّةً حمراء اللون عندما كان يرتدي الجبّة الحمراء في أيّام الجمعة والأعياد.

وأخيرًا؛ لا بدّ أن نهتمّ بأن تكون ثيابنا طاهرةً وجميلة ومهندمة ونظيفة، وفي نفس الوقت متواضعةً ولا تصل إلى حدّ الإسراف والتبذير ويجب علينا أن نحمدَ الله ونشكره عند ارتداء كلّ ثوبٍ جديدٍ، وأن نتيمّن في ارتدائها كما لا يجوز أن نرتدي ثيابًا شفّافةً تُبيّن لون الجسد، ولا الثياب الضيقة التي تُظهر ملامحه، ويجب علينا أيضًا ألا نرتدي الثياب الخاصّة بالجنس الآخر، أو الثياب المحظورة والمحرمة شرعًا أو الثياب الفاخرة المبالغ فيها التي تؤدّي إلى التغطرس والتكبّر، أو إلى التفاخر والتباهي، ولا الثياب البالية المبعثرة التي تجلب السخرية والتهكّم والاستهزاء.

---

(٦٧) **سنن أبي داود**، اللباس، ٢١.

(٦٨) **صحيح مسلم**، اللباس، ٤٥١؛ **سنن ابن ماجه**، اللباس، ٢٢؛ **سنن أبي داود**، اللباس، ٢١.



القسم الثاني

آداب رسول الله ﷺ في الجلوس



كيفيّة جلوس رسول الله ﷺ

علمنا النبيّ ﷺ بعض المبادئ الخاصّة بالجلوس، ووضع لذلك قواعد وأُسسًا معيّنة مثلما فعل في غيرها من الأمور، وهي قواعد وآداب تهمّ كلّ امرئٍ مسلمٍ، وإذا نظرنا إلى حياة رسول الله ﷺ نرى كيفيّاتٍ مختلفةً لجلستِهِ طبقًا للزمان والمكان والأشخاص الموجودين حوله، كما نتعرّف أيضًا على طرق الجلوس التي أقرّها ﷺ وأمر بها أو التي نهى عنها.

أ. الكيفيّات التي طبّقها النبيّ ﷺ

١- الجلوس على الركبة



كانت طريقة جلسة الرسول ﷺ المعتادة هي الجلوس على الركبة، غير أنّنا لم نقابل أيّ روايةٍ عن الصحابة الكرام توضّح أنه ﷺ كان يجثو على ركبتيه، ولأنّه ﷺ كان يجلس على ركبتيه بصفةٍ عامّةٍ؛ فلذلك لم يُتطرّق إلى ذكر هذه الجلسةِ في متون الحديث بشكلٍ خاصٍّ، ولهذا

السبب لم تُصادف فيها عبارات من قبيل: "كان يجلس على ركبتيه" أو "رأيته ﷺ وهو جالسٌ على ركبتيه"، فنحن مثلًا نرى وصف هذه الجلسة في حديث جبريل عليه السلام فيقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ"[٦٩]، ويروي لنا أبو هريرَةَ رضي الله عنه مثل ذلك في حديثٍ آخر فيقول، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "سَلُونِي، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْه"[٧٠]، نرى في مثل هذه الأحاديث أن الرسول ﷺ كان يجلس على ركبتيه.

٢- التربّع في الجلسة

كما أن للرسول ﷺ جِلْسَة أخرى تُسمّى "التربّع"، وقد ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ"[٧١] أي إن المصطفى ﷺ كان يجلس بعد صلاة الفجرِ متربّعًا في مكان صلاته دون أن يتحوّل عن القبلة حتى طلوع الشمس، وفي ذلك الوقت كان ينشغل بذكر الله والردّ على أسئِلة الصحابة، وتلبية مطالبهم.

كان رسول الله ﷺ يحبّ جلسة التربّع لأنها الجلسة التي تريح الإنسان وهي تتناسب مع قواعد الآداب، حتى إنه ﷺ شُوهِدَ كثيرًا وهو يجلس هذه الجِلسة ليس في المسجد فقط بل في المنزل أيضًا وفي بعض المجالس العامّة مع الآخرين.

(٦٩) صحيح مسلم، الإيمان، ١.

(٧٠) صحيح مسلم، الإيمان، ١.

(٧١) سنن أبي داود، الأدب، ٢٦.

٣- الجلوس محتبيًا بيديه

أ. جلسة القُرْفُصَاء

وهي الجلسة التي يجلس المرء فيها على إليتيه ضامًّا قدميه إلى بطنه ثم يلفّ ذراعيه ويربطهما حول قدميه، ولقد رأى الصحابة النبيّ ﷺ أحيانًا وهو يجلس هذه الجلسة فيقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ مُحْتَبِيًا بِيَدِهِ هَكَذَا"[٧٢]، ولقد طبق الرسول ﷺ هذه الكيفيّة في الجلوس كثيرًا، وهناك روايةٌ أخرى للسيّدة قَيْلَةَ بِنْت مَخْرَمَةَ رضي الله عنها حيثُ قالت: "عندما جئت لأعتنق الإسلام رَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْمُخْتَشِعَ وَقَالَ مُوسَى -أحد الرواة-: الْمُتَخَشِّعَ، فِي الْجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ"[٧٣]، وسبب اختيار هذه الجلسة وتفضيلها أن فيها التسترّ الكامل إذ لا احتماليّة فيها لكشف العورة، وحينما قدِمت السيّدة قَيلَةُ بنتُ مَخْرَمَةَ إلى المدينة برفقة وفدٍ بُغيةَ اعتناق الإسلام؛ وقعَ نظرُها على الجلال النبويّ والكمال المحمّدي رسول الله ﷺ، فلما رأته ارتبكت واضطربت، وعندما أُخْبِرَ النبيّ ﷺ بما حلّ بها؛ طلب منها أن تهدأ وتطمئنّ، وعندما سمعت المرأة ذلك اطمئنّ قلبها، وهذا هو تفصيل الواقعة التي تُبيّن هيئة جلسة الرسول ﷺ في الحديث الشريف.

ب. جلسة الاحْتِباء

لقد عرَّفها عاصم أفندي بقوله: "هي أن يلتفّ الشخص بثوبه ويتلفّع بحزامه أو نطاقه ويلفّ به ظهره وساقيه"، فجلسة الاحتباء في هيئتها مثل الجلسة السابقة، لكن الفرق بينهما أنه في القرفصاء تلتفّ الركبتين باليدين أما في الاحتباء فهما يلتفّان بالنطاق أو بالحزام أو ما شابه ذلك.

---

(٧٢) صحيح البخاري، الاستئذان، ٣٤.

(٧٣) سنن أبي داود، الأدب، ٢٢.

٤- جلسة الجُثُوم

ثمّـة هيئـةٌ أخـرى لجلوس الرسـول ﷺ وهي "جلسـة الجُثُـوم" والتي كان يطبّقهـا كثيـرًا أثناء الطعـام وقد عُبِّر عنها فـي الأحاديث بـ"الاحتفاظ" أو "الإقعـاء"[٧٤] وفـي هذا رواية عن أنس بن مالـك ﷺ قال: ''رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا''[٧٥].

٥- الجلوس مُدليًا قدميه

وهي جلسة يجلسها المرء على حجرٍ أو جدارٍ أو مسبحٍ ويدلّي قدميه من أعلاها، في روايةٍ عن أبي موسى الأشعريّ ﷺ: ''أن رسول الله ﷺ كان مجتمعًـا مـع أصحابه فدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ''[٧٦].

ب. الجِلْساتُ التي نهى عنها ﷺ

هناك جِلسات لم يستحسنها الرسول ﷺ ونهى أصحابه عنها، وهي:

١- الجلوس واضعًا إحدى يديه خلفه

لـم يستحسن الرسول ﷺ الجلوس مـع وضـع راحة إحدى اليدين إلى الخلف والاستناد إليها، وفي رواية عَنْ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ ﷺ، قَالَ: ''مَرَّ بِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْـرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي، فَقَالَ ﷺ: **أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟**''[٧٧].

لقـد كان النبـيّ ﷺ ينبـه علـى الفـور عندما يشـهد مـن أصحابه ما لا يرتضيـه لهـم من سـلوك، فينهاهم عنه فورًا، وفي الحديث السـابق يتّضح

(٧٤) الإقعاء: هو الجلوس على الإليةِ ونصب الساق والفخذ، وهو يُشبه كثيرًا الجلوس على الركبتين.

(٧٥) **صحيح مسلم**، الأشربة، ١٤٨-١٤٩.

(٧٦) **صحيح البخاري**، أصحاب النبي، ٥.

(٧٧) **سنن أبي داود**، الأدب، ٢٤.

أنـه ﷺ لم يستحسـن تلك الهيئة مـن الجلوس، وذلك لأنّ من يجلس هذه الجلسـة يتولّـد لديه شـعور الغرور والتكبّـر، ومَن اغتـرّ وتكبّر فقد عصى الله، ومن يعصِ الله يكن من المغضوب عليهم، ولذلك شـبّه النبيّ ﷺ هذه الجلسة بجلسة المغضوب عليهم.

٢- الجلوس واضعًا يديه خلف ظهره

كمـا أن الجلـوس -بوضـع إحـدى اليدين خلف الظهـر- منهيٌّ عنه؛ فإن الجلوس بوضعهما كليهما غير مستحَبّ أيضًا، لأن هذه الجلسة أيضًا معروفةٌ بأنها جلسة التكبّر والتغطرس.

٣- الجلوس في أماكن غير مناسبة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: "**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ**، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ ﷺ: **فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ ﷺ: **غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ**"[٧٨].

فالجلوسُ في الطرقات بغرض تمضية الوقت والاسـتمتاع هو سـلوكٌ مكـروهٌ، لكـن إذا كانـت هناك ضـرورة لذلك فلا بدّ من مراعـاة ما أمر به الرسول ﷺ في هذا الشأن، وإذا ما أردنا الجلوس فلْنُراعِ في مجالسنا -إلى جانـب الآداب العامّة- الكيفيّات المسـتحبّة في هيئات الجلوس، فنجلس جلسـة التربّـع مثلًا أو نجثو أو نجلـس القرفصاء وفيما عدا ذلك لا ينبغي لنـا أن نجلـس واضعين يـدًا أو اثنتين خلف الظهر، كما أنه لا ينبغي لنا أن نجلس بين شخصين بلا استئذان، أو وسط حِلَقِ العلم أو في الأماكن التي يُستهزأ فيها بالدين كما سيأتي.

(٧٨) صحيح البخاري، المظالم، ٢٢؛ صحيح مسلم، اللباس، ١١٤.

ج. آداب الجلوس التي أوصى بها ﷺ

١- اتباع آداب الجلوس في المجالس

أمر الرسول ﷺ ببعض الآداب التي يجب اتّباعها عند الجلوس في المجالس، فمن جلس في مكانٍ للمرّة الأولى هو أحقّ به ممّن جاء وجلس بعده، ولهذا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقِيمَ الرَّجُلُ أَخَاهُ مِنْ مَقْعَدِهِ وَيَجْلِس فِيهِ[٧٩] وهناك روايةٌ أخرى "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ**"[٨٠]، ولذلك كان أصحاب المصطفى ﷺ عندما يدخلون مجلسًا يجلسون في الأماكن الفارغة دون إزعاج أحد، فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي"[٨١].

نعم، هناك أشخاصٌ يأتون إلى المجلس متأخّرين ويريدون الجلوس في المقدّمة وهذا سلوكٌ غير مقبول، فربما ينزعج مَن في المجلس بسبب هذا الأمر، وكما جاء في الأحاديث إذا لم يتوفّر مكان في المجلس فيجب على الجالسين إتاحة مكانٍ لمن جاء بعدهم أو محاولة تضييق الصفوف وضمّها، ولقد أكّد القرآن الكريم على أهمّيّة هذا الأمر في سورة المجادلة فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ**﴾[٨٢].

٢- عدم الجلوس بين شخصين دون استئذان

ومن الآداب والسلوكيّات الحضارية والراقية التي أمر الرسول ﷺ باتّباعها في المجلس؛ عدم الجلوس بين شخصين دون استئذان، وفي هذا

(٧٩) **صحيح البخاري**، الجمعة، ٢٠.

(٨٠) **صحيح مسلم**، السلام، ٣١.

(٨١) **سنن أبي داود**، الأدب، ١٤.

(٨٢) سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ: ١١/٥٨.

حديث نبويٌّ رواهُ عمرو بن شعيب ﷺ مرفوعًا: ''**لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا**''(٨٣)، أي لا يجوز الجلوس بين اثنين يجلسان جنبًا إلى جنبٍ إلا بإذنهما.

و ممّا لا يجوز فعله من السلوكيات أيضًا؛ محاولةُ تخطّي رقاب الجالسين في المسجد من أجل التقدّم إلى الصفوف الأمامية، وفي هذا يشرح لنا أنس بن مالك ﷺ واقعةً حدثت في عهد النبي ﷺ فيقول: ''بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى جَلَسَ قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ ﷺ: **مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُجَمِّعَ مَعَنَا؟** قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ حَرَصْتُ أَنْ أَضَعَ نَفْسِي بِالْمَكَانِ الَّذِي تَرَى قَال ﷺ: **قَدْ رَأَيْتُكَ تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَتُؤْذِيهِمْ، مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ** ﷻ''(٨٤)، وقد كان سؤال رسول الله ﷺ ذلك الرجل:''**مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُجَمِّعَ مَعَنَا؟**'' إخبارًا منه ﷺ للرجل بأنّ ما فعله من تخطّي الرقاب هو أمرٌ مذموم، فربما تُقبل صلاة الرجل؛ إلا أن إيذاءه الناس ليس أمرًا محمودًا، ولذلك فإن سيدنا رسول الله ﷺ اضطرّ إلى تنبيهه.

٣- النهي عن الجلوس وسط الحَلْقَة

إن الجلوس وسط حلقةٍ -اجتمعت من أجل الذكر أو الوعظ أو التعليم- سلوكٌ مذمومٌ غير محمود، وفي رواية عن حذيفة ﷺ: ''أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ''(٨٥).

(٨٣) **سنن أبي داود**، الأدب، ٢١.

(٨٤) الطبراني: **المعجم الأوسط**، ٦٠/٤؛ **المعجم الأوسط**، ٢٨٤/١.

(٨٥) **سنن أبي داود**، الأدب، ١٤.

٤- النهي عن الجلوس في الأماكن التي يُسخر فيها من الدين

لا يجوز للمسلمين أن يتواجدوا في الأماكن التي يُستهزأ فيها بآيات الله ويُستخفّ بها، وهذا الأمر ذُكر في القرآن الكريم فقال تعالى: **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾**[٨٦].

أما الذين يجلسون في مجالس لا تخوض في الدين ولا تهزأ به، بل هي مجالس عادية؛ فيقول لهم النبي ﷺ فيما يروي عنه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا: **"مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ"**[٨٧].

---

(٨٦) سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤/١٤٠.

(٨٧) **سنن الترمذي**، الدعوات، ٣٩.



القسم الثالث

آداب رسول الله ﷺ في المأكل والمشرب



كيفية مأكله ومشربه ﷺ

أ. أقواله ﷺ وأفعاله الخاصّة بالطعام

١- غسل الأيدي قبل الطعام

أمـر المصطفى ﷺ بغسـل الأيدي قبـل الطعام، ذلك أنهمـا أكثـر عضوين يتمّ اسـتخدامهما في الحيـاة اليوميّة ويتّسـخان كثيـرًا، وغسـلهما ضـروريٌّ جـدًّا مـن ناحيـة الطهارة والنظافة من جهة، ومن الناحية الصحّيّة من جهةٍ أخرى، وهناك بَرَكَةٌ خاصّةٌ في غسـل اليدين فعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: ''قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الوُضُوءُ بَعْدَهُ، فَذَكَـرْتُ ذَلِـكَ للنَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْتُـهُ بِمَا قَرَأْتُ فِـي التَّوْرَاةِ، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: **بَرَكَةُ الطَّعَـامِ الوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالوُضُوءُ بَعْدَهُ**''(٨٨).



---

(٨٨) سنن الترمذي، الأطعمة، ٣٩.

٢- البسملة قبل الطعام

إحدى سنن النبيّ ﷺ وسلوكيّاته الكماليّة هي بدء الطعام بالبسملة كما هو الحال عند بَدْءِ كلّ عملٍ طيّبٍ، وفي الحديث الذي روته السيّدة عائشة رضي الله عنها نتعلّم ما يجب علينا فعله عند نسيان ذلك، حيث قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ**"(٨٩)، وكما أن لكلّ عملٍ أسلوبه وأصوله وآدابه، فالبسملة هي من آداب الطعام وطقوسه الدينية، وليس استحباب البسملة مقصورًا على بدء الطعام فقط، بل تُندبُ البسملةُ وتُطلَب إبّان كلّ عملٍ، فعن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول "**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ والعشاء**"(٩٠).

أي إن الشياطين في كلّ مكانٍ لهم قادةٌ ورؤساء، فإذا ذُكِر اسم الله في أيّ مكانٍ يتواجدون فيه فإنهم سرعان ما يهربون، ولا يكون لهم أيُّ نصيبٍ من ذلك المكان؛ لأن المكان بورِكَ باسم الله، ولكن إن لم يُذكر اسمُ الله عند دخول المنزل يُخبرُ قائد مجموعة الشياطين في ذلك المكان مجموعَتَهُ وفرقته بأنهم يستطيعون المبيت في هذا المنزل، وأنهم يشاركون أصحابه في التناول من الطعام ما لم يُبدأ بالبسملة.

نهيه ﷺ عن الشروع في الطعام دون ذكر الله

ويستوقفنا في هذا الشأن حديثٌ رواه حُذَيفَةُ رضي الله عنه فقال: "كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ،

(٨٩) سنن أبي داود، الأطعمة، ١٥؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ٤٧.

(٩٠) صحيح مسلم، الأشربة، ١٠٣؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ١٥؛ سنن ابن ماجه، الدعاء، ١٩.

وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا**"[٩١]، ويُفهم من الحديث السابق أن الشيطان قد يستفيد من الطعام والشراب والمبيت، غير أنه لا يحصل على ذلك إلا بشرط عدم ذكر أهل البيت اسمَ الله عند دخول منازلهم وعند طعامهم وعند شرابهم؛ عندئذٍ يتمكّن الشيطان من دخول البيت ويشاركهم طعامهم، وكأن البسملة تمثل درعًا واقيًا معنويًّا من كلّ شيطانٍ رجيم.

ما نفهمه من قول النبي ﷺ "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ"

١ـ إن مشاركة الشيطان إيّانا في كلّ لقمةٍ نتناولها تعني أن المرء لا يشبع مهما أكثَرَ من الطعام، كما أن الشيطان أيضًا قد يدخل أجسامنا مع الطعام الذي نأكله إذا لم نذكر الله، فالبسملة تمثّل القفل المتين الذي يمنع دخول الجنّ والشياطين، وهي -أيضًا بالنسبة للمسلم- الحصن الحصين من شتّى الأمراض الحسّيّة والمعنويّة، ومن ثم فإننا نجد من يبدؤون طعامهم بالبسملة ينجون من أمراض كثيرة.

٢ـ تطرد البسملة الفيروسات والبكتريا المعنوية الموجودة في الطعام، وتُطهّره تطهيرًا معنويًّا، مثلما نُطهّر أطعمتنا من هذه الفيروسات والبكتريا مادّيًّا.

٣ـ عدمُ ذكر اسم الله عند بدء الطعام يفتح للشياطين بابًا خاصًّا على نحو مستقلٍّ يَلِجُونَ منه ويأخذون طعامهم، وينبغي أن نعلمَ أنّ أكلَهم من

---

(٩١) صحيح مسلم، الأشربة، ١٠٢؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ١٥.

طعامنا لا يتشابه -أبدًا- مع طريقة أكلِنا وكيفيّة استخدامنا للأدوات، وإنما لهم طريقتهم الخاصّة التي لا يعلمها إلا الله.

وجوبُ قولِ البسملةِ حين تَذَكُّرِها

وفي هذا الشأن يروي لنا الصحابي الجليل أُمَيّةُ بنُ مَخْشِيّ ﷺ واقعةً غريبةً فيقول: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةٌ فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ قَالَ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: **مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللهِ ﷻ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ**"(٩٢)، لقد كان الحبيب المصطفى ﷺ بشرًا مثلنا تمامًا من الناحية الفيسيولوجيّة، إلا أن الله أعطاه من الخصائص والمزايا مالم يسبق لغيره فكان يطّلع على عالم الغيب -إذا ارتضى الله ذلك، وبالقدر الذي يرتضيه له- الذي لا نعرفه ولا نُدركه، إلا أننا نؤمن به إيمانًا وتصديقًا، فالنبيّ ﷺ -عند هذه الحادثة في الحديث السابق- يبتسم لأنه يرى ما لا نراه، ويُبصر ما نعجز عن إبصاره، ثم يُخبرنا بما أطلعه الله عليه من الغيب، فيشرح لنا أنه ﷺ تبسّم لأن الشيطان يدخل -دون استئذانٍ- مكانًا لم يُدْعَ إليه، ويتناول طعامًا لا حقّ له فيه، ثمّ لما بَسْمَلَ الرجل استقاءَ الشيطان ما أكله فنال عقابه، ونستطيعُ ضرب مثالٍ توضيحيٍّ على ذلك؛ وهو اللصّ السارق الذي بعد أن سرق وجمع مالًا كثيرًا؛ جاءته الشرطة فجأةً وبدأت بملاحقته، فترك كلّ مسروقاته وأمواله وفرّ هاربًا لا يحمل منها شيئًا، وفورَ هُرُوبِهِ أُعيدت المسروقات إلى أربابها.

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى**

(٩٢) **سنن أبي داود**، الأطعمة، ١٥؛ **سنن النسائي**، آداب الأكل، ١٥.

لَكَفَاكُمْ"[٩٣]، إذًا فالبسملة تُبعد الشيطان عن المائدة وتطرحُ البَرَكَةَ في الطعام، وأما المائدة التي تُحْرَمُ من البسملة فتكون عديمةَ البركةِ كثيرةَ الشياطين، وبناءً عليه يجب علينا أن نسمّي قبل كلّ طعام ونذكر اسم الله وألا نسمح للشياطين أن يشاركوننا الطعام.

٣- الأكل باليد اليمنى

كان النبيّ ﷺ يأكل بيمينه ويأمر أصحابه بذلك، وكان يُعلِّم هذه الأصول والآداب الإسلاميّة لِمَنْ لا يعرف آداب الطعام، فيُبسِّطَ الأمرَ بأقوالٍ وأحاديث سَلِسَةٍ سهلةٍ دون أن يجرح شعور أحدٍ، حتى الأطفال الصغار كان يأمرهم بِلِينٍ ورأفةٍ دون غَضْبٍ أو غَضَبٍ، فهذا عمرو بن أبي سلمة -ربيب رسول الله ﷺ- يحدّثنا عن ذلك فيقول: "**كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**"[٩٤]، ويتّضح من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ كان يتعامل مع الأطفال الصغار بالرأفة واللين وليس بالغصب والغضب، وكان يرى أن الأفضل هو نصحهم وإرشادهم.

٤- عدم تناول الطعام باليد اليسرى

لم يأكل الرسول ﷺ بشماله قطّ، بل ونهى عن ذلك، ولهذا كان ينهى من حوله إذا أكلوا بشمالهم، فعن سلمة بن الأكوع ﷺ: "أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِمَالِهِ فَقَالَ ﷺ: **كُلْ بِيَمِينِكَ**، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ ﷺ: **لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ**، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ"[٩٥]، كان نبيّنا ﷺ

(٩٣) سنن الترمذي، الأطعمة، ٤٧؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ٧.

(٩٤) صحيح البخاري، الأطعمة، ٢،٣؛ صحيح مسلم، الأشربة، ١٠٨؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ٤٧؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ٨.

(٩٥) صحيح مسلم، الأشربة، ١٠٧.

يعلّم الناس البرّ ويدعوهم إليه وقضى حياته مضحّيًا في سبيل ذلك، كان رحمة الله للعالمين ﷺ لا يدعو بالسوء ولو حتى على ألدّ أعداء الإسلام؛ إلا أنه كان أحيانًا ما يُضطرّ إلى ذلك إن لم يكن بيده حيلة غير ذلك -مع العلم أنه لا يتجاوز عدد من دعا عليهم بضعة أشخاص- والسبب في أن الرسول دعا على هذا الرجل هو أنه تكبّر وتغطرس وعصاه وأظهر عناده، فقد أصرّ أن يأكل بشماله مع أنه يستطيع الأكل بيمينه، أمّا من كان مقطوع اليد اليمنى أو مفلوجها -أي مشلولها- فإنه قطعًا يُعفى من استخدام اليمنى وسيستخدم يده اليسرى، لكنّ ذلك الشخص أكل بشماله دون عُذْرٍ أو مرضٍ، وهل هناك أقبح من مخالفة الأنبياء والمرسلين وعنادهم! فنحن ننفّذ أقوال الأكبر منّا سنًّا دائمًا بكلّ احترامٍ وتقديرٍ، حتى إننا نعتبر ما يوصوننا به أمرًا -إذا ما كان القائل شخصًا نحبّه ونحترمه- يجب تنفيذه، وقد يستمع الإنسان في بعض الأحيان إلى نصيحة من هو أصغر منه سنًّا؛ ذلك لأن المرء قد يكون أصغر سنًّا لكنّه أكبر عقلًا، فكيف إذا كان الآمر هو حبيب القلوب رسول الله ﷺ، ومع ذلك فإن النبيّ ﷺ لم يُعاقبه وإنما أظهر إنكاره لهذا الفعل بقوله "لا اسْتَطَعْتَ"، فقد كان ﷺ لا بدّ إلا وأن يفعل شيئًا تجاه هذا السلوك القبيح، فقام بزجره ونهيه بأبسط طريقةٍ ألا وهي القول.

إنّ تناول الطعام باليمنى هو أنسب شيءٍ لفطرة الإنسان، ونظرًا لأنّ الأكل بالشمال مذمومٌ؛ فهذا يعني أنه مخالفٌ للفطرة الإنسانية، بيد أن هناك أناس يستخدمون اليد اليسرى بالاعتياد والفطرة منذ الصغر، وتحريم الأكل باليسرى بالنسبة إليهم يكون جورًا في حقهم، لذلك نطلب منهم تعلّم الأكل باليد اليمنى والتعوّد على ذلك قدر المستطاع، وسيستطيعون ذلك يقينًا إذا ما حاولوا وبذلوا جهدَهم، ولقد قال علماء الحديث أنه

إذا كانت يدُ المسلم اليمنى سليمة ويأكل اعتيادًا بشماله؛ فإن هذا يُعدّ مكروهًا، أمّا إذا نوى بأكله بالشمال عصيانًا للقيم الدينية واستخفافًا بها وتقليدَ غير المسلمين؛ فإن ذلك يُعدّ ذنبًا وإثمًا ومعصيةً يُلام عليه، وهنا يستوقفنا البيت التالي للشاعر "نجيب فاضل" حيث يقول:

سلّمت دومًا عقلي وفكري ليميني
وإن لم تكن لها حاجة لقطعت يساري

٥- تلبية الدعوة إلى الطعام

وممّا أوصى به المصطفى ﷺ من آداب الطعام أيضًا ألا يرفض الشخص الدعوة للطعام كأن يقول ''لا أشتهيه'' وهو جائع، فقد ورد عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها، قَالَتْ: ''أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ: بِطَعَامٍ، فَعَرَضَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا لَا نَشْتَهِيهِ، فَقَالَ ﷺ: **لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا، وَكَذِبًا**''[٩٦]، وهنا يأمر الرسول ﷺ الناس بوجوب تلبية الدعوة إلى الطعام إذا كان المدعوّ بحاجةٍ إليه.

٦- الأكل ممّا يليه

كان رسول الله ﷺ يأكل ممّا يليه ويأمر بذلك، وينقل لنا عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنه واقعةً حدثت له فيقول: قال لي رسول الله ﷺ ''**سَمِّ الله وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**''[٩٧]، فلقد علّم الرسول ﷺ عمرو بن أبي سلمة ثلاثةَ آدابٍ من آداب الأكل دون أن يوبّخه، ضاربًا لنا بذلك أجمل نموذجٍ في التربية.

وسنوضّح لكم الحديث المذكور أعلاه:

---

(٩٦) سنن ابن ماجه، الأشربة، ٢٣.

(٩٧) صحيح البخاري، الأطعمة، ٢-٣؛ صحيح مسلم، الأشربة، ١٠٨؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ٤٧؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ٨.

١ـ سَمِّ الله.

البسملة هي أساس كلّ خيرٍ، وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نجعل البسملةَ فاتحةً لأيّ عملٍ وشُرُوعٍ، وليست عند ابتداء الطعام فقط.

٢ـ كُلْ بيمينك

الجانب الأيمن واليد اليمنى فيه البركة والخير ولهذا كان النبي ﷺ ينتبه قدر المستطاع لطعام وشراب أهل بيته وأصحابه، وكان -في غاية اللطف- يعلّمهم السلوك المحمود وينهاهم عن السلوك المذموم دون تجريحٍ أو تشهيرٍ، ومن هذا المنطلق يجب تحرّي الدقّة في هذا الأمر خصوصًا مع الأطفال، لأن الطفل في هذه الأعمار يقلّد كلّ العادات التي يراها أمامه ويتعلمها بفطرته، وإذا ما تطبّع أو انفطر الطفلُ على سلوكٍ -سواء كان محمودًا أو مذمومًا- فإنّ هذا السلوك سيرافقه مدى حياته غالبًا ويكون من الصعب التخلّص منه أو نسيانه.

٣ـ كُلْ ممّا يليك

في الوقت الحاليّ عادة ما يُخصّص طبقٌ لكلّ فردٍ في أثناء الطعام، لكن في الولائم الخاصّة أو حفلات العُرس أو الزواج أو في حالات الطعام الجماعيّ عادة ما يوضع وعاء الحساء في وسط المائدة ويوضع الطعام في صينيّة واحدةٍ كبيرةٍ، وحينها تتّضح مدى أهمّيّة هذه الكلمة "كُلْ مِمّا يَليك" في العلاقات الإنسانيّة، فقد نقل النبيّ ﷺ البشر -الذين كانوا قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان يأكلون ثم يمسحون بأكمامهم دون أيّ آدابٍ أو سلوكيّاتٍ معتبرة- نقلهم إلى الكمالات، وعلّمهم السلوكيّات الفاضلة والآداب الراقية، ومِن ذلك ما رواه عِكْرَاشِ بْنِ ذُؤَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ:

''بَعَثَنِي بَنُو مُرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِصَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَ ﷺ: **هَلْ مِنْ طَعَامٍ؟** فَأُتِينَا بِجَفْنَةٍ كَثِيرَةِ الثَّرِيدِ وَالوَذْرِ، وَأَقْبَلْنَا نَأْكُلُ مِنْهَا، فَخَبَطْتُ بِيَدِي مِنْ نَوَاحِيهَا وَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، فَقَبَضَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى عَلَى يَدِي الْيُمْنَى ثُمَّ قَالَ ﷺ: **يَا عِكْرَاشُ، كُلْ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَإِنَّهُ طَعَامٌ وَاحِدٌ**، ثُمَّ أُتِينَا بِطَبَقٍ فِيهِ أَلْوَانُ التَّمْرِ، فَجَعَلْتُ آكُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَجَالَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الطَّبَقِ وَقَالَ ﷺ: **يَا عِكْرَاشُ، كُلْ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّهُ غَيْرُ لَوْنٍ وَاحِدٍ**''(٩٨).

٧- الاتّكاء أثناء الأكل

كان نبيُّنا ﷺ -الذي يقوم بكلّ أمرٍ على أكمل وجهٍ وأحسنه- قدوةً لأصحابه في تناول الطعام، وقد علّم أصحابه الآداب الدينيّة والجلسات الحسنة، ونتعلّم من الحديث الشريف الذي رواه أبو جُحَيفَةَ وهب ابن عبد الله واحدةً من السلوكيّات النبويّة، حيثُ يروي عن رسول الله ﷺ قوله ''**لَا آكُلُ مُتَّكِئًا**''(٩٩)، فإن الاتّكاء أثناء تناول الطعام هو حال السلاطين القدامى والأغنياء المختالين والمغرورين المتغطرسين من الناس، فهؤلاء الأشخاص لا يدركون كمّيّة الطعام الذي يأكلونه لأنهم يتناولونه وهم متّكئون، ومعظم الأحيان يجلسون أمام المائدة ساعات طويلة فيأكلون وهم يتابعون أحاديثهم وقصصهم، ولهذا نهى الرسول ﷺ عن هذه الجلسة التي تُنسي الإنسان مقدار ما أكله وتبعث فيه الشعور بالغرور والكبرياء.

(٩٨) سنن الترمذي، الأطعمة، ٤١.

(٩٩) صحيح البخاري، الأطعمة، ١٣؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ١٦؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ٢٨؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ٦.

٨- التواضع في الجلوس على المائدة

كان رسول الله ﷺ يجلس لتناول الطعام بتواضعٍ تامّ، وفي هذا الشأن تحكي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: **يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ، أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ لَكَ إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَأَشَارَ إِلَيَّ جِبْرِيلُ ضَعْ نَفْسَكَ فَقُلْتُ نَبِيًّا عَبْدًا**، قَالَتْ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ لا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا وَيَقُولُ ﷺ: **آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدَ**"(١٠٠).

وقد أخبر المصطفى ﷺ بقوله هذا أنه يولي اهتمامه أولًا لأن يكون عبدًا لله كما أنه أيضًا يجلس مثل الناس ويأكل مثلهم، وأكد ذلك بأفعاله، وكانت هذه المبادئ هي الفلسفة الأساسية لحياته ﷺ ومن ثم كان يتواضع أمام نعم الله ويشكره دومًا عند كل طعام.

٩- تناوُلُ الطعام جالسًا

تناول الطعام في حالة الجلوس المعتدل دون الاتّكاء أرضًا هو احترامٌ وتقديرٌ عظيمٌ للنعمة، وهو أيضًا تقديرٌ وشكرٌ لله عز وجل الذي أنعم علينا بها، وكان النبيّ ﷺ يُحقّق غاية التواضع في هيئات وكيفيّات جلساته، حتى إنه كان يجلس ويجثو على ركبتيه أحيانًا، فعن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه قال: "أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةً، فَجَثَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، يَأْكُلُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ؟ فَقَالَ ﷺ: **إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا**"(١٠١)، وفي روايةٍ أخرى عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا"(١٠٢)، وبالطّبعِ ففي عهد النبي ﷺ كان الطعام

(١٠٠) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ٣٨١/١.

(١٠١) **سنن ابن ماجه**، الأطعمة، ٦.

(١٠٢) **صحيح مسلم**، الأطعمة، ١٤٨.

يـؤكل علـى مائدةٍ أرضيّةٍ ولذلك كان الجميـع يجلس على الأرض، وكان الناس يتّخذون أشـكالًا متنوّعةً فـي كيفيّات وهيئات الجلوس، فمنهم من يجلس على ركبتيه، ومنهم من يجثو ومنهم من يجلس متربّعًا.

وكان لنبيّنا الكريم ﷺ جلسـات مختلفة متنوّعة وكانت هذه الجلسات تختلف بقلّة وكثرة الموجودين على المائدة، فإن لم تكن المائدة مزدحمة يجلـس متربّعًـا، أما إذا كانت مزدحمةً أو كان ثمّةَ من سـيأتون بعده فكان يجلـس علـى ركبتيه أو علـى ركبةٍ واحدةٍ لكي يُفسـح مكانًا للقادمين من بعده، وكان الرسول ﷺ لا يجلس ناصبًا ركبتيه أثناء الصلاة وفي المسجد، إلا أنه ورد أنه جلس بهذا الشكل خارج المسجد.

وينقل لنا أنس بن مالك ﵁ في الحديث السـابق أن الرسـول ﷺ كان يجلـس ناصبًا ركبتيه أرضًا وهو يأكل التمر وأنه كان لا يجلس في الصلاة أو داخل المسـجد هكذا احترامًا للعبادة والمسجد، وفي وقتنا الحاليّ ثمّة عائلاتٌ كثيرةٌ لا تزال تأكل على المائدة الأرضيّة، فإن كان عدد الجالسين علـى المائدة قليلًا جلسـوا متربّعين، أمـا إذا كان العدد كثيرًا فإنهم يجثون على ركبتيهم أو على ركبةٍ واحدةٍ وينصبون الأخرى أو يجلسون مُقْعين.

١٠- عدم انتقاد الطعام

لم ينتقد الرسول ﷺ طعامًا قطّ، ويقول أبو هريرة ﵁ في حديثٍ يتعلّق بهذا الشـأن: "مَا عَابَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ كَانَ إِذَا اشْـتَهَى شَيْئًا أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ"(١٠٣)، ولم يوبّخ الرسول ﷺ أحدًا من زوجاته مطلقًا بسبب الطعام؛ إذ كان مثالًا للّطف وحسـن المعاملة، فكان إذا استحسـن الطعام تناول منه، وإلّا؛ تركه ولم يعبْهُ، ولم يُحرّمه.

---

(١٠٣) **صحيح البخاري**، المناقب، ٢٣، الأطعمة، ٢١؛ **صحيح مسلم**، الأشربة، ١٨٧-١٨٨؛ **سنن أبي داود**، الأطعمة، ١٣؛ **سنن الترمذي**، البر، ٨٤.

١١- الجلوسُ وتناوُلُ الطعام في جماعةٍ

من أهمّ الأمور الخاصّة بآداب الطعام هي أن تتناول الأسرة أو المجموعة وجبتها وطعامها جماعةً في وقتٍ واحدٍ مجتمعين قدر الاستطاعة، وأن لا يتناولوا طعامهم فرادى، ففي الحديث الشريف عن وَحْشِيّ بنِ حَربٍ ﵁ قال: ذات مرّةٍ قال أصحاب رسول الله ﷺ: "يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَأْكُلُ، وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ ﷺ: **فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ؟** قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: **فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ**"(١٠٤)، كما نتعلّم أيضًا من حديث أبي هريرة ﵁ أنّ تناوُلَ الطعام في جماعةٍ يباركه ويجعله يكفي لأناس أكثر، يقول رسول الله ﷺ: "**طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ**"(١٠٥)، وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله ﵁ -تتعلق بأن الجماعة تكون سببًا في بركة الطعام- يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الِاثْنَيْنِ وَطَعَامُ الِاثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**"(١٠٦).

١٢- الانتهاء من الطعام

من الآداب أن يُنهي المرء الطعام الذي أمامه أو يأكل منه قدر استطاعته، وفي هذا رُويَ عن أنس بن مالكٍ ﵁ أن رسول الله ﷺ "أَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ قَالَ: **فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ**"(١٠٧)، وفي روايةٍ أخرى عن أنس بن مالكٍ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ "**إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ فَإِنَّكُمْ**

(١٠٤) سنن أبي داود، الأطعمة، ١٤؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ١٧.

(١٠٥) صحيح البخاري، الأطعمة، ١١؛ صحيح مسلم، الأشربة، ١٧٩-١٨١؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ٢١؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ٢.

(١٠٦) صحيح مسلم، الأشربة، ١٧٩-١٨٠؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ٢١؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ٢.

(١٠٧) صحيح مسلم، الأشربة، ١٣٦؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ٤٩؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ١١.

لَا تَـدْرُونَ فِـي أَيِّ طَعَامِكُـمْ الْبَرَكَـةُ"[١٠٨]، وهنـا يحثّنـا الرسـول ﷺ على استهلاك مـا وضـع مـن الطعام في الإنـاء وذلك من أجـل الحيلولة دون الإسـراف، وفـي عصرنا الآن؛ بعضُ المؤسّسـات المعاصـرة التي تعرض الطعـام فـي "بوفيه" مفتوحٍ يشـتري المرء منه الخبز والطعـام بما يزيد عن حاجته كثيرًا قائلًا: "سأدفـع ثمنًا موحّدًا، سواءً أخذتُ قليلًا أو كثيرًا"، ثم يلقيـه في القمامة دون أن ينتهي منه جميعًا، ولذلك أمرنا الرسـول الكريم ﷺ قبـل عصـورٍ مـن الزمن بأن نعتنـي بالطعام وإن كان لقمـةً واحدةً وألا نُسـرف فيه أبدًا، ويسـتوقفنا هنا حديث رسـول الله عن الانتهاء من الطعام الذي في الوعاء، فعن أبي اليَمَانِ المُعَلَّى بْنِ رَاشِدٍ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي جَدَّتِي أُمُّ عَاصِمٍ -وَكَانَتْ أُمَّ وَلَدٍ لِسِـنَانِ بْنِ سَـلَمَةَ- قَالَتْ: "دَخَلَ عَلَيْنَا نُبَيْشَةُ الخَيْرِ وَنَحْنُ نَأْكُلُ فِي قَصْعَةٍ، فَحَدَّثَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **مَنْ أَكَلَ فِي قَصْعَةٍ ثُمَّ لَحِسَهَا اسْتَغْفَرَتْ لَهُ القَصْعَةُ**"[١٠٩].

١٣- الطعام والشراب بمقدار

مـن الضـروريّ جـدًّا والمهـمّ بالنسـبة للروح وسـلامة البنيـة تحقيق التوازن في المأكل والمشـرب وعـدم الإفراط فيه، فقد قال ﷺ في حديثٍ عن مِقْدَامِ بنِ مَعْدِيْ كَرِبَ رضي الله عنه: "**مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِـهِ**"[١١٠]، وفي روايةٍ إن المقوقس أرسـل مـع الهدية طبيبًا، فقال لـه النبي ﷺ: "**ارْجَـعْ إِلَى أَهْلِكَ، نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوع، وإِذَا أَكَلْنَا**

(١٠٨) صحيح مسلم، الأطعمة، ١٣٦؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ٥٠؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ١١.

(١٠٩) سنن الترمذي، الأطعمة، ١١.

(١١٠) سنن الترمذي، الزهد، ٤٧؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ٥٠.

لَا نَشْبَعِ"[١١١]، وقد تطرّق الرسول ﷺ هنا إلى موضوعٍ مهمٍّ يتعلّق بسلامة الإنسان وصحّته، وهو أن تناوُل القليل من الطعام يمنع الأمراض ويُعيقها، والحقيقة أن الأشخاص الذين لا يأكلون إلا وهم جائعون، وعندما يأكلون لا يشبعون لا تمتدّ إليهم يد الأمراض إلا قليلًا، وهو الأمر الذي تحدّث عنه الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، والذي يُفهم فهمًا جيّدًا في وقتنا الحاليّ، فكثرةُ الطعام تؤدّي إلى تشغيل الأعضاء الداخليّة أكثر من اللازم وهو ما يتسبّب في إنهاكها دائمًا إلى أن يتمّ إضعافها وتقصيرها، وعندئذٍ تتضاءلُ -إلى أن تنعدم- مناعةُ الجسد ضدّ الأمراض، وعلى الفور يتأثّر الجسد بالفيروسات والبكتريا، ومن ثم تبدأ رحلة الأمراض والمعاناة.

ومما قرّره الأطبّاء والمتخصّصون؛ أن مرض "السكّر" يظهر في سنّ الستين نتيجةً لضعف عضو "البنكرياس" الذي يفرز مادّة "الأنسولين" غير أننا نراه في هذه الأيام يظهر في سنوات الطفولة وذلك بسبب سوء التغذية الزائدة، وهذا الوضع يُشكّل خطرًا داهمًا على سلامة الإنسان وصحّته، بالإضافة إلى أن أمراض السكّر والضغط وأسقام القلب أمراضٌ يندر التعافي منها ويصعب ويُكلِفُ علاجُها، فلا بد للإنسان الذي أُصيب بهذه الأمراض أن يغيّر نمط حياته وأسلوبها إلى أسلوبٍ صحّيٍّ آخر يكون أفضل للجسم وأرخص تكلفةً، وذلك النمط هو التقليل من الطعام كما أخبر رسولنا الكريم ﷺ، كما أن المنهجيّةَ واضحةٌ، فثلثُ المعدة للطعام، وثلثٌ للشراب، وثلثٌ للتنفّس، فإذا ما طبّقنا نظام التغذية بهذه الطريقة نكون قد ابتعدنا عن الأمراض ولن نحرم أنفسنا في أيّ وقتٍ من تذوّق نِعَمِ الله في هذه الدنيا، ولا ننسى أننا بذلك نغيِّرُ تدريجيًّا تصرّفاتنا كلّها

(١١١) الحلبي: إنسان العيون (السيرة الحلبية)، ٣/ ٢٩٩.

ونحوّلها من عاداتٍ إلى عبادات، ومن تصرّفات عاديّة إلى اتّباعٍ وإحياءٍ لسنّة النبيّ ﷺ، إذًا فعلى الإنسان ألّا يصل به الأمر إلى أن يكون الطعام والشراب هو هدفه في الحياة لأن أساس الحياة هو العبادة، ويلزم لهذه العبادة القوّة والنشاط والحيويّة ولكي تتحقق هذه الأمور يجب على المرء أن يأكل ولكن دون إفراطٍ ولا تفريطٍ، وإلا سيبتعد عن الغاية والهدف المنشود، ولقد بيّن الرسول الكريم ﷺ أن المسلم يتناول طعامه في معيٍّ واحدٍ بينما الكافر يتناوله في سبعة أمعاءٍ، فوضح لنا المبدأ الأساسيّ لديننا في هذا الشأن في تشبيهٍ جميل، فعن أبي هريرة ؓ قال: جاء ضيف إلى رسول الله ﷺ، وكان هذا الضيف وقتئذ كافر، فأمر الرسول ﷺ له بحليب الماعز، فشرب الضيف وانتهى منه وظل هكذا حتى شرب سبعة أكواب، أسلم هذا الضيف في الصباح التالي، فأمر الرسول ﷺ له بالحليب ثانية، شربه الضيف فأحضر له الرسول ﷺ مرةً أخرى، غير أنه لم يشربه بأكمله، وعليه قال الرسول ﷺ: "**يَأْكُلُ المُسْلِمُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**"(١١٢)، لايؤمن الكفار بالآخرة لأنهم لا يؤمنون بالله، ومن ثمّ فإن غايتهم في الحياة الدنيا تذوُّق كلِّ شيءٍ والاستمتاع به، والمعدة والشهوات بالنسبةِ إليهم فوق كلّ شيءٍ فلا يجب أن يكون المسلم مثلهم، عليه أن يهتمّ بطعامه وشرابه ويبتغي رضا الله في جميع أعماله، وهناك مثال آخر عن مقدار الطعام عَنْ ابْنِ عُمَرَ ؓ، قَالَ: تَجَشَّأَ(١١٣) رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيّ ﷺ، فَقَالَ: "**كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**"(١١٤).

---

(١١٢) صحيح البخاري، الأطعمة، ١٢.

(١١٣) الجشاءُ: التقرُّعُ، وهو تنفُّس المعدة عند امتلائها.

(١١٤) سنن الترمذي، القيامة، ٣٧.

١٤- إكرام الضيف

عـن أبـي هريـرة ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: **"مَـنْ كَانَ يُؤْمِـنُ بِاللهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُـؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَـهُ، وَمَـنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْـكُتْ"**(١١٥)، وفـي روايـة أخرى عَـنْ أَبِي شُـرَيْحٍ العَـدَوِيّ ﷺ، قَـالَ: سَـمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَـرَتْ عَيْنَـايَ، حِينَ تَكَلَّـمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **"مَـنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِـرِ فَلْيُكْـرِمْ جَـارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِـنُ بِاللهِ وَاليَـوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْـرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**، قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُـولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: **يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّام، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"**(١١٦).

إنّ جائزةَ الضيف المذكورةَ في الحديث؛ هي تقديم الأطعمة والأشربة لـه بحيثُ تكونُ زائدة على الطعام والشـراب الخاصّ بالمنزل، فإذا انتهى اليـوم الأول تبـدأ مراسـم الضيافة في اليـوم الثاني والثالث على السـواء، فيُقـدّم للضيـف في اليـوم الثاني والثالـث و يُكرم من الأطعمة والأشـربة اليوميّة المعتاد وجودها في المنزل، أما إذا أقام الضيف فوق ثلاثة أيّامٍ فهو عندئـذٍ لم يعد ضيفًا، وصاحب المنزل ليس مجبرًا على إكرامه أو مضطرًّا لذلك، أما إذا داوم على إكرامه فله الثواب، وهو عند الله صدقة.

أمـا الضيـف فليس له أن يُضيّق على المضيـف ويُثقِّل عليه، والوضـع هنا لا يختلف باختلاف حال صاحب المنزل من فقرٍ أو غنًى، وكما يتسبب

(١١٥) صحيح البخاري، الأدب، ٣١، ٨٥، الرقاق، ٢٣؛ صحيح مسلم، الإيمان، ٧٤-٧٧؛ سنن أبي داود، الأدب، ١٢٣؛ سنن الترمذي، القيامة، ٥٠؛ سنن ابن ماجه، الأدب، ٤.

(١١٦) صحيح البخاري، الأدب، ٣١، ٥٨، الرقاق، ٢٣؛ صحيح مسلم، اللقطة، ١٤؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ٥؛ سنن الترمذي، البر، ٤٣؛ سنن ابن ماجه، الأدب، ٥.

الضيفُ في تعطيل الغنيّ عن عمله، فإنه أيضًا -إذا أطال الإقامة- قد يترك الفقير في حالة أشدّ بؤسًا وفقرًا وعسرًا.

١٥- تنظيف اللقمة التي سقطت وتناولها

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "**إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ**"(١١٧)، وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ قَالَ وَقَالَ ﷺ: **إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**، وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ قَالَ ﷺ: **فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ**"(١١٨)، فينبغي على المسلم ألا يُسرف حتى في اللقمة التي تسقط أرضًا، وإذا ما سقطت على أرضٍ جافّةٍ فإنّ أفضل شيءٍ هو تنظيفها وتناولها، أما إذا سقطت على أرضٍ متّسخةٍ أو مبلّلة فيجب أن نلتقطها ونعطيها للحيوانات الأليفة التي نربّيها في المنازل مثل القطط وغيرها، وبهذا نبتعد عن الإسراف، وما نراه في وقتنا الحاليّ من إلقاء نعم الله التي لا تعدّ ولا تحصى في القمامة -في حين أن ثمّة أناسًا يعانون من الجوع في أماكن كثيرةٍ- يُعدّ إسرافًا محضًا وتبذيرًا لا مبرّر له، ولا بدّ أن يؤلم هذا الأمرُ ضمائرنا، ومن ثَمَّ يجب علينا الابتعاد عن مثل هذه السلوكيّات الخاطئة من الإسراف والتبذير بما في ذلك إلقاء الطعام في القمامة.

١٦- القيام من على المائدة معًا

كما أنه يجب الجلوس معًا على المائدة؛ كذلك يجب أيضًا الانتظار إلى أن يقوم الجميع معًا، وهذا أحد الأوامر التي أمر بها الرسول ﷺ

(١١٧) صحيح مسلم، الأشربة، ١٣٦؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ٤٩؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ١١.

(١١٨) صحيح مسلم، الأشربة، ١٣٦؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ٤٩؛ سنن الترمذي، الأطعمة، ١١.

في آداب الطعام ففي روايةٍ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِذَا وُضِعَتِ الْمَائِدَةُ، فَلَا يَقُومُ رَجُلٌ، حَتَّى تُرْفَعَ الْمَائِدَةُ، وَلَا يَرْفَعُ يَدَهُ، وَإِنْ شَبِعَ، حَتَّى يَفْرُغَ الْقَوْمُ، وَلْيُعْذِرْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يُخْجِلُ جَلِيسَهُ، فَيَقْبِضُ يَدَهُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الطَّعَامِ حَاجَةٌ**"(١١٩)، فيجب علينا أن نراعي هذا الأمر خاصّةً مع الضيوف المدعوّين إلى منزلنا حينما نتناول الطعام معًا، فربّما لا يستطيعون تناول الطعام خجلًا أو قلقًا أو اضطرابًا، وينبغي أيضًا أن نضع في الاعتبار أن الأطفال يأكلون ببطءٍ وألا نقوم من على مائدة الطعام قبل أن ينتهي الضيوف من طعامهم.

١٧- تنظيف الأيدي بعد الطعام

كان الرسول ﷺ يتناول الأطعمة الصلبة بأصابعه الثلاثة ويأمر أصحابه أن يتناولوها مثله، وهي الإبهام والسبّابة والوسطى، وقد كانت يداه ﷺ دائمًا نظيفتين وطاهرتين أثناء الطعام، ذلك أنه كان يواظب على غسلها قبل الأكل وبعده، ولهذا كان يأكل بعض الأطعمة بيده، ثم يلعق أصابعه بعد الانتهاء من الطعام، وربما يبدو هذا غريبًا على بعض الناس في وقتنا الحاليّ، لكن الغرابةَ تزول إذا فهمنا واستوعبنا أحوال ذلك الزمان، وأنّ الناس كانوا يتضوّرون جوعًا ويعيشون قحطًا شديدًا ولا يجدون ما يقتاتون به من الطعام والشراب، ولا يجدون ما يُعدّون به طعامهم من آنيةٍ أو أوعيةٍ أو ملاعق أو مغرفة، فعند معرفتنا لذلك لن نستغرب أو نتعجّب من تناولهم الطعام بأيديهم، وفي هذا الشأن نجد روايتين إحداهما عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا**"(١٢٠)، والأخرى عن كعب بن مالك رضي الله عنه

(١١٩) سنن ابن ماجه، الأشربة، ٢١.

(١٢٠) صحيح البخاري، الأشربة، ٥٢؛ صحيح مسلم، الأشربة، ١٢٩؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ٥١؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ٩.

قال: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ مِنْ الطَّعَامِ"(١٢١)، وفي روايةٍ أخرى لكعب بن مالك رضي الله عنه: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ فَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا"(١٢٢).

١٨- غسل الأيدي بعد الطعام

مثلما أمر الرسول ﷺ بغسل الأيدي قبل الأكل أكّد أيضًا على فضيلة غسلها بعده، ويروي لنا سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه روايةً عن غسل الأيدي فيقول: "قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ﷺ: **بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ، وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ**"(١٢٣)، وهناك رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه يحثّ فيها على غسل اليدين حتى قبل النوم، فيقول مرفوعًا: "**مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ، وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**"(١٢٤)، ربما أراد المصطفى ﷺ في هذا الحديث أن يوضّح الضرر الذي قد يقع بسبب الحشرات التي تشمّ رائحة الطعام مثل العقرب والثعبان وغيرها، ولقد كان الرسول ﷺ يلعق أصابعه من الطعام الدسم ومن الدهون التي تلتصق بها، لكنه قطعًا كان يمسحها أو يغسلها بعد ذلك، وكما أن غسل الأيدي قبل الطعام من آداب الطعام فإن غسلها بعده أيضًا يُعدّ شرطًا من شروط النظافة البسيطة أكثر من كونه من آداب الطعام، لأنه ربما تكون الأيدي نظيفة قبل الطعام غير أنها بالطبع تتلوّث وتتلطّخ بالدهون وتتّسخ أثناء الطعام، ومن ثمّ فكما تُزال وتنظّف البقايا والدهون وغيرها من الأشياء التي تلوث الأيدي، فإن هذا يُعدّ أيضًا وقايةً للصحّة.

---

(١٢١) صحيح مسلم، الأشربة، ١٣١.

(١٢٢) **سنن أبي داود**، الأطعمة، ٤٩؛ **سنن الترمذي**، الأطعمة، ٩.

(١٢٣) **سنن أبي داود**، الأطعمة، ١١؛ الترمذي: **الشمائل المحمدية**، ١٥٤-١٥٥.

(١٢٤) **سنن أبي داود**، الأطعمة، ٥٣.

١٩- استخدام السواك بعد الطعام

كان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه باستخدام السواك كما كان يستخدمه هو بنفسه فور دخوله المنزل، وفي روايةٍ عن شُرَيحٍ قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها "قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: بِالسِّوَاكِ"(١٢٥)، ويمكن أن نفسّر ذلك بأنّ أوّل شيءٍ كان يفعله المصطفى ﷺ عند دخوله المنزل هو استخدام السواك، وهذا كفيلٌ بتوضيح مدى أهمّيّته وعنايته بنظافة أسنانه، وأنه لا بدّ له أن يكون حسن المظهر أمام أهل بيته، ولقد كان رسول الله ﷺ يستخدم السواك دائمًا، وفي هذا يقول أبو موسى رضي الله عنه: "دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَطَرَفُ السِّوَاكِ عَلَى لِسَانِهِ"(١٢٦)، وهذا يوضّح أن رسول الله ﷺ لم يكن يستعمل السواك في أوقات الصلاة فقط أو في أوقات معروفةٍ من اليوم فقط، بل كان يستخدمه كلّ وقتٍ وحين، وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه "أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ"(١٢٧)، وفي رواية أخرى عن أمّنا عائشة رضي الله عنها "كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ فَيَبْعَثُهُ الله مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنْ اللَّيْلِ فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي"(١٢٨).

أي إنه ﷺ كان يتسوّك حينما يقوم ليلًا، فنحن في المعتاد نغسل وننظّف أسناننا بعد الطعام، أما الرسول ﷺ فكان ينظّفها بعد الطعام وقبل الصلاة وبعدها، وأيضًا عند قيام الليل، كما أنه بيّن فوائد السواك، فقال في روايةٍ عن السيدة عائشة رضي الله عنها **"السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ"**(١٢٩) وفي هذا الحديث يوضح لنا الرسول ﷺ أسباب توصيته لنا باستخدام السواك:

---

(١٢٥) **صحيح مسلم**، الطهارة، ٤٣-٤٤؛ **سنن النسائي**، الطهارة، ٧.

(١٢٦) **صحيح مسلم**، الطهارة، ٤٥.

(١٢٧) **صحيح البخاري**، الوضوء، ٧٣، التهجد، ٩؛ **صحيح مسلم**، الطهارة، ٤٦-٤٧؛ **سنن أبي داود**، الطهارة، ٣٠. **سنن النسائي**، الطهارة، ١، قيام الليل، ١٠-١١؛ **سنن ابن ماجه**، الطهارة، ٧.

(١٢٨) **صحيح مسلم**، المسافرين، ١٣٩؛ **سنن النسائي**، السهو، ٦٧، قيام الليل، ٢، ٢٥، ٤٣؛ **سنن ابن ماجه**، الإقامة، ١٢٣.

(١٢٩) **سنن النسائي**، الطهارة، ٤؛ **صحيح البخاري**، الصوم، ٢٧.

١- طهارةُ للفم:

مـن الضـروريّ أن يكون الفم نظيفًا طاهـرًا، ذلك أن نظافة الفم تمنع الرائحة الكريهة وتحمي الأسـنان من التسوّس والتلف، وخاصّةً أن رائحة الفـم الكريهـة أمرٌ لا يحتمله أو يتقبّله أحد فـي مجتمعنا الحاليّ، كما أكّد الطبّ الحديث أنّ تسوُّسَ الأسنان يتسبب في أمراض القلب.

٢- الفوز برضوان الله

هـذا الجسـد هـو نعمة الله لنـا، ويجب علينـا أن نعتني بـه، لأنه أمانة الله لدينـا، وإذا أهملناه سنحاسـب على خيانة الأمانـة ومن ثمّ يجب علينا الاعتناء به وحمايته جيّدًا، ولقد كان الرسول ﷺ يوصي أصحابه بالسواك، وبيّن أنه لم يأمر به حتى لا يشـقّ على أمّته، ففي روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قال الرسـول ﷺ: ''**لَوْلَا أَنْ أَشُـقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَـى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّـوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ**''[(١٣٠)]، وهذا الحديث الشـريف الذي يوضّح مدى أهمّيّة نظافة الفم والأسنان يضـع أمام الناس أمورًا كثيرة منها أمران مهمّان:

أوّلهما: التسوّك في اليوم خمس مرّات:

كان رسـول الله ﷺ يتسـوّك في اليوم خمس مرّاتٍ مـع كلّ صلاةٍ مرّةً، وحتى عند قيام الليل، لكنّنا اليوم نجد أناسًا يصعب عليهم غسل أسنانهم مرّةً واحدةً في اليوم بل تراهم ينسون أحيانًا.

وثانيهما: الأمر:

لـم يقل الرسـول ﷺ لأوصيت بل يقول لأمـرت، والفرق بين الوصيّة والأمـر واضـح، وهـو أن الوصيّة ندبٌ واسـتحباب، أما الأمـر فهو ما لا

(١٣٠) **صحيح البخاري**، الجمعة، ٨، التمني، ٩، الصوم، ٢٧؛ **صحيح مسلم**، الطهارة، ٤٢؛ **سنن أبي داود**، الطهارة، ٢٥؛ **سنن الترمذي**، ١٨؛ **سنن النسائي**، الطهارة، ٦، المواقيت،٢٠؛ **سنن ابن ماجه**، الطهارة، ٧.

مجـال لتركه ويُعاقب الإنسـان على تركه، لكنّـه ﷺ لم يأمر بذلك حتى لا يشقّ على أمّته، وقد فكّر أن يأمرهم به ويكلّفهم بفعله إلا أنه يعلم أنّ إرادة البشر ضعيفة؛ فهم يضجرون سريعًا من فعل بعض الأمور حتى وإن كانت متعلّقةً بصحّتهم وسلامتهم، في حين أن الصحّة هي أصل كلّ شيءٍ، كما أن الفم والأسـنان التي بداخله من أهمّ الأعضاء في جسـدنا، أي إنه يجب علينا الاقتداء بالرسـول ﷺ في اهتمامه بنظافة وسـلامة أسـنانه وفمه وألّا نهمل أسناننا حتى وإن لم يأمرنا بذلك.

٢٠- الدعاء بعد الطعام

عـن معـاذ بن أنس قال: قال رسـول الله ﷺ: "**مَـنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْـدُ لِلهِ الَّـذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**"(١٣١)، هناك بعض المفاهيم التي يوضّحها الحديث الشريف منها:

١- أن الطعام والرزق ليس بِيَدِ الإنسان، فهو لا يملك مهارة عصفورٍ ليحصل على رزقه، أو لأنه في بعض الأحيان لا يستطيـع أن يأكل ما أمامه لأنه مُحرّم عليه.

٢- أعمال الإنسـان وأفعاله لا تغيّر النتيجة، بمعنى أنه لا يملك القوّة أو القـدرة علـى ذلك، والإنسـان يـأكل ليعيش ويحيا ورغـم ذلك فإنه لا يضمن حياته، والله هو من يُحييه.

٣- إذا تدبّـر المـرء هـذه الأمـور وأدركهـا غُفر لـه ما تقدّم مـن ذنبه، والدعاء بعد الطعام له أنواع شتّى، منها:

(١٣١) سنن أبي داود، اللباس، ١؛ سنن الترمذي، الدعوات، ٥٦؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ١٦.

أ. حمد الله

عَـنْ أَبِـي أُمَامَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَـعَ مَائِدَتَـهُ قَالَ: "**الْحَمْدُ لِلهِ كَثِيـرًا طَيِّبًـا مُبَارَكًا فِيـهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْـتَغْنًى عَنْـهُ رَبَّنَا**"[١٣٢]، وفـي هـذا الحديـث الشـريف يتبيّن لنا كيفيّـة دعاء الرسـول ﷺ وما يقوله أثناء الدعاء بالنسبة لنا أمرٌ في غاية الأهمّيّة، فيجب علينا أن نحمد الله ﷻ ونشكر فضله وندعوه كما كان يدعوه نبيّه ورسوله الكريم ﷺ.

١- يجب حمد اللّه وشكره:

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويمٍ، وقد خلق كلّ شيءٍ في الكون للإنسان، ونُسِّق تبعًا وطبقًا له، لقد خلق الله الإنسان من لحمٍ وعظمٍ وخلق لـه أيضًـا الغـذاء الذي يلائم بنيته وجسـده، وكمـا أن لهذا الغـذاء ضروبًا وأنواعًـا كثيـرةً في الدنيا فـإن مقاديره وكمّيّاته أيضًا كثيرةٌ بحيث يسـتطيع الإنسان الحصول على كلّ ضروب الطعام، ورغم أننا نحصل على أقواتنا بسـهولةٍ ويسرٍ إلا أننـا لا نحمـد الله ﷻ الذي منحنا هـذه النعم إلا قليلًا، ففي العلاقات الإنسانيّة إذا ما قدّم أحدهم لنا معروفًا نشعر أنه يجب علينا شكره، فهل نشكر الله حقّ شكره وهو الذي أغدق علينا كلّ نعمه هذه دون حسـاب؟ إنه لا يريد منا سـوى حمده وشكره مقابل هذه النعم الوفيرة وما أجمل هذا القول "عباد النعم كثيرٌ لكن عباد المنعم قليلٌ".

٢- يجب أن ندعوا من صميم قلوبنا:

يتحـدّث هـذا الحديـث الشـريف عـن كيفية الدعـاء وعن المشـاعر والعواطـف التـي يُحسُّ بها أثناءه. نعم، لا بـدّ أن يكون الدعاء طيبًا، أيضًا يجب أن يكون ما ندعو الله به وما نطلبه منه أمورًا طيبةً طاهرةً، فيجب أن ندعو الله بما هو حلال وبالطرق الحلال وألا ندعوه بغية المحرمات، كما

---

(١٣٢) صحيح البخاري، الأطعمة، ٥٤؛ سنن أبي داود، الأطعمة، ٥٢؛ سنن الترمذي، الدعوات، ٥٥؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة، ١٦.

أنـه يجب أن ندعو الله ونحمده ابتغـاء مرضاته وليس رياءً أو تظاهرًا، وأن يكون مكان الدعاء طيّبًا طاهرًا وليس نجسًا مُحرّمًا.

٣- الدعاء الطيّب المبارك:

وثمّـةَ أمـرٌ آخر يجب الانتباه إليه عند الدعـاء ألا وهو المواظبة عليه، والإكثار منه وتجديد النشاط دائمًا حتى يُحافظ المرءُ على حيويّته وإقباله، ويجب على كلّ صاحب عملٍ أو وظيفةٍ يريد النجاح فيها؛ أن يطوِّر نفسه ويـؤدّي أفضـل مـا لديه ويحاول إتمامـه على أكمل وجهٍ، قـال ﷺ: "**وَإِنَّ أَحَـبَّ الْأَعْمَـالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ**"(١٣٣)، مشـجّعًا الناس على مداومة كلّ ما هو مندرجٌ تحت العبادة، وكأنّه يقول لنا "القليل الدائم خير من الكثير المؤقّت" فلَأَنْ تدعو الله على الدوامِ في كلّ يومٍ سـاعةً واحدةً؛ خيـرٌ مـن أن تجلس يومًا كاملًا تدعوه ثم تتوقّف عن الدعاء طيلةَ حياتك، وهكذا دَوَالَيكَ في سائر العبادات.

٤- دعاء غير مودّع ولا مستغنًى عنه:

ومـن أهـمّ أركان الدعاء أيضًا أن يكون مقبولًا عند الله غير مودّعٍ، فلا بدّ للإنسـان حينما يدعو ربّه؛ أن يعرف ما يريد، وأن يدعوا بأشـياء يمكن قبولها، وعلى المرء أن يطلب من الله ما يتناسبُ معه وألّا يطلب منه تعالى ما لا يُقبل أو ما يخالف سنّة الله.

٥- حمدًا كثيرًا طيّبًا:

علينا أن نتوسّـع في الدعاء عندما ندعو، فلا نقول "الصلاة والسـلام عليـه" بـل نقول "ألـفُ ألفِ صلاةٍ وألفُ ألفِ سـلامٍ عليـه" ولا نقلّل من الدعاء بل نزيد منه قدر المستطاع.

(١٣٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها، ٣٠.

ب. شكرُ من أعدّوا الطعام وقدّموه والدعاء لهم:

ذات يوم صَنَـعَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ ﷺ لِلنَّبِـيِّ ﷺ طَعَامًا فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فَلَمَّا فَرَغُوا قَالَ ﷺ: "**أَثِيبُوا أَخَاكُمْ**، قَالُوا: يَا رَسُـولَ اللهِ، وَمَا إِثَابَتُهُ؟ قَالَ ﷺ: **إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دُخِلَ بَيْتُهُ فَأُكِلَ طَعَامُهُ، وَشُرِبَ شَرَابُهُ، فَدَعَوْا لَهُ فَذَلِكَ إِثَابَتُهُ**"(١٣٤).

٢١- عدمُ تناول الطعام في أوعيةٍ ذهبيّةٍ أو فضّيّة:

لم يأكل الرسول ﷺ في أوعيةٍ من فضّةٍ أو ذهبٍ ونهى عن الأكل فيها، فقـال ﷺ فـي روايـة عن حذيفة ﷺ: "**لَا تَلْبَسُـوا الْحَرِيـرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا**"(١٣٥).

فيجـب على المسـلمين أن يتحـرّوا الدقّة خاصّةً فـي أدوات المطبخ وأشـيائه فـلا يجـوز الأكل في أوعيـةٍ ذهبيّـةٍ أو فضّيّةٍ، فعَنْ أُمِّ سَـلَمَةَ ﷺ، زَوْجِ النَّبِـيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**الَّذِي يَشْـرَبُ فِـي إِنَاءِ الفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ**(١٣٦) **فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**"(١٣٧).

٢٢- عدم الجلوس على مائدةٍ بها طعامٌ أو شرابٌ محرّمٌ:

وقد نهى الرسـول ﷺ عن جلوس المؤمنين على الموائد التي تحتوي علـى خمـرٍ أو طعامٍ محرّمٍ، فقال في رواية عن جابـر ﷺ: **وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِـاللهِ وَاليَـوْمِ الآخِرِ فَـلَا يَجْلِسْ عَلَى مَائِـدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَـا بِالخَمْرِ**"(١٣٨)، إذن يجـب علـى المؤمـن التقيّ ألا يقبل بشـرب الخمـر، وأن يكـون واضحًا فـي ذلك، لأن هذا مـا يتطلّبه الإيمان منه، وعـدم الجلوس على مثل هذه

(١٣٤) سنن أبي داود، الأطعمة، ٥٤.

(١٣٥) صحيح مسلم، اللباس، ٤.

(١٣٦) يجرجر: يجرعها جرعاً متواتراً و له صوتٌ كصوت الجرجرة التي يُخرجها البعير من حنجرته.

(١٣٧) صحيح البخاري، الأشربة، ٢٨؛ صحيح مسلم، اللباس، ١.

(١٣٨) سنن الترمذي، الأدب، ٤٣.

الموائـد السُّـكْرِيّة يكـون بمثابـة رسـالة مهمّةٍ للذيـن اعتادوا على شُـرْبِهِ، وسـيكون مانعًـا لهـم من تناول الشـراب علـى الأقل طوال فتـرة الطعام، ومـن يدركون مدى حساسـية هذا الأمر؛ سـيقطعون تدرجيًّا عادة وضـع الشـراب علـى المائدة، وربمـا يكون هـذا التصرّف وسـيلةً ناجحةً لإنقاذ هؤلاء الأشخاص من الإدمان.

٢٣- عدم ازدراء أيّ نعمةٍ:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: "كُنْتُ جَالِسًـا فِي دَارِي فَمَرَّ بِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ فَأَشَـارَ إِلَيَّ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجَرِ نِسَـائِهِ فَدَخَـلَ ثُـمَّ أَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا فَقَـالَ ﷺ: **هَلْ مِنْ غَدَاءٍ** فَقَالُوا نَعَـمْ فَأُتِـيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَـةٍ فَوُضِعْنَ عَلَى نَبِيٍّ[١٣٩] فَأَخَذَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ قُرْصًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ ثُمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ فَكَسَرَهُ بِاثْنَيْنِ فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ ثُمَّ قَالَ ﷺ: **هَلْ مِنْ أُدُمٍ** قَالُوا لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ قَالَ ﷺ: **هَاتُوهُ فَنِعْمَ الْأُدُمُ هُو**"[١٤٠]، لا نستطيع الجزم بـأن رسـول الله ﷺ كان يحبّ الخـلّ كثيرًا، وأنه كان يطلبـه في كلّ طعامٍ، وربما لأنّ الخلّ فحسب كان هو الإدام الوحيد الموجود في منزله ﷺ نظرًا لقلّة الإمكانيّات المادّيّة.

ونريد هنا أن نلخّص السلوكيّات والإرشادات النبويّة الخاصّة بالطعام؛ فيجب غسـل الأيدي قبل الأكل وذكر اسـم الله عند البدء بالطعام، والأكل باليميـن وإجابـة الدعوة إلى الطعام، وعلى كلّ فـردٍ أن يأكل ممّا يليه وأن يجيـب الدعـوة إلـى الطعـام، وألا يأكل متّكئًـا، وأن يجلس علـى المائدة بتواضـعٍ وألا ينتقـد الطعام أو يعيبه، وكذلك أيضًا يُندَب تناوُل الطعام في

(١٣٩) أي: على مائدةٍ من خوص، وقيلَ هو كساءٌ من وبرٍ أو صوف، ولعلّه منديلٌ وُضِعَ عليه الطعام.

(١٤٠) **صحيح مسلم**، الأشربة، ١٦٧، ١٦٩؛ **سنن أبي داود**، الأطعمة، ٣٩؛ **سنن الترمذي**، الأطعمة، ٣٥؛ **سنن ابن ماجه**، الأطعمة، ٣٣.

جماعةٍ، وينبغي إنهاء الطعام المسكوب في الإناء، والاعتدال في جلسة الطعام والشراب، وعدم تناول الطعام بشراهَةٍ، وتنظيف اللقمة التي تسقط وتناولها، والقيام من الطعام مع الجماعة إذا وُجدت، وغسل الأيدي بعد الأكل ثم التسوّك أو غسل الأسنان، وحمد الله على الطعام وتقديم الشكر لمن أعدّوه وقدَّموه، وأخيرًا لا يجوز تناول الطعام في آنيةٍ من فضّةٍ أو ذهبٍ، أو الجلوس على مائدةٍ بها طعامٌ أو شرابٌ محرّمٌ، ولا ازدراء أيّ نعمةٍ أو مقتها.

ب. طريقة الرسول ﷺ في الشرب

عندما ندرس متون الأحاديث وكُتب الطبقات نجد أن أنواع المشروبات التي كانت موجودةً في عهد النبيّ ﷺ تقريبًا خمسة عشر نوعًا، بيد أنه أكثر ما ذُكر في الأحاديث من المشروبات التي شربها الرسول ﷺ هي العسل وعصير التمر وعصير العنب الجاف واللبن، ويذْكُر أنس ابن مالك هذه المشروبات التي شربها الرسول ﷺ موضحًا لِمَن خلفه أنه قد حافظ على القدح المتبقّي له من الرسول ﷺ فقَالَ: "لَقَدْ سَقَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقَدَحِي هَذَا الشَّرَابَ كُلَّهُ: الْعَسَلَ وَالنَّبِيذَ، وَالْمَاءَ وَاللَّبَنَ"(١٤١)، كما يوضّح أيضًا أن والدته تحتفظُ بقدحٍ آخر، فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: "كَانَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ قَدَحٌ مِنْ عَيْدَانٍ، فَقَالَتْ: سَقَيْتُ فِيهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُلَّ الشَّرَابِ الْمَاءَ، وَالْعَسَلَ، وَاللَّبَنَ، وَالنَّبِيذَ"(١٤٢)، وفي رواية أخرى بما يتعلّق بشرابِ رسول الله ﷺ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "كُنَّا نَنْبِذُ لِرَسُولِ الله ﷺ فِي سِقَاءٍ، فَنَأْخُذُ قَبْضَةً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ قَبْضَةً مِنْ زَبِيبٍ، فَنَطْرَحُهَا فِيهِ، ثُمَّ نَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ، فَنَنْبِذُهُ غُدْوَةً، فَيَشْرَبُهُ عَشِيَّةً، وَنَنْبِذُهُ عَشِيَّةً، فَيَشْرَبُهُ غُدْوَةً"(١٤٣).

(١٤١) صحيح مسلم، الأشربة، ٩؛ الترمذي: **الشمائل المحمدية**، ١٦٣.

(١٤٢) . سنن النسائي، الأشربة، ٥٨.

(١٤٣) **سنن أبي داود**، الأشربة، ١٠؛ **سنن ابن ماجه**، الأشربة، ١٢.

١- المشروبات التي كان يفضّلها الرسول ﷺ بوجهٍ عامٍ:

أ. اللبن

إن اللبن أحد المشروبات التي كان الرسول ﷺ يحبّها ويشربها، خاصّةً وأنه كما ذُكر سابقًا قد اختاره من بين المشروبَين اللذَين قُدِّمَا له ليلة المعراج، وكان يضيف كوبًا من الماء البارد إلى اللبن -إن توفّر له ذلك- عندما يكون الجوّ حارًّا، ويشربه بهذه الطريقة، كما كان رسول الله ﷺ يحبّ اللبن، حتى إنه ذات مرّةٍ أخبرنا أن اللبن فقط هو الغذاء الوحيد الذي يُغني عن الطعام والشراب، وفي روايةٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه فَجَاؤوا بِضَبَّيْنِ مَشْوِيَّيْنِ عَلَى ثُمَامَتَيْنِ، فَتَبَزَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ خَالِدٌ: إِخَالُكَ تَقْذُرُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ أَجَلْ، ثُمَّ أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلَبَنٍ فَشَرِبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَإِذَا سُقِيَ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ**"(١٤٤).

ب. الماء

أمرهُ بأن تكون المياه طاهرة:

كان الرسول ﷺ يهتمّ كثيرًا بجودةِ المياه التي يشربها، وإذا نظرنا إلى الأحاديث جيّدًا سنجد أنه ﷺ لم يشرب أيّ نوعٍ من الماء، بل نراهم كانوا يحضّرون له المياه العذبة من خارج المدينة، وتروي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها في هذا الأمر: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ الْمَاءُ مِنْ بُيُوتِ السُّقْيَا"(١٤٥)، كما توجد روايات توضح أنها كانت بالقرب من المدينة سبعة عيون

(١٤٤) **سنن أبي داود**، الأشربة، ٢١.

(١٤٥) **سنن أبي داود**، الأشربة، ٢٢.

ماءٍ وكان الشباب من الصحابة يذهبون إليها ويحضرون الماء وفق دورٍ وترتيبٍ معيّن.

شرابه ﷺ ما بات من الماء:

أما الأمر الآخر الذي اهتمّ به الرسول ﷺ في شرب الماء هو ما بات أو بقيَ منها، وتستوقفنا هنا هذه الرواية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حيثُ يقول: "دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ يُحَوِّلُ الْمَاءَ فِي حَائِطِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ فِي شَنٍّ**(١٤٦) **فَاسْقِنَا، وَإِلَّا كَرَعْنَا** قَالَ: عِنْدِي مَاءٌ بَاتَ فِي شَنٍّ، فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقْنَا مَعَهُ إِلَى الْعَرِيشِ فَحَلَبَ لَهُ شَاةً عَلَى مَاءٍ بَاتَ فِي شَنٍّ فَشَرِبَ، ثُمَّ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِصَاحِبِهِ الَّذِي مَعَهُ"(١٤٧)، وتقول أمّنا عائشة رضي الله عنها عن حبّه للشراب البارد "كَانَ أَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الحُلْوَ البَارِدَ"(١٤٨)، وللشراب أيضًا آدابٌ كما هو الطعام ويمكن أن نعدَّ هذه الآداب كالتالي.

٢- الأمور التي حثّنا عليها عند تناول الشراب:

أ. التسمية قبل تناول الشراب

يجب ذكر اسم الله قبل تناول الماء أو أي مشروبٍ آخر، وحمد الله بعد الانتهاء، وقد كان الحبيب ﷺ يشرب الماء والمشروبات الأخرى متفرّقةً إلى ثلاث دفعات وفي هذا يقول: "**لَا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ البَعِيرِ، وَلَكِنْ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ**"(١٤٩).

---

(١٤٦) القربة الصغيرة التي يوضع فيها الماء، ويكون فيها باردًا أكثر من غيرها.

(١٤٧) سنن ابن ماجه، الأشربة، ٢٥.

(١٤٨) الترمذي: الشمائل المحمدية، ١٦٩.

(١٤٩) سنن الترمذي، الأشربة، ١٣.

ب. الشرب باليد اليمنى

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ**"(١٥٠).

ج. الساقي آخِر من يشرب

ونتعلّم من أقوال رسولنا ﷺ أن من يسقي الناسَ الماءَ أو غيرها من أنواع الشراب يجب أن يكون آخر من يشرب، فيقول المصطفى ﷺ في رواية عن أبي قتادة رضي الله عنه "**إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا**"(١٥١).

كان الصحابة رضي الله عنهم في غاية التعب والإرهاق وهم عائدون من سفر، وقد انتهت مياه الشرب التي بحوزتهم، فطلب الرسول ميضأته، -أي الأداة التي يضع فيها الماء- وقد كان بها القليل من الماء، وأحضر أبو قتادةَ الحارثُ بنُ ربعيٍّ رضي الله عنه قدحًا، فملأ له الرسول ﷺ القدحَ من ميضأته، فشرب الصحابة جميعهم حتى ارتووا ولم يتبقّ فيهم عاطش، فملأ الرسول قدحًا آخر وطلب من أبي قتادة أن يشرب، فرفض أبو قتادة أن يشرب قبل الرسول ﷺ وقال: لن أشرب قبل أن تشرب أنت يا رسول الله، وعندئذٍ قال رسولنا قوله المذكور في الحديث "**إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا**"(١٥٢).

د. عدم النفخ في الشراب

لا يجوز النفخ في قدح الماء أو أيّ مشروبٍ آخر أثناء تناوله، فعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشُّرْبِ فَقَالَ

(١٥٠) صحيح مسلم، الأشربة، ١٠٥.

(١٥١) صحيح مسلم، المساجد، ٣١١؛ سنن الترمذي، الأشربة، ٢٠؛ سنن أبي داود، الأشربة، ١٩؛ سنن ابن ماجه، الأشربة، ٢٦.

(١٥٢) سبق تخريجه، حاشية رقم (١٥٠).

رَجُـلٌ: القَـذَاةُ أَرَاهَا فِي الإِنَاءِ؟ قَالَ: **أَهْرِقْهَا**، قَـالَ: فَإِنِّي لَا أَرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ ﷺ: **فَأَبِنِ القَدَحَ إِذًا عَنْ فِيكَ**''[١٥٣]،وقد نهى رسـول **الله** ﷺ عن النفـخ والتنفّس في القـدح، وعادة ما يكون النفخ في القدح بغرض تبريد السـائل السـاخن حتى لا يحرق الفم، وعندما نهى الرسـول ﷺ عن ذلك قال رجلٌ سـائلًا: ''القذاة آراها في الإناء؟'' فأمره الرسـول ﷺ أن يسـكب هـذه القـذاة، وفي وقتنا الحاليّ يمكننا أن نزيل مثل هذه الأشـياء بالملعقة أو بغيرهـا مـن الأدوات، والنفـخ في الشـراب ربما يُبعِد مـا فيه من فتات أو غيرها لكن ذلك لا يكفي لكي نشـربه، لا بدّ من سـكب هذه الأشـياء، وهناك نواحٍ صحّيّةٌ هي السرّ في النهي عن النفخ في الإناء... فعندما ينفخ شـخصٌ مريضٌ في القدح تنتقل الميكروبات والفيروسـات بداخله، وإذا ما شرب منه آخرون سيصابون بهذه الميكروبات ويمرضون، ويتّضـح من ذلك أنه ﷺ كان يهتمّ كثيرًا بالحفاظ على سلامة الإنسان وصحّته، وأفضل طريقةٍ لعدم النفخ في القدح -كما سنشـرح في العنصر التالي- هو شـرب الماء متفرّقًا على ثلاث دفعات مسـتردًّا نفسـه بعد كلّ مرّةٍ، وعندما يشرب هكذا لن تكون هناك ضرورةٌ للنفخ في القدح، لأن ذلك النفس سـيكفيه، فمـن يريـد أن يشـرب دفعةً واحدةً مشـروبًا -يتعذّر الانتهاء من شـربه في نفسٍ واحدٍ- لا شـكّ أنه سـيتنفّس بينما يواصل شـربه، وعندئذٍ سـيتنفّس داخـل القـدح دون أن ينزع فمه عنه، وهذا هـو المحذور الصحّيّ، والذي بسـببه تنتقل البكتريا والفيروسـات الضارّة، وأفضل طريقةٍ لمنـع ذلك هي تناول المشروب ثلاثًا وأخذُ نَفَسٍ بعد كلّ مرّةٍ، وحينما قال الرجل أنه لن يرتوي أو يشـبـع من الماء في نفسٍ واحدٍ؛ أمره الرسـول ﷺ أن ينزع فمه عن القدح، أي لا يشـربه دفعةً واحدةً بل يأخذ نفسًـا ويشربه على دفعاتٍ، ويتّضـح مـن ذلـك أن الرسـول ﷺ بيّن لنا أن الشـرب متفرّقًـا على ثلاث

(١٥٣) سنن الترمذي، الأشربة، ١٥.

دفعـاتٍ هـو الأفضل صحّيًّا، فندبه لنا، وأن الشـرب مـرّة واحدةً هو مضرٌّ صحّيًّا فجعله مكروهًا وليس محرّمًا.

هـ. شراب الماء ونحوه على ثلاث مرّات ودون عجلة

من أهم الأشياء التي فعلها الرسول ﷺ وأمرنا بفعلها هي كيفيّة شرب الماء وغيرها من المشـروبات، عن أنس بن مالك ﷺ قال: "كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا"(١٥٤)، وفي رواية أخرى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: "**لَا تَشْـرَبُوا وَاحِدًا كَشُـرْبِ البَعِيرِ، وَلَكِنْ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلَاثَ، وَسَـمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَـرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ**"(١٥٥)، كان رسول الله ﷺ يشرب الماء رويدًا رويدًا دون استعجالٍ ويتنفّس بين الواحدة والأخـرى وكان يتنفّس ثلاثًا وفي بعـض الأحيان مرّتين، وهذا الاختلاف يتعلّـق بقلّـة الماء وكثرتها، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِـكٍ ﷺ قال: "**كان النبيّ ﷺ إِذَا شَـرِبَ تَنَفَّسَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: هُوَ أَهْنَأُ، وَأَمْرَأُ، وَأَبْرَأُ**"(١٥٦)، وهو يُشـير في هذا الحديـث إلـى أهمّيّة طريقة الشـرب هذه مـن الناحية الصحّيّـة، ولقد عبَّر الرسول عن مراحل الشرب ثلاثًا حين قال:

١- هو أهنأ: أي أكثر شعورًا بالهناءة.

٢- أمرأ: أي يكون طريق الماء إلى المعدة أسـهل، ومن يشـرب الماء ثلاثًا يُروى عطشه ويذهب ظمأه.

٣- أبرأ: شـرب المـاء ثلاثًا أفضل من الناحية الصحّيّـة وأفيدُ للمعدة كمـا أسـلفنا، ففي العصـور القديمة لم تكن هناك في المنـزل أقداحٌ كثيرةٌ

(١٥٤) **صحيح البخاري**، الأشربة، ٢٦؛ **صحيح مسلم**، الأشربة، ١٢٣؛ **سنن أبي داود**، الأشربة، ١٩؛ **سنن الترمذي**، الأشربة، ١٣؛ **سنن ابن ماجه**، الأشربة، ١٨.

(١٥٥) سبق تخريجه، حاشية رقم (١٤٧).

(١٥٦) **سنن أبي داود**، الأشربة، ١٩؛ **سنن الترمذي**، الأشربة، ١٣.

للشراب، ولذا كانت هذه الأقداح تُستخدم بشكلٍ مشترَكٍ، كما أنها لم تكن للماء فقط، بل كان يُشرب فيها الماء والحليب وعصير الفاكهة، وفي بعض الأحيان يجتمع أناسٌ في منزلٍ فيتبادلون استخدام نفس القدح سويًّا، وهذه العادة ما زالت سائدةً في كثيرٍ من مدن العالم وقراها ومراكزها في الحفلات والدعوات، وكان يتمّ تقديم الشربات والماء وماء زمزم بهذا الشكل فكانوا يملؤون القدح بالشراب ويعطونه شخصًا بعد آخر، وهكذا كان يشرب ما يقارب من أربعين شخص أو أكثر من ذلك حسب عدد المجتمعين، أحيانًا أخرى كان يوضع القليل من الشراب في القدح ويمرّ على الجميع ويشرب كلّ شخصٍ منه جرعةً أو جرعتين، وفي هذه الحال يتنفّس الجميع داخل القدح وهذا ضارٌّ بالصحّة فقد يكون بين هؤلاء الجماعة من هم مرضى، ويتسبّب هذا الأمر بنقل المرض لأخرين، ولذلك يُندب إلغاءُ هذه العادة.

و. عدم النفخ داخل القدح

نهى الرسول ﷺ عن التنفُّس داخل القدح الذي يستخدم للشرب، فعن أبي قتادة رضي الله عنه "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ"[١٥٧].

السؤال المطروح هنا ماذا يجب على المرء أن يفعل إن كان يشعر بالظمإ الحاد؟ وأراد أن يروي عطشه بسرعةٍ فائقة؟

نقول: بما أنه لن يستطيع شرب القدر المطلوب من الماء مرّةً واحدةً فهو مُجبرٌ على أن ينفخ داخل القدح، أي يشهق ويزفر، ومن ثم يُدْخِل نَفَسَهُ داخل القدح فيقعُ في المحذور المنهيّ عنه، وأفضل طريقة لتجنُّب هذا المحظور؛ هي الهدوء وشرب السائل ثلاثًا، أي يشرب قليلًا ثمّ ينزع

(١٥٧) **صحيح البخاري**، الوضوء، ١٩؛ **صحيح مسلم**، الطهارة، ٦٥، الأشربة، ١٢١؛ **سنن أبي داود**، الأشربة، ٢٠؛ **سنن الترمذي**، الأشربة، ١٥، ١٧؛ **سنن النسائي**، الطهارة، ٤٢.

فمـه عن القدح ويشـهق ثـم يزفر، ثم يعود إلى الشـرب ثانيةً، ثـمّ يتوقّف ويتنفّس، ثم يتابـع شـرابه ويختم في المـرّة الثالثة، فتتحقّق -بهذه الطريقة من الشرب- الاستراحة والتنفّس السليم وعدم النفخ في الإناء.

ز. عند تقديم الشراب يجب البدء بأكبر القوم ثمّ مَن على يمينه

إذا كانت المشروبات -مثل الماء والحليب والليمون والشربات- يتمّ تقديمهـا فـي مجلسٍ أو جماعةٍ فيجـب على من يُقـدِّم الشـراب أن يبدأ باليميـن، لأنّ نبيّنـا الكريـم ﷺ أعطـى القـدح الذي في يده بعد أن شـربَ للشـخص الجالـس عـن يمينه، واسـتمرّ انتقال القـدح هكـذا تيامُنًا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه "أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِـيبَ بِمَاءٍ وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ وَعَنْ يَسَـارِهِ أَبُو بَكْرٍ فَشَـرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ وَقَالَ ﷺ: **الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ**"(١٥٨)، وفي روايةٍ أخرى لهذا الحديث أن سيّدنا عمر كان في هذا المجلس وكان يجلس أمام رسـول الله ﷺ، فلمّا انتهى النبيّ ﷺ من شُـرْبِ الحليب قال عمر رضي الله عنه: هل أُعطي أبا بكرٍ عن يسـارك؟..-وظنّ الفاروقُ أنّ أبـا بكـرٍ أولـى من الأعرابيّ الذي علـى يمين النبيّ ﷺ- فلـم يلتفت النبيّ لقـول الفـاروق عمر رضي الله عنه، بل أعطى الأعرابيّ قائلًا: "**الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ**"، مع أن النبـيّ ﷺ يقبـل الاقتراحات من أصحابه وينـزل على آرائهم أحيانًا، إلّا أن ذلـك كلّـه ينحصـر فيما لا قاعدة له ولا تشـريع فيه، أما مـا فيه قاعدةٌ فـلا تُقبـل الآراء حوله أبدًا، والقاعدة هنا تقول "أن مَن يشـرب يُعطي مَن على يمينه"، وهكذا دواليك إلى أن يشـرب الجميـع، فلم يرضَ النبيّ ﷺ أن يُخالـف القاعدة، وإنمـا أراد أن يعلّم أصحابه ومِن خلفِهم أحبابَه فقال "**الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ**".

---

(١٥٨) صحيح البخاري، الأشربة، ١٤، ١٨؛ صحيح مسلم، الأشربة، ١٢٤؛ سنن أبي داود، الأشربة، ١٩؛ سنن الترمذي، الأشربة، ١٩؛ سنن ابن ماجه، الأشربة، ٢٢.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاخُ فَقَالَ ﷺ لِلْغُلَامِ: **أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟** فَقَالَ الْغُلَامُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا"(١٥٩)، فلقد بيّن النبيّ ﷺ أهمّيّة التيامن، فلمّا انتهى من الشرب نظر فوجد عن يمينه غلامًا -وهو عبد الله ابن عمه العبّاس، وكان في العاشرة من عمره- وعن شماله شيوخًا كبار السنّ، ولقد كان النبيّ ﷺ هو منبع الأصالة واللطافة، فلم يشأ أن يتناسى وجود الغلام عن يمينه، أو أن يجرح شعوره ويتجاوزه إلى مَن يجلس عن شماله من الشيوخ، وإنّما خاطبه -محترمًا أولويّته حسب القواعد والأصول- قائلًا: "**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟**"، وكأنّه يقول له "الدور دورك، ولك أن تأذن لهؤلاء"، وبذلك حافظ على القاعدة ولم يخرقها، كما حافظ على شعور الطفل ولم يكسر خاطره، وأكّد على أهمّيّة احترام حقوق الأطفال، لكنّ عبد الله بن عبّاسٍ رضي الله عنه قال "لا أؤثر بنصيبي منك أحدًا".

ولقد فعل الرسول هذا الأمر ليوضّح للجميع ويُعلم كلّ شخصٍ هناك ما يلي:

١- الاهتمام بالإنسان حتى وإن كان طفلًا.

٢- وإن كان كبيرًا فلا يجوز خرق القواعد لأجله.

وينبغي ألّا يُفهَم رفضُ عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما لسؤال الرسول ﷺ على أنهُ عصيانٌ لـه، وإنما كان بهذا الرفض يأمل أن يشرب من القدح الذي شرب منه رسول الله ﷺ، وأن تُلامسَ شفتاه المكان الذي لامسته شفتا حبيبه رسول الله ﷺ.

(١٥٩) **صحيح البخاري**، المساقاة، ١، ١٠، المظالم، ١٢، الهبة، ٢٢-٢٣، الأشربة، ١٩؛ **صحيح مسلم**، الأشربة، ١٧.

ح. النهي عن الشرب في آنيةٍ من ذهبٍ أو فضّةٍ

لا يجوز الشربُ في أقداحٍ من ذهبٍ أو فضّةٍ، ذاك أن الرسول ﷺ نهى عن الشرب في مثل هذا النوع من الأقداح.

يقول حذيفة رضي الله عنه لقد نهانا رسول الله ﷺ عن لبس الحرير والشرب في آنيةٍ من فضّةٍ أو ذهبٍ فقال: "**فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ**"(١٦٠)، وفي روايةٍ أخرى عن أمّ سلمة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**"(١٦١).

ط. النهي عن الشرب من القِرَب والآنية مكسورة الفوّهات

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ"، يعني أن تُكسر أفواهها فيُشرب منها"(١٦٢)، ولقد أخبر علماء الحديث أن النهي هنا ليس من باب التحريم ولكنّه مكروهٌ، والسبب في النهي والكراهة هو أنّ الآنيةَ مثلُ الإبريق والجرّة من حيث استقرار السموم والأضرار بداخلها، وكما أثبت الطّبّ الحديث؛ فإنّ الأواني المكسورةَ تكون أكثر عرضةً لتراكم الميكروبات والجراثيم، وذلك لأنها حتى لو غُسِلت جيّدًا فإن الميكروبات تبقى حيّةً -بل وتتراكم- داخل الأجزاء المكسورة -خصوصًا في البورسلين-، ولنفترض جدلًا أنّ قدحًا ما مكسورٌ فوهُ، وأردنا أن نشرب به، فإذا وضعنا فيه الشاي أو القهوة أو غير ذلك من أنواع المشروبات الساخنة؛ فإنّ جزءًا ما مِن هذا المشروب سيتخلّل داخل الأجزاء المكسورة من الإناء وسيُلامس الميكروبات والبكتريا المتراكمة هناك. وبالطبع؛ سيقوم المشروب بنقلها ونشرها وتعميمها على باقي أجزاء الشراب إلى أن تدخل إلى جوف من يشرب

(١٦٠) صحيح البخاري، الأشربة، ٢٨.

(١٦١) صحيح مسلم، اللباس، ١-٢.

(١٦٢) صحيح البخاري، الأشربة، ٢٢-٢٣؛ صحيح مسلم، الأشربة، ١١٠-١١١.

من ذلك الإناء، وبذلك يتحقّق الضرر والمرض، لذلك ندبنا النبيّ ﷺ إلى ترك الشرب من كلّ قربةٍ أو آنيةٍ مكسورةٍ.

ي. النهي عن الشرب قائمًا

لا ينبغي لنا أن نشرب ونحن واقفون على أقدامنا، بل علينا أن نشرب ونحن جلوسٌ قدر المستطاع، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه "أن النَّبِيّ ﷺ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا قَالَ قَتَادَةُ فَقُلْنَا فَالْأَكْلُ فَقَالَ ﷺ: **ذَاكَ أَشَرُّ أَوْ أَخْبَثُ**"(١٦٣)، وفي رواية أخرى قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئ**"(١٦٤)، وتناول الشراب وقوفًا على الأقدام محظورٌ من الناحية الصحّيّة أيضًا، ولهذا يوصي الأطبّاء في عصرنا الحاليّ بشرب الماء في حالة الجلوس، ونجد كثيرًا من المقالات التي توضّح ذلك، وخلاصة قول الأطبّاء هو كالتالي: "إذا شرب الإنسان وهو جالس يتجمّع الشراب أوّلًا في المعدة ويختلط بالحامض فتموت الميكروبات ثم يصل إلى المُصران الإثنا عشر"، وعليه إذا ما اتّبع الإنسان أصول الشرب جالسًا ينجو من الكثير من الأمراض بما فيها "الكوليرا"(١٦٥) أما من يشربون المشروبات اعتباطًا وهم قائمون فإنهم أكثر عرضةً للإصابة بالأمراض.

٣- كيف كان الرسول ﷺ يشرب الماء

تُشرب المياه جلوسًا إذا لم يكن هناك ما يمنع، ولقد نهى الرسول ﷺ أصحابه عن ذلك، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :"**لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا فَمَنْ**

---

(١٦٣) صحيح مسلم، الأشربة، ١١٣؛ سنن الترمذي، الأشربة،١١.

(١٦٤) صحيح مسلم، الأشربة، ١١٦.

(١٦٥) الكوليرا: مرض مُعدٍ من أمراض الإسهال تحدث الإصابة به إثر ابتلاع غذاء أو ماء ملوث ببكتريا الكوليرا، موقع الصحة العالمية الالكتروني.

نَسِـيَ فَلْيَسْـتَقِئ"[١٦٦]، ونجـد في كتـب الحديث أن الروايـات التي تتعلّق بتنـاول الرسـول ﷺ الشـراب وهـو جالس أقلّ مـن الروايات التـي تتعلّق بتناولـه الشـراب واقفًـا، وبالنظـر إلى متـون الأحاديث؛ يكـون من الخطإ اسـتنتاج وادّعاء أن شـرب المياه وقوفًا على القدمين سُنَّة.. ذاك أن جميع الروايات في هذا الأمر تتحدّث عن مواقف وسـلوكيّاتٍ استثنائيّة للرسول ﷺ، فحينمـا ينـصّ الحديث على رؤيةِ الصحابيّ النبيّ يشـرب واقفًا؛ فهذا لا يعنـي أنـه كان يفعـل ذلك دائمًـا وإنما هي سـلوكيّاتٌ اسـتثنائيّةٌ -ربما لبيـان وتشـريع الجواز-، ولا يجوز أن نسـتخرج حكمًـا عامًّا من حالاتٍ استثنائيّة، أما الروايات التي تتعلّق بتناوله ﷺ الشراب جالسًا فهي قليلةٌ جدًّا لأن هذا الفعل كان يتكرّر باسـتمرارٍ عدّةَ مرّاتٍ في اليوم، غير أن من رأى الرسول ﷺ للمرة الأولى ينقل ويحدّث بكلّ ما يراه، حتى تلك الأمور التي يفعلها النبيّ ﷺ باسـتمرارٍ، أما الصحابة الذين كانوا بصحبة سـيدنا رسـول الله ﷺ دومًا فقد نقلوا لنا ما كان يفعله من تصرّفاتٍ وسـلوكيّاتٍ على غير ما اعتادوه، ومن ثمّ نجد أن الروايات التي تذكر أنه شرب واقفًا هي الأكثر.

وأخيرًا يمكننا أن نقول إن الرسـول ﷺ دائمًا ما كان يشـرب الماء وهو جالس، غير أنه كان يشرب واقفًا في بعض الأحيان لعذرٍ ما أو لبيان جواز ذلك، ويجب ألا ننسى أن هذا الأمر استثنائيّ، وليست طريقته المعتادة في شـرب الماء، ولنلقِ الآن نظرة على الحالات والأوضاع التي شـرب فيها الرسول واقفًا.

أ. ما هي الأحوال التي شرب الرسول ﷺ فيها واقفًا؟

عندما كان يتعذّر على رسـول الله ﷺ شـرب الماء جالسًـا كان يشربها واقفًا، وإذا ما استقرأنا الروايات نجده قد شرب واقفًا في الأحوال التالية:

(١٦٦) سبق تخريجه، حاشية رقم، (١٦٣)

١- شرب ما يتبقّى من ماء الوضوء

عـادةً مـا يتوضّـأ الفـرد جاثيًـا أو واقفًا علـى قدميه، لكـن مـع وجود الكرسيّ المنخفض أو غيره من الأدوات يتوضّأ جالسًا، وفي عهد الرسول كان يستخدم الإبريق والجرَّة في أثناء الوضوء، فكان المرء يتوضّأ جالسًـا ويصـبّ أحدُهم لـه الماء من الجرّة، لكن رسـول الله ﷺ كان يتوضّأ واقفًا لأنه لم يُرِدْ أن يساعده أحدٌ في الوضوء، فكان -تواضعًا منه- يصبّ الماء لنفسه بنفسه.

٢- شربُه من قربة المياه المعلّقة على الحائط:

هنـاك روايتـان توضّحان أن رسـول الله ﷺ كان يشـرب الماء واقفًا من القربـة المعلّقـة علـى الحائط، ولقد حدثـت هاتان الواقعتـان عند عائلتين فقيرتين، فربما يكون الرسـول ﷺ قد شـرب واقفًا لأنه لم يكن هناك عندئذٍ وعـاءٌ آخر يشـرب منـه، فعن أنس بـن مالك رضي الله عنه "أن رسـول الله ﷺ ذهب لزيارة أمّ سليمٍ رضي الله عنها دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا قِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَشَرِبَ مِنْهَا، وَهُوَ قَائِمٌ، فَقَطَعَـتْ فَـمَ الْقِرْبَةِ تَبْتَغِي بَرَكَةَ مَوْضِـعِ فِيّ رَسُـولِ اللهِ ﷺ"(١٦٧)، وفي رواية أخرى عن كَبْشَـةَ رضي الله عنها قالت: "دَخَلَ عَلَي رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَشَرِبَ مِنْ فيّ قِربَةٍ مُعَلّقَةٍ قَائِمًا فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْته"(١٦٨)، وأما كبشةُ المذكورة في الحديث؛ فهي إحدى نسـاء الأنصار، وهي أخت الشـاعر المشهور "حسّان بن ثابت" وإحدى النساء اللائي كان يذهب الرسول ﷺ لزيارتهنّ من حينٍ لآخر.

٣- شرب ماء زمزم

مـاء زمـزم: هـي مياهٌ تخرج مـن بئر زمـزم المجاور للكعبة المشـرّفة، وكانت بئر زمزم -المغطّاة حاليًا- مكشوفةً في تلك الفترة، وكان الرسول ﷺ

(١٦٧) **سنن الترمذي**، الأشربة، ١٨؛ **سنن ابن ماجه**، الأشربة، ٢٠؛ **سنن الدارمي**، الأشربة، ١٩.

(١٦٨) الترمذي: **الشمائل المحمدية**،١٧٥؛ **سنن الدارمي**، الأشربة، ١٩.

يشـرب من ماء زمزم قائمًا؛ وفي هذا يقول عبد الله بن عبّاسٍ رضي الله عنهما: ''سَـقَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ''(١٦٩).

ب. الأمـور التي يراعيها النبيّ ﷺ عندما يشرب من منابع المياه التي يلتقيها في الطريق

لقـد علّمنا الرسـول ﷺ ما يجب علينا فعله عند اسـتخدام المياه ليس فقـط في المنزل أو حديقة المنـزل أو الأماكن التي نحتفظ فيها بالماء، بل أيضًا في الصحراء وعند قمّة الجبل والسهول والهضاب، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى بِرْكَةٍ، فَجَعَلْنَا نَكْرَعُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''**لَا تَكْرَعُوا، وَلَكِنِ اغْسِلُوا أَيْدِيَكُمْ، ثُمَّ اشْرَبُوا فِيهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ إِنَاءٌ أَطْيَبَ مِنَ الْيَدِ**''(١٧٠)، وفـي روايـةٍ أخـرى عن عبد الله بن عمـر رضي الله عنهما قال ''نَهَانَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَشْرَبَ عَلَى بُطُونِنَا، وَهُوَ الْكَرْعُ''(١٧١).

لا يجوز كذلك شرب الماء بيدٍ واحدةٍ وفي هذا يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أيضًـا: ''**لَا يَلَـغْ أَحَدُكُمْ، كَمَا يَلَـغُ الْكَلْبُ، وَلَا يَشْـرَبْ بِالْيَدِ الْوَاحِدَةِ، كَمَا يَشْـرَبُ الْقَوْمُ الَّذِينَ سَـخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَشْرَبْ بِاللَّيْلِ مِنْ إِنَاءٍ حَتَّى يُحَرِّكَـهُ، إِلَّا أَنْ يَكُـونَ إِنَـاءً مُخَمَّرًا**''(١٧٢)، ولا سـيّما أن الأشـخاص الذين يعيشون في المناطق الحارّة مناخيًّا، يحتاجون إلى الماء كثيرًا أثناء سفرهم، ويتنفعون ممّا يصادفون في طريقهم من بئرٍ أو نبعٍ أو غيرها.

وفي الأوقات الحارَّة تفضّل الحيوانات السامّة مثل الثعابين والعقارب وغيرها الأماكنَ الرطبةَ، ومن ثمّ أمر الرسول ﷺ من يريدون إطفاء ظمئهم

(١٦٩) صحيح البخاري، الحج، ٧٦، الأشربة، ٧٦؛ صحيح مسلم، الأشربة، ١١٧، ١١٩؛ سنن النسائي، المناسك، ١٦٦؛ سنن ابن ماجه، الأشربة، ٢١.

(١٧٠) سنن ابن ماجه، الأشربة، ٢٥.

(١٧١) سنن ابن ماجه، الأشربة، ٢٥.

(١٧٢) سنن ابن ماجه، الأشربة، ٢٥.

أن يشـربوا براحتيهم وألا يلِغوا بأفواههم إلى الماء، لكي يرَوا الماء الذي يشـربونه ويتأكّدوا من سـلامته من الحيوانات الضارّة، وكما ينهى الرسول ﷺ عـن الشـرب بالفم مـن الأماكن المفتوحة كالبئـر والبركة وغيرها؛ فقد نهـى أيضًـا عن الشـرب مـن الآنيـة التي لا يُرى مـا بداخلهـا، وذلك لأن جـرّةَ الميـاه وغيرها من الأواني معرّضةٌ دائمًا لأن يكون بها هذا النوع من الضرر، ولهذا نهى النبيّ ﷺ أصحابه عن الشرب من الآنية التي لا يُرى ما بداخلها وهو ما يسـمّى اختناث الأسـقية، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "نَهَى رَسُـولُ اللهِ ﷺ، عَنِ اخْتِنَاثِ الْأَسْـقِيَةِ وَإِنَّ رَجُلًا بَعْدَ مَا نَهَى رَسُـولُ اللهِ ﷺ عَـنْ ذَلِكَ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى سِـقَاءٍ، فَاخْتَنَثَـهُ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ حَيَّةٌ"(١٧٣)، ويمكن أن نقول -باختصارٍ- في نهاية دراسة ما يتعلّق بالشرب؛ يجب أن نسـمّي عندما نشـرب وأن نشـرب باليمين، وأن يكون الساقي هو آخر من يشـرب، ولا يجوز النفخ في المشروبات، أو شربها في حال الوقوف، بل يجـب علينا أن نشـربها على ثلاث دفعـاتٍ وألا نتنفّس داخل القدح، وأن يبدأ السـاقي باليمين عند تقديم الشـراب، ولا يجوز الشـرب في آنيةٍ من ذهبٍ أو فضّةٍ، ويجب ألا نشرب من الأقداح أو القرب مكسورةَ الأفواه.

---

(١٧٣) سنن ابن ماجه، الأشربة، ١٩.



القسم الرابع

آداب رسول الله ﷺ في الضحك



الضَحِك في حياة رسول الله ﷺ

الضحـك؛ هو آلةُ التعبير عن الشـعور الذي يعترض الإنسان في مواقف تبعث على السرور وتثير لديه النشوة، ويتأتّـى لإظهـار السـعادة أو الاندهاش، وهـو على ثلاثة أشكال الضحك والتبسّم والقهقهة.

أمـا "التبَسُّـمُ": فهـو انبسـاطُ الوجه بسـبب السـعادة والسـرور وفتـح الفـم بقـدر صغيـرٍ يُظهر الأسـنان دون إصـدار صـوتٍ، فـإن كان بصـوتٍ يسـمعه البعيـد فهي "قهقهةٌ"، وإن سمعه من بجانبه فقط فهو "ضحك".



ومـن ثـمّ سـمّيت الأسـنان التـي فـي مقدّمـة الفـم "ضواحك" أي الأسنان الضاحكة، وهناك آيات في القرآن الكريم تُبيّن الضاحك وعلامَ ضحك وفيما ضحك، منها:

أ. أنه من الطبيعيّ الضحك على حادثةٍ خارقةٍ للطبيعة ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[(١٧٤)].

ب. أن المضحك والمبكي هو الله ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[(١٧٥)].

ج. أن الضحك يعبّر عن السخرية والاستهزاء ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۝ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[(١٧٦)]، وفي آية أخرى يقول الله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾[(١٧٧)].

د. أن المشركين يضحكون من المؤمنين في الدنيا، وأن المؤمنين سيضحكون منهم في الآخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[(١٧٨)]، وإذا نظرنا إلى الأحاديث نجد أن الرسول ﷺ لم يضحك مقهقهًا قطّ وكان جلّ ضحكه التبسّم، وهو أن تظهر نواجذه -والنواجذ هي: الأسنان التي تبدأ بعد النابين- دون أن يصدر صوتًا،

---

(١٧٤) سُورَةُ النَّمْلِ: ١٨/١٩.

(١٧٥) سُورَةُ النَّجْمِ: ٥٣/٤٣.

(١٧٦) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: ٢٣/١٠٩-١١٠.

(١٧٧) سُورَةُ الزُّخْرُفِ: ٤٣/٤٧.

(١٧٨) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: ٨٣/٢٩-٣٦.

أي إنّ ضحكه ﷺ هو التبسّم، وقد كان المصطفى ﷺ يضحك لما يثير الضحك فعلًا، ومن الأمور التي أثارت تبسّم سيدنا رسول الله ﷺ عدم تغلّب بعض الأشخاص على نقاط ضعفهم، ومحاولاتهم استغلال الفرص، والسلوكيّات الجميلة المفاجئة لدى البعض الآخر، واعترافاتهم الصادقة بما في نيّاتهم، وحركاتهم الطفولية، وتصرّفاتهم الطبيعية حسب فطرتهم، وممّا يضحكه ﷺ الأمور الغريبة التي تصادَف نادرًا، والكلمات الفكاهيّة، ومن ثمّ فعلينا أن نلقي نظرةً على نمط حياة رسول الله ﷺ كي لا نتجاوز الحدّ فيما يتعلّق بالضحك، ولا نفرّط فيه.

أ. الضحك في حياة رسول اللّه ﷺ

١- تبسُّمه ﷺ

مع أن الرسول ﷺ لم يضحك مقهقهًا قطّ، إلا أن الابتسامة لم تكن تفارق محيّاه الأزهر الأنور، حتى في أضجر لحظاته وأحزنها؛ كان يُخفي حزنه وضيقه ولا يُظهره لمن حوله، بل كان يزيد من ابتسامته خاصّةً إذا التقى بمن يحبّ، لكيلا يشعرهم بمعاناته وأحزانه ﷺ.

أ. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ"[١٧٩].

ب. أما عبد الله بن الحارث رضي الله عنه فيقول: "ما رأيت أحدًا أكثر تبسّمًا من رسول الله ﷺ"[١٨٠]، وكما يُفهم من الأحاديث الشريفة كان الرسول ﷺ دائم التبسّم، وكان يخلق جوًّا لطيفًا وبديعًا لمن حوله ويمنحهم شعورًا بالسرور والسكينة.

(١٧٩) صحيح البخاري، الأدب، ٦٨.

(١٨٠) سنن الترمذي، المناقب، ١٠.

٢- تبسُّمه ﷺ تخفيفًا عن الناس

يقول جريرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنه: "مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي"[١٨١]، كان عبد الله بن جرير من رؤساء قبيلته، ولقد أسلم السنة العاشرة للهجرة قبل وفاة الرسول ﷺ تقريبًا بأربعين يومًا والسبب في قوله "ما حجبني النبي ﷺ من شيءٍ قطّ"، أنه لم يُشعره بالحرج من كونه تأخّر في إسلامه.

٣- نهيه عن كثرة الضحك

كان الرسول ﷺ -الذي كان دائم البسمة طلقَ الوجه- يأمر أصحابه أيضًا بأن تكون وجوههم طلقة متبسّمة، فكان يضحك لما يثير الضحك حتى إنه كان يتجاوب ويمزح هو الآخر، ومع ذلك كان لا يحبّ كثرة الضحك، وينهاهم عنها، وذلك لأن الضحك الكثير أو الزائد عن حدّه يؤدي إلى الغفلة عن الله، ولهذا نهى الرسول ﷺ أصحابه عن ذلك فقال في روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه: "**وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**"[١٨٢]، وفي روايةٍ أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: "**وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**"[١٨٣]، فقد أوصى الذين يخشون اليوم الآخر بترك كثرة الضحك، ومحاولة البكاء.

٤- ما ضحك النبي ﷺ مُقَهْقِهًا

ما كان رسول الله ﷺ يضحك مقهقهًا قطّ، ففي روايةٍ عن السيدة عائشة رضي الله عنها تقول "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ

(١٨١) **صحيح البخاري**، الجهاد، ١٠.

(١٨٢) **سنن الترمذي**، الزهد، ٢؛ **مسند الإمام أحمد**، ٤٥٩/١٣.

(١٨٣) **صحيح البخاري**، الرقاق، ٢٧؛ البخاري: **الأدب المفرد**، ١١٢/١؛ **صحيح مسلم**، الصلاة، ١١٢، الفضائل، ١٣٤.

يَتَبَسَّـمُ"[١٨٤]، ذاك أن رسـول الله ﷺ كان يحيا ابتغاء مرضاة الله، فكان أكثر ما يفعله في المواقف التي تثير ضحك الناس هو أن يبتسم، فقد كان هدفه الوحيد ﷺ أن يفوز الناس بالآخرة.

ب. السلوكيات والوقائع التي أضحكت رسول اللّٰه ﷺ

١- سلوكيّاتٌ غير متوقّعةٍ

أ. فرار نساء قريش عند سماعهنّ صوت سيدنا عمر رضي الله عنه

"اسْـتَأْذَنَ عُمَـرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْـوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْـأَلْنَهُ وَيَسْـتَكْثِرْنَهُ عَالِيَـةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْـتَأْذَنَ عُمَرُ رضي الله عنه تَبَـادَرْنَ الْحِجَـابَ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَـلَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَقَالَ ﷺ: **عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ**، فَقَالَ: أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُـولَ اللهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِـهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَمْ تَهَبْنَ رَسُـولَ اللهِ ﷺ! فَقُلْنَ: إِنَّكَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِيهٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**"[١٨٥].

ب. حال من يهربون من المطر

في رواية عن السـيدة عائشـة رضي الله عنها أن رسـول الله ﷺ لَمَّا رَأَى القَوْمَ مِن القَحْـطِ خَطَـبَ خُطْبَةً قَصِيرَةً فِي مَكَانٍ مَفْتُوحٍ ثُم صَلَّى وَدَعَا: "فَأَنْشَـأَ اللهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ ﷺ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُه"[١٨٦].

(١٨٤) صحيح البخاري، التفسير، ٤٦(٢).
(١٨٥) صحيح البخاري، الأدب، ٦٨.
(١٨٦) سنن أبي داود، الاستسقاء، ٢.

٢- الأقوال المبالغ فيها

أ. حال الطمّاع الجشع

عَـنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: ''**إِنِّـي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُـولًا الْجَنَّـةَ، وَآخِـرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًـا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِـهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَـذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا**''، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ''[١٨٧]، ففي الحديث يطمع الشخص بعد أن غفرت صغائره في أن تتحوّل كبائره إلى حسـنات فيُثاب عليها، وقد يُعاقب على هذا الجشـع، بيد أنه لا يُدرك ذلك، وهنا ضحك الرسول ﷺ من طمع الرجل في كسب الثواب.

ب. حال من يُعبّر عن حيرته وارتباكه بصدقٍ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْـعُودٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: ''**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْـلِ النَّـارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُـولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْـهِ أَنَّهَـا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَـا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَـلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْـلَ الدُّنْيَا وَعَشَـرَةَ أَمْثَالِهَا -أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَـرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَـا-، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْـخَرُ بِـي -أَوْ أَتَضْحَـكُ بِي- وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟**، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُـولَ اللهِ

---

(١٨٧) صحيح مسلم، الإيمان، ١٩٠؛ سنن الترمذي، صفة جهنم، ١٠.

ﷺ ضَحِـكَ حَتَّـى بَدَتْ نَوَاجِـذُهُ"(١٨٨)، وفي هذا الحديث نرى أن مشـهدًا من مشـاهد اليوم الآخر قد أضحك رسـول الله ﷺ، والشـيء الآخر الذي يستوقفنا هنا هو:

إن قـول عبـد الله بـن عبـاس رضي الله عنهما أنه رأى رسـول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه دليلٌ على أن رسـول الله ﷺ لم يضحك هذه الضحكة كثيرًا، وأنها كانت بسبب أمرٍ نادرٍ غريبٍ.

ج . صمت من أدرك خطأه بعد اعتراضه على رسول الله ﷺ

عَـنْ ابْـنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: "لَمَّا كَانَ رَسُـولُ الله ﷺ بِالطَّائِـفِ قَالَ ﷺ: **إِنَّا قَافِلُـونَ غَدًا إِنْ شَـاءَ الله**، فَقَـالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ: لَا نَبْرَحُ أَوْ نَفْتَحَهَـا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **فَاغْـدُوا عَلَى الْقِتَالِ**، قَالَ فَغَدَوْا فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَـدِيدًا وَكَثُرَ فِيهِمْ الْجِرَاحَاتُ، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ الله**، قَالَ فَسَكَتُوا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ"(١٨٩).

٣- اعترافاتٌ صادقةٌ

الحادثة التي وقعت بين الرجل العجوز وامرأته

كان "أبو رافـع" -مولى رسـول الله ﷺ- وامرأته "سـلمى" يعيشان حياةً بسـيطةً، وكانا على حظٍّ ضعيفٍ من الثقافة، يتبادلان المشـادّات الكلاميّة وأحيانًـا يتطـوّر الأمر إلى أن يصل إلى المناوشـات اليدويـة، لكنهما كانا يحبّـان رسـول الله ﷺ من صميم قلبيهما، وذات يـومٍ أتت امرأة أبي رافـع -مولى رسول الله ﷺ- إلى رسول الله ﷺ تستأذنه على أبي رافـع قد ضربها، قالت: "قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي رَافِـعٍ: **مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَبَا رَافِعٍ؟** قَالَ: تُؤْذِينِي

(١٨٨) صحيح البخاري، الرقاق، ٢٧؛ صحيح مسلم، الإيمان، ١٨٦.

(١٨٩) صحيح البخاري، الأدب، ٦٨؛ صحيح مسلم، الجهاد، ٨٢.

يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **بِمَ آذَيْتِيهِ يَا سَلْمَى؟** قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا آذَيْتُهُ بِشَيْءٍ، وَلَكِنَّهُ أَحْدَثَ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا رَافِعٍ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَحَدِهِمُ الرِّيحُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَقَامَ فَضَرَبَنِي، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: **يَا أَبَا رَافِعٍ إِنَّهَا لَمْ تَأْمُرْكَ إِلَّا بِخَيْرٍ**"[١٩٠].

٤- أجوبةٌ غير متوقّعة

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ، وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ ﷺ: **أَعْتِقْ رَقَبَةً**، قَالَ: لَيْسَ لِي، قَالَ ﷺ: **فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ ﷺ: **فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا**، قَالَ: لَا أَجِدُ، فَأُتِيَ النبيّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ ﷺ: **أَيْنَ السَّائِلُ؟ تَصَدَّقْ بِهَا**، قَالَ: عَلَى أَفْقَرَ مِنِّي! وَاللهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ"[١٩١]، جاء رجلٌ فقيرٌ إلى رسول الله ﷺ يسترشد منه طريق التوبة وقد ندم على ما اقترفه من الإثم، فدلّه على طريق التوبة، فكانت هناك بعض الأمور التي يجب على هذا الرجل فعلها، فأخبر ذلك الرجل الرسول ﷺ أنه لن يستطيع فعل الأمور نظرًا لكونه فقيرًا قليل المال كثير العيال، وفي نهاية هذا الحوار سمع النبي ﷺ جوابًا لم يكن يتوقّعه، فضحك معبّرًا عن تعجّبه واستغرابه.

٥- سلوكيّات الأشخاص ذوي الطبيعة الفظّة والغليظة

كان الرسول ﷺ يتبسّم حيال تصرّفات بعض البدو الذين يعيشون في الصحراء وفي طبعهم نوع من الغلظة الفطريّة، ومثال ذلك ما رواه

---

(١٩٠) **مسند الإمام أحمد**، ٢٧/٦؛ ابن الأثير: **أسد الغابة**، ٤٧٨/٥-٤٧٩؛ ابن حجر: **الإصابة**، ٣٣٣/٤.

(١٩١) **صحيح البخاري**، الأدب، ٦٨؛ **سنن الترمذي**، الصوم، ٢٨؛ **سنن ابن ماجه**، الصيام، ١٤.

أَنَس بْن مَالِك ﷺ قَالَ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً قَالَ أَنَسٌ فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"(١٩٢)، لقد كان هدوءُ النبيّ ﷺ وتحمّلُه مثل هذه التصرّفات الهمجيّة من البدْوِ والأعراب الغلاظ، إلى جانب تبسّمِه في وجوههم واستيعابه لهم وعدم تعنيفهم؛ كلُّ ذلك كان كفيلًا بفتح قلوبهم للرسالة السماويّة وإحكام زَرْعِ الإيمان فيها، فقد يكون الإنسان قُرويًّا أو أعرابيًّا أو حتى فقيرًا لم يتعلّم فنّ التعامل مع الآخرين؛ إلا أنّ ذلك لا ينفي عنه حقيقةَ كونه إنسانًا، فلا ينبغي لنا أن نقلّل من شأنه بسبب سلوكيّاته الفظّة، وإنما الواجبُ استيعابُه والصبرُ عليه وتعليمُه فنونَ اللطافة وحسنَ التعامل مع الآخرين بطريقةٍ تحفظُ عليه كرامته ولا تجرح مشاعره.

٦- الفُكاهة

يروي لنا صُهَيبُ الروميّ ﷺ -وهو من الأوائل في الإسلام ومن الصحابة الكرام الذين عانوا في سبيل الدعوة إلى الإسلام كثيرًا من المشقّات والظروف القاسية- فيقول: "قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُبْزٌ وَتَمْرٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **ادْنُ فَكُلْ**، فَأَخَذْتُ آكُلُ مِنَ التَّمْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **تَأْكُلُ تَمْرًا وَبِكَ رَمَدٌ**؟ قَالَ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَمْضُغُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ"(١٩٣).

فيمكن أن نستلهمَ من تبسّمِ النبيّ ﷺ ضرورةَ المحافظةِ والمداومة على طلاقة الوجه وتزيينه بالتبسّم، وينبغي أن نضحك في المواقف التي

(١٩٢) صحيح البخاري، الأدب، ٦٨.

(١٩٣) سنن ابن ماجه، الطب، ٣.

تثيـر الضحـك ولكـن دون الإكثار منـه، وألا نضحك علـى عيوب الناس وأخطائهـم لعـدم إحراجهـم، وأن نراعـي عـدم الضحك بصـوتٍ مرتفـع لا سيما في المجالس العامّة، وأن نحافظ على سِمَةِ السكِينة والوقار.

فقد كانت هذه هي حياة مفخرة الإنسانيّة سيدنا محمد ﷺ ويجب على أمّته التي تحبّه وتفديه أن تسير على نهجه وتقتدي به.



القسم الخامس

آداب رسول الله ﷺ في المزاح



المزاح في حياة رسول الله ﷺ

المـزاح: هو القولُ الذي يُقال بقصـد إثارة الضحك واللهو، أو هو السـلوك المضحك والدعابة والنكتة، وقد كان الحبيـب ﷺ يغلـب عليـه الجدّ والوقـار، إلا أنه كان يمـزح مـن حيـنٍ لآخر، لأنـه أيضًا بَشَـرٌ، بيدَ أنـه كان لا يقـول فـي مزاحه إلا الحـقّ، فكان يتجنّـب المزاح الذي يجـرح النـاس ويقلّل من شـأنهم، وكان لا يمـزح مزاحًا ثقيـلًا يجرح مشـاعر الآخرين، وقـد كان يمازح أزواجه، والفقـراءَ والمسـاكين الذين لا يبالي بهـم أحدٌ، ويلاعب الأطفـال ويداعبهـم، إلا أنـه ﷺ كان لا يمـازح أكابـر الصحابـة أمثـال أبي بكر وعمر وعثمـان وعلي رضي الله عنهم نظرًا للمسؤوليّة الكبرى الملقاةِ على عواتقهم.



أ. المقاييس التي اتبعها الرسول ﷺ أثناء المزاح

١- قول الحقّ

عندما ندرس حياته ﷺ نجد أنه كان يمزح مع الناس، بيد أنه كان يراعي مقاييسَ معيّنةً في المزاح، ونلاحظ كذلك أن مزاح النبيّ ﷺ لا يخرج عن نطاق الصدق والحقيقة، فهو لم يُدخِلْ إلى مزاحه الكذب قطّ، حتى وإن كان كذبًا بسيطًا للغاية بهدف الترفيه والفكاهة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ ﷺ: **إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**"(١٩٤).وفي حديثٍ آخر ينهى عن الكذب وإن كان مزاحًا فيقول ﷺ "**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**"(١٩٥).

٢- تقبّله المزاح المعقول والردّ عليه

كان الرسول ﷺ يرحّب بمزاح أصحابه له، بل ويُقابل ذلك بتسامحٍ ولطفٍ وطلاقة وجه، فقد كان رسول الله ﷺ يتقبّل من المزاح ما لا يقلّل من شأن الناس أو يكون مبالغًا فيه، بل إنه كان في معظم الأحيان يردّ عليهم بالمثل، فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ﷺ، قَالَ: "أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ وَقَالَ ﷺ: **ادْخُلْ** فَقُلْتُ: أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: **كُلُّكَ فَدَخَلْتُ**"(١٩٦).

وكما نرى في الحديث السابق فقد قابل النبيّ ﷺ المزاح بالمثل، فقد كان باستطاعته أن يقول "أدخل برأسك فقط" أو " أدخل بقدميك فقط" إلا أنه رحّب بمزاح عوفٍ وقابله بالمثل من البشاشة والممازحة، وعلينا كذلك أن نعلم أن المبالغة فى المزاح وعدم مراعاة الزمان والمكان تحطّ من قدر

(١٩٤) سنن الترمذي، البرّ والصلة، ٥٧.

(١٩٥) سنن أبي داود، الأدب، ٨٠.

(١٩٦) سنن أبي داود، الأدب، ٨٤.

المتحدّث لدى السامعين، ولذا علينا أن نتبادل المزاح مع الآخرين دون الإخلال بالمعايير الأخلاقيّة حتى لا نخرج عن حدود الصدق والحقيقة.

مزاح "نُعَيمَان" الأنصاري

نُعيمان الأنصاريّ هو: صحابيٌّ معروفٌ بأنه خفيف الظلّ، وكان إذَا دَخَلَ السُّوقَ طُرْفَةٌ مِنْ رُطَبٍ أَوْ فَاكِهَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، اشْتَرَاهُ فَأَهْدَاهُ لِلنَّبِيّ ﷺ، وَكَانَ فَقِيرًا، فَإِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ؛ رَاحَ إِلَى النَّبِيّ ﷺ وَمَعَهُ صَاحِبُ الْحَقِّ، فَيَقُولُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَعْطِ هَذَا حَقَّهُ مِنْ ثَمَنِ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **أَوَمَا أَهْدَيْتَهُ إِلَيْنَا يَا نُعَيْمَانُ؟!** فَيَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ؛ مَا مَعِي قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فَلَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَجُوزَهُ وَأَدَعَهُ أَوْ يَشْتَرِيَهُ أَحَدٌ فَيَأْكُلُهُ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَيَضْحَكُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيَأْمُرُ لَهُ بِدَفْعِ حَقِّ الرَّجُلِ إِلَيْهِ [١٩٧].

مزاح سيدنا صهيب الرومي

يروي لنا الصحابيّ الجليل صهيب الروميّ رضي الله عنه الذي كان يميل للمزاح والدعابة فيقول: "قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيّ ﷺ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُبْزٌ وَتَمْرٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **ادْنُ فَكُلْ،** فَأَخَذْتُ آكُلُ مِنَ التَّمْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **تَأْكُلُ تَمْرًا وَبِكَ رَمَدٌ؟** قَالَ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَمْضُغُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ"[١٩٨].

٣- عدم ترويع الناس بالمزاح

موقف الرجل الذي نسي حذاءه

لم يكن يرغب النبيّ ﷺ في ترويع أو إخافة مؤمنٍ قطّ حتّى وإن كان من قبيل المزاح ولذلك كان من حينٍ لآخر يُنبّه ويحذّر أصحابه من مغبّة الوقوع

---

(١٩٧) انظر كتاب "**المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**"، ص ١٠٢١؛ انظر ايضًا كتاب "**المجالسة وجواهر العلم**" ١١٥/٣.

(١٩٨) سبق تخريجه، حاشية رقم (١٨٩).

بمثـل ذلك المحـذور، فعَنْ أَبِي حَسَـنٍ ﵁ -وَكَانَ بَدْرِيًّا عَقَبِيًّـا- قَالَ: "كُنَّا جُلُوسًا مَـعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَامَ رَجُلٌ وَنَسِيَ نَعْلَيْهِ، فَأَخَذَهُمَا رَجُلٌ فَوَضَعَهُمَا تَحْتَـهُ، فَرَجَـعَ الرَّجُلُ فَقَـالَ: نَعْلِي، فَقَالَ: الْقَوْمُ مَا رَأَيْنَاهُمَا، فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ ذِهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كَيْفَ بروعةِ الْمُؤْمِنِ!** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا صَنَعْتُهُ لَاعِبًـا، فَقَـالَ ﷺ: **كَيْفَ بروعةِ الْمُؤْمِنِ؟!** مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا"(١٩٩)، فقد قال النبيّ ﷺ: "**كَيْـفَ بروعـةِ الْمُؤْمِنِ؟!**" وكرّرها ثلاثًا حتـى يلفت أنظار الناس إلى حتميّة منع وتحريم إخافة المؤمن، ونلاحظ في الحديث كذلك أنه لم يأت بجواب كلامه فلم يقل مثلًا "كيف بروعة المؤمن لو فعل كذا أو كذا" وإنما ترك للناس مسـاحةً للتدبّر والتفكّر في النتائج، ممّا يعني أن إخافةَ المؤمن وترويعَـه ليس مستسـاغًا بتاتًا، حتى وإن كان على سـبيل المـزاح، وقد أكّد الطبّ الحديث أن ضغط الدم يرتفـع بسـبب الإحساس المفاجئ بالخوف، فمن لديه مرض القلب قد يُصاب بأزمةٍ قلبيّةٍ نتيجةً لذلك، وممّا يلفت النظر هنـا أن النبـيّ ﷺ قد نهى عـن ذلك قبل ألفٍ وأربعمائة عـام وأمر أن يكون المزاح في حدود المعايير الأخلاقيّة دون إفراط.

موقف الرجل الذي كان يُمزح معه وهو نائم

يقـول النعمان بن بشـيرٍ ﵁: كُنَّا مَـعَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فِي مَسِـيرٍ، فَخَفَقَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِه، فَأَخَذَ رَجُلٌ سَـهْمًا مِن كِنَانَتِه، فَانْتَبَه الرَّجُلُ فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**"(٢٠٠).

موقف الرجل الذي مازحه الصحابة في المسجد

عَنْ سُـلَيْمَانَ بْنِ صُـرَدَ ﵁، أَنَّ أَعْرَابِيًّا صَلَّى مَـعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ قَرَنٌ، فَأَخَذَهَا بَعْضُ الْقَوْمِ، فَلَمَّا سَـلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فَأَيْنَ الْقَرَنُ؟ فَكَأَنَّ

(١٩٩) الطبراني: المعجم الكبير، ٣٩٤/٢٢.

(٢٠٠) الطبراني: المعجم الكبير، ١١٦/٢١.

بَعْضَ الْقَوْمِ ضَحِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلا يُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا**"(٢٠١)، عادةً ما يكون المزاح بقصد إبهاج الناس، وزيادة المودّة فيما بينهم، وممّا يلفت الانتباه هنا أن طبع الناس يختلف من شخصٍ لآخر، فبعضهم مرحون يحبّون المزاح والصحبة الحسنة، والبعض الآخر حادّ الطبع جدّي لا يتحمّل المزاح أو يصبر عليه، بالإضافة إلى ذلك لا أحدَ يقبل أن يُقلّل من قدره أن يُهان أو يُسخر منه وإذا ما نظرنا للأمر من هذه الناحية سنجد أنه لا يجوز أن يصل المزاح إلى درجة إهانة المرء وجرح مشاعره، فلا ينبغي للإنسان أن يُعامل الناس بما لا يحبّ أن يعاملوه به، ومن ثمّ يجب أن يكون المزاح مقيّدًا بالضوابط والمعايير المنطقيّة والعقلية، وخيرُ مَن يُجسّد ذلك هو سلوك نبيّنا محمد ﷺ فإذا استقرأنا أحواله نجده كان يمزح ويتقبّل المزاح بتسامحٍ ولطفٍ بالغٍ، بيد أنه لا يقول في مزاحه إلا الحقّ، وأن مزاحه لا يشتمل على الغمزِ واللّمْزِ ولا على إحراجِ الآخرين أو جرحِ مشاعرِهم أو انتقاصِهم والتقليلِ من شأنهم.

ب. الأشخاص الذين مازحهم النبي ﷺ

١- الأطفال

مزاحُه مع أبي عُمير رضي الله عنه

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ ﷺ: **مَا شَأْنُهُ؟** قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ ﷺ: **يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**"(٢٠٢).

---

(٢٠١) الطبراني: المعجم الكبير، ٧/٩٩.

(٢٠٢) صحيح البخاري، الأدب، ٨١ و١١٢؛ سنن أبي داود، الأدب، ٦٨، (واللفظ له).

تزوّجت أمّ أنس بن مالك من أبي طلحة، وأنجبت منه أبا عمير، فكان أبـو عميـر أخًا لأنس بـن مالك من أمّه، وقد كان لديه طائرٌ يُشـبه عصفور "النَّغْرِ"(٢٠٣)، له منقارٌ أحمر، ولما مات حزن أبو عمير لموته حزنًا شـديدًا، ومن ثمّ كان الرسول ﷺ يمازح أبا عميرٍ كلّما رآه محاولًا إسعاده وإدخال السرور إلى قلبه فيقول "**يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**".

والأمر الذي تجب مراعاته هنا هو:

كان الرسـول ﷺ عندمـا يمـازح الأطفـال لا يقول إلا الحـقّ، كما أن مزاحه لم يكن مزاحًا يؤذي أو يُهين.

مزاحه مع أنسٍ رضي الله عنه

كان رسول الله ﷺ يمزح من حينٍ لآخر مـع أنس بن مالك رضي الله عنه -الذي نال شـرفَ صحبتِه منذ طفولته، وخدمته لمدّةِ عشـر سنوات، كما جاء في الرويـات- ويقول له "يا ذا الأذنين" وكما نرى فإن الرسـول ﷺ كان يُلقِّب الأطفـال بألقـابٍ لا تزعجهـم حينما يمـزح معهم، وكمـا كان يُلقّب أنس ابن مالك بـ"ذي الأذنين" كان يُلقّب أيضًا أخاه الأصغر لأمّه بأبي عمير.

مزاحه مع محمّد بن ربيع

يـروي لنـا محمـد بـن ربيـع حادثـة مـع رسـول الله ﷺ يتذكّرها من أيـام طفولتـه فيقـول: "عَقَلْتُ مِـنْ النَّبِـيِّ ﷺ مَجَّـةً مَجَّهَا فِي وَجْهِـي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِـنِينَ مِنْ دَلْوٍ"(٢٠٤)، وهنا نجد الرسـول ﷺ ينزل إلى مسـتوى الأطفال ويمازحهم بالأسـلوب الذي يفهموه، ويشاركهم لعبهم ولهوهم، وهـذا يـدلّ على مدى حبّه ﷺ لهم وعلاقتـه بهم، وكأنّه قد صار طفلًا مع

(٢٠٣) النغر: البلبل، جنس عصافير غِرّيدة من فصيلة الشُّرشوريات، أنواعه عديدة وجميعُها صغيرة الحجم لونها إلى الصُفرة، تألف القفص وتقتبس أدب التغريد.

(٢٠٤) **صحيح البخاري**، العلم، ١٨.

الأطفال، كما أنه ﷺ يمثّل لنا قدوةً حسنةً في مسألة رعاية الأبوين للأطفال والرفق بهم واللين معهم في ذلك المجتمع العربيّ الذي كان يعتبر اللعب مع الأطفال أمرًا لا أهمّيّة أو ضرورة له.

٢- نساؤه

مزاحه مع نسائه أثناء السفر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ''أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، أَتَى عَلَى أَزْوَاجِهِ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، فَقَالَ ﷺ: **وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ**''(٢٠٥)، ظنّ الرسول ﷺ أن نساءه قد يمسّهنّ الضرّ والأذى من سرعة الجمال، فأوعز إلى خادمه وأمره بالرفق في المسير، وعبّر -على سبيل الفكاهة- عن أهمّيّة نسائه وعن مكانة المرأة عمومًا في المجتمع واصفًا إياهنّ بـ"القوارير"، ملاطفةً منه لهنّ، وتوضيحًا منه على مدى أهمّيّتهنّ.

مشاركته ﷺ السيّدة "عائشة" وأمّنا "سودة" رضي الله عنهما في مُزاحِهما:

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: ''أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِخَزِيرَةٍ قَدْ طَبَخْتُهَا لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ -وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهَا-: كُلِي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِنَّ أَوْ لَأُلَطِّخَنَّ وَجْهَكِ، فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ، فَطَلَيْتُ وَجْهَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ بِيَدِهِ لَهَا، وَقَالَ لَهَا ﷺ: **الْطَخِي وَجْهَهَا**، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ لَهَا، فَمَرَّ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، يَا عَبْدَ اللهِ، فَظَنَّ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ، فَقَالَ ﷺ: **قُومَا فَاغْسِلَا وُجُوهَكُمَا**''(٢٠٦)، كان الحبيب ﷺ يتحرّى العدل حتى في مزاحه، فها هو ينصف الضرّة من ضرّتها حتّى في المزاح، ولو أنه لم ينصف لوقع

(٢٠٥) صحيح مسلم، الفضائل، ٧٠.

(٢٠٦) أبو يعلى، **المسند**، ٧/٤٤٩.

بين الزوجتين خلافٌ لا يعلمه إلا الله، غير أنه بمقابلة مزاح زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها بمزاحٍ مثله من السيدة سودة رضي الله عنها؛ قد حال دون وقوع مثل هذا الخلاف بينهما.

مزاحه مع السيدة عائشة رضي الله عنها:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: **تَقَدَّمُوا**، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: **تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ**، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: **تَقَدَّمُوا**، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: **تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ**، فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: **هَذِهِ بِتِلْكَ**"(٢٠٧)، كان النبيّ ﷺ يفعل ما يَخجل رجال اليوم من فعله ويجدونه غريبًا، فيُوضّح للناس بطريقةٍ عمليّةٍ مدى تقديره لنسائِه وحبّه لهنّ بالرغم من أن المرأة لم تكن تتمتّع بالمكانة المرموقة في ذلك العهد، إلا أن الرسول ﷺ أكّد بسلوكيّاته تلك أن المرأةَ جزءٌ لا يتجزّأ من المجتمع، ولها أن ترافقَ زوجها في أسفاره وأن تنال نصيبها من المزاح والدعابة.

إنقاذه ﷺ السيدة عائشة من يد أبيها أبي بكر رضي الله عنهما:

يقول النعمان بن بشير رضي الله عنه: "اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ: أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: **كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ**؟ قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

(٢٠٧) **سنن أبي داود**، الجهاد، ٦١؛ **مسند الإمام أحمد**، ٣١٣/٤٣؛ ابن أبي شيبة، **المصنف**، ٥٣١/٦.

فَوَجَدَهُمَا قَدِ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا**"(٢٠٨).

٣- الفقراء

مزاحه مع رجلٍ يُدعى "زاهرًا"

عَنْ أَنَس بن مالكٍ رضي الله عنه "أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ**، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا، فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: **مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا وَاللهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ** أَوْ قَالَ: **لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ**"(٢٠٩).

لقد كان زاهرٌ رجلًا حرًّا، لكنّ الرسول ﷺ ناداه -ممازحًا- في الحديث بالعبد يقصد عبدَ الله، وهو يودّ بمزاحه هذا أن يرفع من شأنه وأن يلقننا درسًا مفاده: "لا تسخروا من هؤلاء القوم، بل اهتموا بهم" وهذه وجهة نظرٍ مهمّةٌ من ناحيتين، الناحية الأولى: محاولات إعادة تأهيل الأشخاص المحتاجين للرعاية والاهتمام داخل المجتمع.

والناحية الثانية: أنّ مثل هذه الفعاليّات يكون سببًا مهمًّا لانبعاث الأمل في قلوب البسطاء والمساكين، خاصّةً من يحتاجون لاهتمام المجتمع من

(٢٠٨) سنن أبي داود، الأدب، ٨٤.

(٢٠٩) مسند الإمام أحمد، ٩٠/٢٠، (واللفظ له)؛ معمر بن راشد: الجامع، ٤٥٤/١٠؛ صحيح ابن حبّان، ١٠٦/١٣؛ البيهقي: السنن الكبرى، ٢٨٠/٦.

المعاقين أو فاقدي بعض أعضائهم أو حواسّـهم، ومن يشعرون بالاحتياج إلـى حـبّ المجتمـع ورعايتـه، فيكون ذلك باعثًـا لهم على حـبّ الحياة والتمسّـك بهـا رغم كل ما يُقاسـونه مـن آلامٍ، فمن الضـروريّ جدًا لكي نسـتطيع إعادةَ تأهيلهـم داخل المجتمع، أن نلقي التحيّة عليهم، ونسـأل عن حالهم بل ونمزح معهم.

٤- مزاحه مع مَن يخطبون وُدَّهُ

مزاحه مع رجل

عَـنْ أَنَـسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ''أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، احْمِلْنِـي، قَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَـةٍ**، قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ**''(٢١٠).

مزاحه مع امرأةٍ عجوز

عـن الحسـنِ البصريّ رضي الله عنه أنه قـال: أتَتْ عجوزٌ إلـى النبيّ ﷺ فقالت: يـا رَسُـولَ اللهِ أدعُ اللهَ أن يُدْخِلَنِـي الجنّـةَ، فَقَـالَ: ''**يـا أمَّ فـلان! إنّ الجَنَّةَ لا تَدْخُلُهَـا عَجُـوزٌ**'' قـالَ: فَوَلّتْ تَبْكِي، فَقَـالَ: ''**أَخْبِرُوهَا أَنَّهَـا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللهَ تَعالَى يَقُولُ: إِنَّا أَنْشَـأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكَاراً عُرُبًا أَتْرابًا**''(٢١١).

مزاحه مع شاعرٍ

رُوي أن النبـي ﷺ لمـا أعطى أَبَا سُـفْيَانَ وَعُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ رضي الله عنهم يوم خيبر ما أعطى أنشد العباس بن مرداس رضي الله عنه قائلًا:

(٢١٠) سنن أبي داود، الأدب، ٨٤؛ مسند الإمام أحمد،٣٢٣/٢١؛ أبو يعلى: المسند، ٤١٢/٦.

(٢١١) الترمذي: الشمائل المحمدية، ١٤٤.

أتجعـل نهبي ونهبَ العبيـ ... ـدِ بَـيْنَ عُيَيْنَـةَ وَالأَقْـرَعِ؟

وَقَدْ كُنْتُ فِي الْقَوْمِ ذَا ثَرْوَةٍ ... فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعِ

فقال رسول الله ﷺ: **لأَقْطَعَنَّ لِسَانَكَ**، وَقَالَ لِبِلالٍ: **إِذَا أَمَرْتُكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانَهُ فَأَعْطِهِ حُلَّةً**، ثُمَّ قَالَ: **يَا بِلالُ اذْهَبْ بِهِ فَاقْطَعْ لِسَانَهُ**، فَأَخَذَ بِلالٌ بِيَدِهِ لِيذهبَ بِهِ فَقَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَيَقْطَـعُ لِسَـانِي؟ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَيَقْطَـعُ لِسَـانِي؟ يَـا لَلْمُهَاجِرِينَ أَيَقْطَـعُ لِسَـانِي؟! وَبِلالٌ يَجُرُّهُ، فَلَمَّـا أَكْثَرَ قَالَ: إِنَّمَا أَمَرَنِي أَنْ أَكْسُوَكَ حُلَّةً أَقْطَـعُ بِهَا لِسَانَكَ، فَذَهَبَ بِهِ فَأَعْطَاهُ حُلَّةً"[٢١٢].

وأخيـرًا فإن المزاح يجب ألا يخرج عن بعض القيود الأخلاقيّة، فإذا أردنـا أن نمـازح أحدًا فليكن مزاحًا معقولًا غير مبالـغٍ فيه ولا جارح، كما يجـب علينا -بالمقابل- أن نتقبّل المزاح من الآخرين بكلّ ودٍّ وسـماحةٍ، وألّا نقـول فـي مزاحنا إلا الحـقّ، وألا نمزح مزاحًا يقلّل من شـأن الناس ويُهينهم، وألّا نكذب أو نخادع أو نروّع أحدًا وإن كان مزاحًا.

---

(٢١٢) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ٢٠٦/٤.



القسم السادس

آداب رسول الله ﷺ في النوم



نومُ رسول الله ﷺ واستلقاؤه

النوم: هو فترة راحة البدن والعقل، تغيب خلالها الإرادة والوعي جزئيًا أو كليًا، وتتوقف فيها جزئيًا الوظائف البدنية.

إن النوم نعمة من الخالق على الخلق، ذاك أن الجسد الذي يعمل ويكدح نهارًا؛ يستعيد نشاطه وحيويّته عندما يستريح ليلًا، ولقد ذُكر النوم في القرآن الكريم على محاور متعدّدة، فمثلًا في آية الكرسيّ التي تبيّن هيمنته وعظمتَه يقول ﷻ: ﴿**...لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...**﴾[٢١٣] فتبيّن من خلال هذه الآية الكريمة أن الخالق أوجد النوم لخلقه، وأنه ﷻ منزّهٌ عن مثل هذه الصفات الناقصة، وقوله تعالى أيضًا ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا**﴾[٢١٤]، ﴿**وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا**﴾[٢١٥]، يوضّح أنّ النهار قد خُلق للعمل من أجل استمرار الحياة، أما الليل فهو وقت الراحة والنوم، وهو نعمةٌ للبشر، وأنه حالٌ من أحوال الموت،



---

(٢١٣) سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢/٢٥٥.

(٢١٤) سُورَةُ الفُرْقَانِ: ٢٥/٤٧.

(٢١٥) سُورَةُ النَّبَأِ: ٧٨/١٠-١١.

والاستيقاظ منه بعثٌ جديدٌ، وفي قوله ﷻ ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(٢١٦)، يذكرنا الخالق بأن هناك بَعْثًا قادمًا لا محالةَ بعد الاستغراق في السبات العميق، وأنّ ما بعد البعث حسابٌ دقيقٌ لا مناص منه.

أ. فراشه ﷺ

يتكوّن السرير من ثلاثة أجزاءٍ؛ فراش ووسادة وغطاء -لحاف-، ولقد كان فراشُ السيدة عائشة ﵂ عبارةً عن جلدٍ مدبوغٍ، وكان حشوُه من "ليف البلح" بدلًا من الصوف والقطن، ووسادتُه أيضًا من نفس الخامة، وعندما سُئلت السيدة عائشة ﵂ كيف كان فراش الرسول ﷺ قالت: ''إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ''(٢١٧)، وفي رواية أخرى سُئِلَتْ حَفْصَةُ ﵂: ''مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِكِ؟ قَالَت: مَسْحًا نَثْنِيهِ ثَنْيَتَيْنِ فَيَنَامُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ: لَوْ ثَنَيْتِهِ أَرْبَعَ ثَنْيَاتٍ كَانَ أَوْطَأ لَهُ، فَثَنَيْنَاهُ لَهُ بِأَرْبَعِ ثَنْيَاتٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قال ﷺ: **مَا فَرَشْتُمُونِي اللَّيْلَةَ**؟ قالت: قُلْنَا: هُوَ فِرَاشُكَ، إِلاَّ أَنَّا ثَنَيْنَاهُ بِأَرْبَعِ ثَنيَاتٍ، قُلْنَا: هُوَ أَوْطَأُ لَكَ، قال ﷺ: **رُدُّوهُ لِحَالِهِ الأولَى، فإنه منعَتْنِي وَطْأَتُهُ صَلَاتِي اللَّيْلَةَ**''(٢١٨).

الفراش الذي أحضرته المرأة الغنيّة

عنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: ''دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَيَّ، فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَبَاءَةً مَثْنِيَّةً، فَانْطَلَقَتْ فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ صُوفٌ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فقال: **مَا هَذَا**؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فُلانَةُ الأَنْصَارِيَّةُ

(٢١٦) سُورَةُ الأَنْعَام: ٦٠/٦.

(٢١٧) صحيح مسلم، اللباس، ٣٨.

(٢١٨) الترمذي: **الشمائل المحمدية**، ١٨٨.

دَخَلَتْ عَلَيَّ فَرَأَتْ فِرَاشَكَ فَذَهَبَتْ فَبَعَثَتْ بِهَذَا، فَقَالَ ﷺ: **رُدِّيهِ**، فَلَمْ أَرُدَّهُ، وَأَعْجَبَنِي أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِي، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ ﷺ: **وَاللهِ يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لأَجْرَى اللهُ مَعِي جِبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**"(٢١٩).

حزن الفاروق عمر ﷺ لنوم النبيّ ﷺ على الحصير

عن عُمَر بْن الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ، قَالَ: فَجَلَسْتُ، فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ، وَلَيْس عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَقَرَظٍ فِي نَاحِيَةٍ فِي الْغُرْفَةِ، وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ، فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، فَقَالَ ﷺ: **مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ**؟ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَلِكَ كِسْرَى، وَقَيْصَرُ فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَصَفْوَتُهُ، وهذه خزانتك! قَالَ ﷺ: **يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ، وَلَهُمُ الدُّنْيَا**؟ قُلْتُ: بَلَى"(٢٢٠).

حُزن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ لنومه ﷺ على الحصير

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ ﷺ قَالَ: "اضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَّرَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَشْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟.. إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**"(٢٢١).

يتّضح تمامًا من خلال الأحاديث السابقة أنّ الرسول ﷺ عادةً ما كان يُفضّل النوم على الفراش الصلب، ويتجنّب الفراش الناعم الذي يدعو إلى الفتور والتراخي، كما نجد أيضًا أن الأطبّاء المعاصرين يوصون بالفُرُشِ

---

(٢١٩) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ١/٣٦٠.

(٢٢٠) **سنن ابن ماجه**، الزهد، ١١.

(٢٢١) **سنن ابن ماجه**، الزهد، ٣.

الصلبة من أجل تخفيف معاناة المرضى الذين يُعانون من آلام الظهر والخصر، إلّا أننا لا نصادف في كتب الأحاديث أن الرسول ﷺ قد أمر أصحابه بذلك.

ب. نومه ﷺ

كان المصطفى ﷺ ينام كأيّ إنسانٍ آخر، وكان عادةً ما ينام جزءًا من الليل من بعد صلاة العشاء وقبل الفجر، وفيما عدا ذلك كان ينام مقدار ساعةٍ بعد صلاة الظهر إذا أمكن، وهو ما يسمى "قيلولة"، وقد أخبر النبيّ ﷺ أن نوم القيلولة يساعد على أداء العبادات ليلًا حيث قال ﷺ ''**اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ، وَبِالْقَيْلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ**''(٢٢٢)، وكان الرسول ﷺ يكره النومَ قبل صلاة العشاء، والحديثَ بعدها(٢٢٣)، بيد أنه كان ينام متأخّرًا في المناسبات المهمّة مثل احتفالات الأعراس ومراسمها، واستقبال الضيوف.

نومه ﷺ في وقت الصباح

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قالت: ''كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَجِيءَ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ''(٢٢٤)، لذلك فقد أصبح النوم على الجانب الأيمن سنّةً عن رسول الله ﷺ، وليس فرضًا، ومَن كان يُعاني من ألمٍ في أطرافه اليمنى فله أن ينام على شقّه الأيسر، والمهمّ في ذلك أن يكون النوم على الشقّ الأيمن من قبيل اتّباع السنّة، وألّا يكون النوم على الشقّ الأيسر كنوعٍ من اللامبالاة بالسنّة.

---

(٢٢٢) **سنن ابن ماجه**، الصيام، ٢٢.

(٢٢٣) **موطأ الإمام مالك**، رواية ابي مصعب الزهري، ١/١١٤.

(٢٢٤) **صحيح البخاري**، الدعوات، ٥.

نومه ﷺ ليلا

عَـنْ حُذَيْفَـةَ رضي الله عنه قَالَ: ''كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنْ اللَّيْلِ وَضَـعَ يَـدَهُ تَحْـتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُـولُ ﷺ: **اللَّهُمَّ بِاسْـمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**، وَإِذَا اسْـتَيْقَظَ قَـالَ ﷺ: **الْحَمْـدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْـدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُـورُ**''[٢٢٥]، يدعونا الحديـث الشـريف إلى تدبّر أمرٍ مهمٍّ، وهـو أن الموت حقٌّ، وأنه يأتي من عنـد الحـقّ سبحانه وتعالى، فمن لا يسـتطـع أداء الصلاة قائمًا، يؤدّهـا قاعدًا، وإن لم يسـتطـع فيؤدّها راقدًا على جانبه الأيمن، وكذلك فإن الميت يُدفن باتّجاه القبلـة راقـدًا علـى جانبه الأيمن، ومـن ثمّ على المرء إذا أوى إلى فراشـه أن يعِظَ ويذكّر نفسـه فيقول في داخله "النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ"، فثمّة من ناموا ولم يقوموا، وثمّة من ناموا أصحّاء وقاموا مرضى، ثم يبدأ نومه على شقّه الأيمـن، متخيّلًا نفسـه داخل القبر أو على فراش المرض، ليروّض نفسـه على الطاعة والعبادة، ثم يتضرّع إلى ربّه متأثّرًا بهذه الخشية ويقول "اللّهم باسمك أموت وأحيا" وعندئذٍ يكون قد أدرك أن الله هو المحيي والمميت، وأن الإنسـان تنقطـع صلته بالدنيا عندما ينام، ولا يملك أن يقوم من نومه ثانيـةً إلا بإذن الله جل جلاله، فـإن تدبّر المرء هذه الأمور وتأمّلها يكون قد قضى ليلته في عبادة الله، لأن التدبّر والتفكّر عبادةٌ.

ماذا كان يفعل النبيّ ﷺ عندما يستيقظ ليلًا؟

كان رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَكْـرَهُ النَّـوْمَ قَبْلَ الْعِشَـاءِ وَالْحَدِيـثَ بَعْدَهَا، وكان الرسـول عندما يسـتيقظ ليلًا يقضي حاجته، ويغسـل يديه ووجهه، ثم ينام ثانية، كما كان أيضًا يستيقظ للعبادة، ويقضي وقته بالتضرّع والدعاء وتلاوة القـرآن وصـلاة النافلـة، وقـد كان يُكثر مـن الدعاء، ويطيل صـلاة النافلة خاصّةً إن كان يُصلّي بمفرده.

---

(٢٢٥) صحيح البخاري، الدعوات، ٨.

ج. كيف كان نومه ﷺ؟

كان الرسـول ﷺ يُفضّـل النـوم على أرضٍ صلبةٍ -كما أسـلفنا-، لكنّه لم يكن يغِطّ ويسـتغرق في سـباتٍ عميقٍ، وذلك لأنه ﷺ لم يغفل قطّ في أيّ لحظـةٍ مـن حياته، وعندما يعتريه النعاس؛ كان يُسـلّم عينيه الشـريفتين وجسـده الشـريف للنوم فقط، ولا ينـام قلبه أو روحـه أو عقله وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: ''**تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**''(٢٢٦).

د. الكيفيّات التي أمر بها أو نهى عنها النبيّ ﷺ في النوم

١- الأوضاع التي أمر بها عند النوم

أ- كيفيّة النوم في المنزل

النوم على الشقّ الأيمن ووضع اليد اليمنى أسفل الخدّ الأيمن:

مـن سُـنَنِ الرسـول ﷺ أنـه كان يبدأ كلّ شـيءٍ باليمين، ومـن ثمّ كان يُفضّل النوم على الشقّ الأيمن، علاوةً على أن النوم هكذا مفيدٌ من الناحية الصحّيّة، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: ''كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْـكَ، وَفَوَّضْـتُ أَمْرِي إِلَيْـكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَـةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَـأَ وَلَا مَنْجَـى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْـكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّـذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّـذِي أَرْسَـلْتَ** وَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: **مَـنْ قَالَهُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْـتَ لَيْلَتِهِ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ**''(٢٢٧)، كما أن فراش النبيّ كان مستقيمًا استقامة المرء في قبره، وفي هذا الشأن تروي لنا أمّ سلمة وتقول: ''كَانَ فِرَاشُ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوًا مِمَّا يُوضَـعُ الْإِنْسَـانُ فِي قَبْرِهِ وَكَانَ الْمَسْـجِدُ عِنْدَ رَأْسِهِ''(٢٢٨)، واختيار رسولنا

---

(٢٢٦) سنن أبي داود، الطهارة، ٧٩؛ سنن الترمذي، الفتن، ٦٣.

(٢٢٧) صحيح البخاري، الدعوات، ٩.

(٢٢٨) سنن أبي داود، الأدب، ٩٦-٩٧.

لهذه الكيفيّة في النوم دليلٌ على احترامِه وتقديسِه ﷺ للقبلة، لذلك فحريٌّ بنا نحنُ أمّته الذين ندّعي محبّته واتّباعه أن نراعي هذا الأمر ونتنبّه إليه.

أمره ﷺ لأصحابه أن يناموا على الجانب الأيمن:

عن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ**''(٢٢٩).

فقد علّم النبيُّ ﷺ الصحابي الجليل البراءَ بن عازب ما يجب عليه فعله من الآداب والأذكار قبل النوم، وهذا الموقف وإن كان قد حدث مع شخص بعينه، إلا أنه أمرٌ يشمل جميع المسلمين، وإليكم بعضُ التأمّلات الموجزة بهذا الحديث:

١- فتوضّأ

إذًا على المرء أن يتوضّأ قبل الذهاب إلى الفراش.

٢- اضطجع على شقِّك الأيمن

أفاد الأطبّاء المعاصرون أن النوم على الذراع الأيمن هو الأفضل من الناحية الصحّيّة، ذاك أن القلب والمعدة -وهما من أهمّ أعضاء الجسد- يقعان في الجانب الأيسر، وبالاضطجاع على الجانب الأيمن لن نضغط عليهما، أما الاضطجاع على الجانب الأيسر فإنه يتسبّب في الضغط عليهما، وينتج عن ذلك اضطرابات في القلب وغيرها.

(٢٢٩) صحيح البخاري، الدعوات، ٦.

٣- قلْ هذا الدعاء

وهو الدعاء المذكور في الرواية السابقة، "**اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**"، والأفضل المثابرة والمواظبة على ترديد هذا الدعاء.

وهناك نُكتٌ مفيدةٌ مرتبطة بالحديث عن النوم، وهي كما يلي:

أ. الموت أثناء النوم؛ وهو أمرٌ كثير الحدوث حسب الإحصائيّات، أمّا المؤمن المتّبع لسنّة نبيّه إذا أتاه الموت وهو نائم يفرح به لأن الموت بالنسبة إليه بهذا الشكل خاتمةٌ حسنةٌ، فهو أولًا: نائمٌ على طهارةٍ ووضوءٍ، وثانيًا: هو نائمٌ على شقّه الأيمن وفقَ الوضعيّة التي أمرنا بها النبيّ ﷺ، فيا لَفرحته بحسن الختام.

ب. الإنسان في نومه معرّض لكل أنواع المخاطر؛ ومن ثم عليه التعوذ بالله ﷻ والالتجاء إليه بالدعاء والتضرّع إليه وطلب الحفظ والحماية والرعاية منه، وذلك بعد اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة المخاطر التي قد تحيط به مثل التعرّض للسرقة أو الآفات أو لدغ الحشرات الضارة.

ب. نومه ﷺ أثناء السفر

لقد أخبر المصطفى ﷺ أن كيفيّة نومه عندما يخرج للسفر أو غيره مختلفة بعض الشيء، فقد كان يرقد على يمينه مستندًا على ذراعه الأيمن ويضع رأسه على كفه الأيمن، فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ فَعَرَّسَ بِلَيْلٍ، اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ

الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ"[٢٣٠]، وإنما كانت كيفيّة نوم الحبيب هكذا -كما فسر بعض علماء الحديث ذلك- لأنه غالبًا ما لا يجد في سفره ما يقوم مقام الوسادة كي يضعه تحت رأسه.

ج. استراحته ﷺ

كان النبي ﷺ يستلقي على ظهره فترةً قصيرةً كي يستريح، وهي وضعيّة مريحةٌ جدًّا للجسم، فعن عبد الله بن زيد ﷺ "أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ مُسْتَلْقِيًا فِي الْمَسْجِدِ وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى"[٢٣١].

٢- الأوضاع التي نهى عنها

أ. النوم على البطن

نهى الرسول ﷺ عن بعض الأوضاع والكيفيّات في النوم منها النوم على البطن، فعَنْ يَعِيشَ بْنِ طَخْفَةَ بْنِ قَيْسٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ، قَالَ: "كَانَ أَبِي مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ**، فَانْطَلَقْنَا، فَقَالَ ﷺ: **يَا عَائِشَةُ أَطْعِمِينَا**، فَجَاءَتْ بِحَشِيشَةٍ فَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **يَا عَائِشَةُ أَطْعِمِينَا**، فَجَاءَتْ بِحَيْسَةٍ[٢٣٢] مِثْلِ الْقَطَاةِ فَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **يَا عَائِشَةُ اسْقِينَا**، فَجَاءَتْ بِعُسٍّ[٢٣٣] مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْنَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **يَا عَائِشَةُ اسْقِينَا**، فَجَاءَتْ بِقَدَحٍ صَغِيرٍ فَشَرِبْنَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **إِنْ شِئْتُمْ بِتُّمْ، وَإِنْ شِئْتُمُ انْطَلَقْتُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ**، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ السَّحَرِ عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي بِرِجْلِهِ، فَقَالَ ﷺ: **إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ**، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ"[٢٣٤].

---

(٢٣٠) صحيح مسلم، المساجد، ٣١٣.

(٢٣١) صحيح البخاري، الصلاة، ٨٥.

(٢٣٢) الحيس: تمرٌ وأقِطٌ وسمنٌ تُخلَطُ وتُعجَنُ وتُسوّى كالثريد.

(٢٣٣) العسُّ: القدح الكبير.

(٢٣٤) سنن أبي داود، الأدب، ٩٤.

ومثلما تُغضب هذه الكيفيّةُ الله ورسوله، فإنها أيضًا مضرّة من الناحية الصحيّة، وتتسبّب في الضغط على الأعضاء مثل القلب والمعدة، علاوةً على أنها مخالفة للآداب وقبيحة المشهد، وقد أوضحت بعض الروايات أن "طَخْفَةَ" والد الصحابيّ "يَعِيش" كان ينام هكذا لإصابته بمرض الرِّئة، فقد يكون البعض لا يعرفون ذلك، لكن تصريحَ النبيّ ﷺ بالنهي عن تلك الكيفيّة في النوم يدفع ويمنع الاعتقاد بأن هذه الكيفية مباحة في النوم، لذلك جاء النهي صريحًا منه ﷺ، وأخيرًا فينبغي لنا التنبّه وتجنّب مثل هذه الكيفية أثناء النوم كما كان المصطفى ﷺ يتجنّبها ويتفاداها.

ب. الاستلقاء على الظهر ووضع القدم فوق الأخرى

نهى النبي ﷺ عن الاستلقاء على الظهر ووضع القدم فوق الأخرى، وهناك رواياتٌ متعدّدةٌ في هذا الشأن، وقد ذكرنا في الفقرة الخاصّة باستراحته ﷺ حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه "أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ مُسْتَلْقِيًا فِي الْمَسْجِدِ وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى"، وهنا سنذكر حديثين شريفين نهى فيهما ﷺ عن النوم بهذه الطريقة ففي روايةٍ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له "...**وَلَا تَضَعْ إِحْدَى رِجْلَيْكَ عَلَى الْأُخْرَى إِذَا اسْتَلْقَيْتَ**"[٢٣٥]، وفي رواية أخرى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أيضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**لَا يَسْتَلْقِيَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى**"[٢٣٦]، وهنا ينهى الرسول أصحابه عن الاستلقاء ظهرًا ووضع إحدى الرجلين على الأخرى، وممّا يجذب الانتباه هنا أن الحديث الأوّل يتّضح منه أن الرسول ﷺ قد استلقى على ظهره ووضع إحدى رجليه على الأخرى، بيد أنه في الروايتين التاليتين ينهى أصحابه عن النوم بهذه الطريقة! وهذا

(٢٣٥) صحيح مسلم، اللباس، ٧٣.

(٢٣٦) صحيح مسلم، اللباس، ٧٤.

الوضـع وإن كان يبـدو فيـه تضادٌّ إلا أنه ليس كذلـك، ذاك أن النبي ﷺ قد راعى جيّدًا في تلك الكيفيّة من النوم ألّا تنكشف عورته أثناء نومه، وربما يكون النبيّ ﷺ قد رأى بعض الناس لا يُراعون أو يتنبّهون لهذا الأمر؛ مما جعله ينهى عن الكيفيّة التي نام بها سابقًا لاحتمال وقوع المحذور.

ذ. إرشاداته ونصائحه ﷺ الأخرى المتعلّقة بالنوم والاستلقاء

١- فحص الفراش جيدًا قبل النوم

كان النبـي ﷺ يأمـر أصحابـه بـأن يتفحّصوا فراشـهم جيّـدًا قبل النوم ليعرفوا ما إذا كان يحتوي على شيءٍ ضارٍ أو لا، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِـهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَـهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَـكْتَ نَفْسِـي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَـلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَـظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**"(٢٣٧)، كان لدى أصحاب نبي الله ﷺ أماكن بسـيطة للاسـتيطان فيهـا، وكانوا يعيشـون حياةً متداخلةً مع حيـاة الصحراء، ومن ثم فإن هذا السـلوك من أفضـل التدابير التي يجـب اتخاذها ومراعاتها بسـبب وجود الحشـرات الضارّة، كما أن ذلك الأمر مهمٌّ حتى في منازلنا العصريّة التي نقطنها، وعلى الأسـرة التي تتمتّـع بالأطفال أن تنتبه لهذا الأمر جيّدًا، ذاك أن الأطفـال يتركـون ألعابهم التي يلعبون بها في أيّ مكانٍ دون حسـاباتٍ صحّيّةٍ أو تفكيرٍ ناضجٍ، أيضًا فإنّ ربّات المنازل قد ينسون بعض الأدوات الخطـرة كالإبـرة وغيرها فوق الفراش، ومن ثم علينا فحص الفراش جيّدًا قبل النوم؛ إذا كنا لا نريد مواجهة نهايةٍ سيّئةٍ خطرةٍ.

(٢٣٧) صحيح البخاري، الدعوات، ٩.

٢- عدم المبيت في مكانٍ لا يأمن فيه على نفسه

نهـى النبـي ﷺ عن المبيت فـي أماكن خطرة مثل السـطح الذي ليس لـه أطـراف حماية، وذلك أن الإنسـان في نومه قد يتحـرّك دون أن يدري فيسـقط مـن مكانـه، ففي روايةٍ عن عبـد الرحمن بن علـيّ رضي الله عنه -يعني ابن شـيبان- قال: قال رسـول الله ﷺ: "**مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَارٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ**"(٢٣٨)، فيجب على الإنسـان أن يأخذ حذره ثمّ يتوكّل علـى الله، وهـذا مـا يسـمّى بالتوكل، فمن نام فـي مكانٍ لا أمـان له أو قد يتقلّـب فيقـع منه؛ ثم تقلّب فعلًا أثناء نومه وسـقط فلا يلومنّ إلا نفسـه، ولا يحملُ أحدٌ مسـؤوليّة موته، ومـع الأسـف فإنّ بعض الناس في بعض المناطق ينامون في شـهور الصيف على الأسـطح التي لا حظار لها، وقد ينجـم عن ذلـك حوادث وفاةٍ، لذلك ينبغي لنا الحـذر والتّنبّه جيّدًا واتّباع أوامر النبي ﷺ في هذا الشأن.

٣- الدعاء عند النوم وعند الاستيقاظ

كان الرسول ﷺ دومًا يدعو عند النوم وعند الاستيقاظ من النوم، فعَنْ حُذَيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: **بِاسْمِكَ أَمُـوتُ وَأَحْيَـا**، وَإِذَا قَـامَ قَالَ: **الْحَمْـدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانَـا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَـا وَإِلَيْهِ النُّشُـورُ**"(٢٣٩)، كما كان ﷺ عندما يأوي إلى فراشـه كلّ ليلةٍ يقرأ المعوّذتين والإخـلاص، فعَـنْ عَائِشَـةَ رضي الله عنها: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِـهِ كُلَّ لَيلَةٍ جَمَـعَ كَفَّيهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا؛ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَـحُ بِهِمَا مَا اسْـتَطَاعَ مِنْ جَسَـدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"(٢٤٠).

(٢٣٨) **سنن أبي داود**، الأدب، ٩٥.

(٢٣٩) **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، ٧.

(٢٤٠) **صحيح البخاري**، فضائل القرآن، ١٤؛ **سنن أبي داود**، الأدب، ٩٧- ٩٨.

كان الحبيب ﷺ يوصي بالدعاء

وقد حثّ الرسـول ﷺ الناس على الدعاء والتضرّع، وأنّ من ينام دون أن يذكـر اسـم الله فقـد نقص عملـه، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال: "**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا، لَا يَذْكُرُ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ**"(٢٤١).

أمره ﷺ للسيدة فاطمة بأن تدعو قبل النوم

عَـنْ عَلِـيّ كـرَّم الله وجهـه "أَنَّ فَاطِمَـةَ ﷺ شَـكَتْ مَا تَلْقَى فِـي يَدِهَا مِـنْ الرَّحَـى فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ تَسْـأَلُهُ خَادِمًـا فَلَمْ تَجِدْهُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَـةَ فَلَمَّـا جَاءَ أَخْبَرَتْـهُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَـا، فَذَهَبْتُ أَقُومُ، فَقَالَ ﷺ: **مَكَانَـكِ**، فَجَلَـسَ بَيْنَنَـا حَتَّى وَجَـدْتُ بَـرْدَ قَدَمَيهِ عَلَى صَـدْرِي، فَقَالَ ﷺ: **أَلَا أَدُلُّكُمَـا عَلَـى مَـا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِـكُمَا أَوْ أَخَذْتُمَـا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَسَـبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًـا وَثَلَاثِيـنَ فَهَذَا خَيْـرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**"(٢٤٢)، وهنـاك رواية أخرى تنصّ على أن يكون التكبيرُ أربعًا وثلاثين.

وفـي الخِتـام فإننا نسـتطيع أن نوجز آداب النـوم النبويّة التي ذكرناها آنفًا كالتالي:

- يجب علينا أن نتأكّد من سلامة الفراش من أي مُضرٍ أو مُؤذٍ.
- وأن نتوضّأ قبل النوم.
- وأن نكبّر ونسبّح ونحمد الله ثلاثًا وثلاثين مرّةً.

(٢٤١) **سنن أبي داود**، الأدب، ٢٤، ومعنى كلمة "ترة" النقص، أو التَّبِعة والمساءلة والحسرة.

(٢٤٢) **صحيح البخاري**، الدعوات، ١١.

- وأن ندعـو الله ونقـرأ بعـض الآيـات القرآنيّـة ثمّ ننفثُ فـي الكفّين ونمسح ما استقبلنا من جسدنا.

- وأن ننام على الشقّ الأيمن.

- وأن نضـع كفّنا الأيمن تحت خدّنا الأيمن.

- وألا ننام على بطننا.

- وأن نعتاد على الاستيقاظِ ليلًا والصلاة والدعاء.

- وأن نراعي عدم النوم في الأماكن الخطرة.



القسم السابع

آداب رسول الله ﷺ في البكاء



البكاء في حياة رسول الله ﷺ

البـكاء هو إسـبال الدموع ألمًا وندمًا وكـدرًا وأحيانًا فرحًا، وهو أيضًا إسبالها غمًّا وحزنًا، وإن كثرة الضحك والمبالغـة فيـه أمـرٌ غير محمـودٍ في ديننـا، وعلى عكس ذلـك فإننـا نجد البكاء أمـرًا محمودًا ومرغوبًـا فيه، وفي التنزيل يقول المولى عَزَّوَجَلَّ فيمن تخلّفوا عن رسوله ﷺ ولم ينضمّـوا إليـه في غزوة تبـوك ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيـلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(٢٤٣)، وهذه الآية تؤكّد على أهمّيّة البكاء وقيمته.

أما عن النصارى فيقول فيهم الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُـولِ تَرَى أَعْيُنَهُـمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّـاهِدِينَ**﴾(٢٤٤)، ونتعلم من هذه الآية أهمّيّة الدموع وقدرها عند الله.

(٢٤٣) سُورَةُ التَّوْبِةِ: ٩/٨٢.

(٢٤٤) سُورَةُ التَّوْبِةِ: ٩/٩٢.

وفي أيةٍ أخرى قال تعالى في المؤمنين الفقراء الذين أرادوا الانضمام إلـى الجهـاد: ﴿**وَلَا عَلَى الَّذِيـنَ إِذَا مَا أَتَـوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِـدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْـهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ**﴾(٢٤٥)، فالقرآن الكريـم يزكّـي مَـن تفيـض أعينهـم بالدموع من خشـية الله ويرفـع عنهم الحرج، ويحثُّ الناس على البكاء، بيد أن البكاء يجب أن يكون في محله وموضعه، ويكون بالحدّ المعقول، فالبكاء الذي يكون بضرب الرأس وشدّ الشعر، أو البكاء الذي لا ينبع من القلب ويكون بغرض التظاهر؛ هو بكاء غيـر محمـودٍ، فقد كان رسـول الله ﷺ يبكـي أحيانًا خوفًا علـى أمته ورأفةً بهـم، وأحيانًـا ما يبكي رحمة علـى الأموات وحينًا آخر يبكي خشـيةً من الله وخوفًا، وكثيرًا ما يبكي خشـوعًا عند سـماعه القرآن الكريم أو عندما يصلّي، والآن لِنُلْقِ نظرةً على هذا الموضوع:

أ. بكاؤه ﷺ أثناء الصلاة

كان الرسـول ﷺ يبكـي أحيانًا بصوتٍ لا يسـمعه مـن يقفون خلفه في الصلاة، وأحيانًا ما كان يعلو صوتُ بكائه فيسـمعونه، فعن مطرِّفٍ رضي الله عنه عن أبيـه قال: "أتيـتُ النبيّ ﷺ، وهو يُصَلّي ولِجَوفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ"(٢٤٦)، يعني يبكي بشدّةٍ، ولا ريبَ أنّ بكاءَه هنا هو خشية من الله وخوفٌ منه جل جلاله.

بكاؤه أثناء صلاة الكسوف

وعن عائشـة رضي الله عنها قالت: "خَسَـفَتْ الشَّـمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَسْـجِدِ فَقَامَ وَكَبَّرَ وَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ، فَاقْتَرَأَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ قِـرَاءَةً طَوِيلَـةً، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَـعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَـعَ رَأْسَـهُ فَقَالَ ﷺ: **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**، ثُمَّ قَامَ فَاقْتَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً

(٢٤٥) سُورَةُ التَّوْبِةِ: ٩/٩٢.

(٢٤٦) سنن النسائي، السهو، ١٨.

-هِـيَ أَدْنَى مِـنْ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى- ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَـعَ رُكُوعًا طَوِيلًا هُوَ أَدْنَى مِنْ الرُّكُـوعِ الْأَوَّلِ، ثُـمَّ قَالَ ﷺ: **سَـمِعَ اللهُ لِمَـنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَـكَ الْحَمْدُ**، -ثُمَّ سَـجَدَ وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الطَّاهِرِ "ثُمَّ سَـجَدَ"- ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى اسْـتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، وَانْجَلَتْ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **إِنَّ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَخْسِـفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَـإِذَا رَأَيْتُمُوهَـا فَافْزَعُوا لِلصَّلَاةِ**، وَقَالَ أَيْضًـا: **فَصَلُّوا حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ عَنْكُمْ**، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيـدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنْ الْجَنَّةِ حِيـنَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أُقَدِّمُ** -وقَالَ الْمُرَادِيُّ أَتَقَـدَّمُ- **وَلَقَـدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِـمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِيـنَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَـيَّبَ السَّـوَائِبَ**"[٢٤٧]، والرسـول ﷺ هنا يُعلّمنا أن الخسـوف والكسـوف هو وقت ذكرٍ ودعاءٍ، ويحثُّنا على ذكر الله ﷻ في مثل هذه الأوقات.

ب. البكاء عند سماع القرآن

كان النبـي ﷺ يبكـي عنـد سـماعه القرآن، وبـكاؤه هنا خوفًـا من الله وشوقًا إليه واحترامًا ومحبّةً له، فعن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: "قال لي النبـي ﷺ: **اقْـرَأْ عَلَيَّ**، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْـكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ ﷺ: **فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْـمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُـورَةَ النِّسَـاءِ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَـهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَـهِيدًا**﴾[٢٤٨] قَالَ: **أَمْسِـكْ**، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ"[٢٤٩].

---

(٢٤٧) صحيح مسلم، الكسوف، ٣.

(٢٤٨) سورة النساء: ٤/٤١.

(٢٤٩) صحيح البخاري، فضائل القرآن، ٣٣.

ج. البكاء على الموتى

كان النبي ﷺ أحيانًا ما يبكي لفراق أو موت أحدٍ، ومن ذلك بكاؤه يوم فراق عثمان بن مظعون رضي الله عنه فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "رَأَيْتُ رَسُولَ **اللهِ** ﷺ يُقَبِّلُ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ، حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَسِيلُ"(٢٥٠)، ولقد رُوِي بُكاء النبيّ ﷺ يوم استشهاد عمّه الحمزة فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: "لَمَّا جَرَّدَ رَسُولُ **اللهِ** ﷺ حَمْزَةَ بَكَى، فَلَمَّا رَأَى مُثَالَهُ شَهِقَ"(٢٥١). ولقد ندبَنا النبيّ ﷺ إلى بعض السلوكيّات، ونهانا عن بعضٍ آخر كالتالي:

١- أمره بالاعتدال في البكاء

كان الرسول ﷺ يحزن لأمر مَن على فراش الموت، ويجول الدمع في عينيه ويبكي رقّةً منه ورحمةً بهم، وقد أمر بالاعتدال في البكاء، وإن كان على مَيْتٍ قريبٍ، وقد كان هو نفسه قدوةً حسنةً لأمّته في هذا الأمر.

بكاؤه على حفيده المتوفّى

عن أُسَامَةِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: "أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ ﷺ: **إِنَّ لِلهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ رضي الله عنهم، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ **اللهِ** ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ -قَالَ حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ- فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ ﷺ: **هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**"(٢٥٢).

---

(٢٥٠) **سنن أبي داود**، الجنائز، ٣٥-٣٦.

(٢٥١) الطبراني: **المعجم الكبير**، ١٤٢/٣؛ الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ٢١٨/٣.

(٢٥٢) **صحيح البخاري**، الجنائز، ٣٢.

فـكان بـكاء النبيّ ﷺ في هذا الحديث رحمة، أي إن البكاء ليس دليلًا علـى العجـز والضعف بل هو دليلٌ علـى الرأفةِ والرحمـة النابعة من قلبه الشريف ﷺ، وهناك معنى آخر يفيده الحديث؛ وهو أنّ الله يرحم من عباده الرحماء، فمَنْ لم يُسبل دمعةً واحدةً من عينيه طيلةَ حياته فهو فاقد الرحمة ولا نصيـبَ لـه فـي رحمـة الله إذًا؛ لأنّ مَن لا يَرحَم لا يُرحَـم، أما الرحيم فله من صفته نصيب، وإن دموع العين لهي أصدق تعبيرٍ عن مدى الرحمةِ المكنونةِ في أعماق الإنسان، وهي وسيلةٌ لإظهار رحمة الإنسان بالإنسان، ومن ثمّ فهي إحدى الطرق الموصلة إلى رحمة الله ﷻ.

بكاؤه ﷺ من أجل سعد بن عبادة رضي الله عنه

إن الحديـث التالـي يُعلمنا أنه يجوز لنا أن نبكي على الميت بكاءً غيرَ مبالـغ فيـه، لا يتجاوز الحدّ المعقول، فعن عبـد الله بن عمر رضي الله عنهما ..."فَأَتَاهُ النَّبِـيُّ ﷺ يَعُـودُهُ مَـعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَـعْدِ بْنِ أَبِـي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْـعُودٍ رضي الله عنهم، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِـيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ ﷺ: **قَدْ قَضَـى**؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُـولَ اللهِ، فَبَكَى النَّبِـيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَـوْا، فَقَـالَ ﷺ: **أَلَا تَسْـمَعُونَ إِنَّ اللهَ لَا يُعَـذِّبُ بِدَمْـعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْـبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا** -وَأَشَـارَ إِلَى لِسَـانِهِ- **أَوْ يَرْحَمُ** ..."(٢٥٣)، عندما رأى النبـيُّ ﷺ سـعدَ بنَ عُبادةَ رضي الله عنه مريضًا بكى لحالـه، فتحيّر الصحابة من أمـره ﷺ، وعندئـذٍ أخبرهـم أنه لا عذابَ بـإذراف الدمـوع ولكن العذاب بالأقـوال السـيئة، ومن الطبيعي أن يحزن الإنسـان ويبكـي على ميته، وإذا مـا نظرنـا حولنـا نجد معظم النـاس عندما يواجهـون ظروفًا سـيّئةً محزنةً يتفوّهـون بأقـوالٍ مبالـغٍ فيهـا وفي غيـر محلّها، وقد قـال الحبيب ﷺ في

(٢٥٣) صحيح البخاري، الجنائز، ٤٣؛ صحيح مسلم، الكسوف، ١٢.

حديث شريف "**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى**" أي إنّ الصبر عند وقوع البـلاء والمصيبـة الأولى، وعدم التلفُّظ بألفاظٍ نابيـة؛ أمرٌ في غاية الأهميّة كي لا نجرح شعور الآخرين أو نسخطَ من القدر، ومن ثم علينا أن نصبر على المصائب، وألّا نتفوّه بأقوالٍ مبالـغ فيها أو بما لا يتناسبُ مـع أخلاق وتعاليم الشريعة الإسلاميّة الغراء.

٢- النهي عن البكاء الذي يصحبه صراخ وصياح

لقد حرم دينُنا الصراخَ والصياحَ الشـديدَ والأنينَ بصوتٍ عالٍ، وهناك رواياتٌ كثيرةٌ تبيح البكاء دون صراخٍ أو صياح، أما معه فمنهيٌّ عنه.

بكاؤه ﷺ على بنتٍ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "لَمَّا حُضِرَتْ بِنْتٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ صَغِيرَةٌ فَأَخَذَهَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ فَضَمَّهَـا إِلَـى صَدْرِهِ، ثُمَّ وَضَـعَ يَدَهُ عَلَيْهَـا فَقَضَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَكَتْ أُمُّ أَيمَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا أُمَّ أَيمَنَ، أَتَبْكِيـنَ وَرَسُـولُ اللهِ عِنْـدَكِ**؟ فَقَالَـتْ: مَا لِـي لَا أَبْكِي وَرَسُـولُ اللهِ يَبْكِي!؟ فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: **إِنّي لَسْـتُ أَبْكِـي، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ**، ثُمَّ قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: **الْمُؤْمِـنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنْزَعُ نَفْسُـهُ مِـنْ بَينِ جَنْبَيهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ"(٢٥٤).

فمـن الطبيعيّ جدًّا أن تتأثّر النفس البشـريّة عند فِراقِ قريبٍ أو حبيبٍ مـا، لكـن علـى الإنسـان أن يحترم قـدرَ الله فيه، وأن يرضـى بقضائه جَلَّ جَلَالُهُ؛ فـلا يجزع ولا يفزع ولا ينـدب ولا ينوح؛ لكيلا يقـع في مغبّة عدم الرضا بقضاء الله وقدره؛ ولكيلا يكون يائسًا من رحمة الله.

(٢٥٤) سنن النسائي، الجنائز، ١٣.

بكاؤه ﷺ على ابنه إبراهيم

حزن الرسـول ﷺ كثيـرًا لوفاة ابنه إبراهيم، وتهاطلت دموعه الشـريفة -روحـي فداه- على وجنتيه الشـريفتين، ويتبيّـن ذلك من الحديث التالي:

عَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَـالَ: "دَخَلْنَا مَـعَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَـيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا[٢٥٥] لِإِبْرَاهِيمَ، فَأَخَذَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَـمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ!؟ فَقَالَ: **يَا ابْـنَ عَـوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: **إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**"[٢٥٦]، ففـي هذا الحديث الشـريف يُعلِّمنا النبيّ ﷺ أن دمـوع الرحماء من الناس دليـلٌ علـى رحمتِهـم حيث قال "**إِنَّهَـا رَحْمَةٌ**"، كما أنه ذكـر ثلاثةَ حقوق يجب الانتباه إليها وهي:

١- حقُّ الأب

نرى النبيّ ﷺ في هذا الحديث أبًا يحزن لفقدان ولده، وقد كان البكاء في هذه المواقف يُعدّ في العهد الجاهليّ عيبًا، لذلك فإننا نرى من شاهدوا الرسـول ﷺ يبكي قد تعجّبوا لأمره قائلين: "وأنت يا رسـول الله؟"، لكنّ بكاءَ أيّ أبٍ على ابنه شعورٌ أبويٌّ فطريٌّ، وإن لم يفعل فهو دليلٌ على أنه لا يملـك الأبـوّة الكاملة ولا الرحمة المثاليّة، فحـق الأبوّة أن يبكي الأب عندمـا يفقـد ولده، لكـن دون مبالغةٍ في البكاء وليـس لأحدٍ أن يمنعه عن فعل هذا.

---

(٢٥٥) ظئرًا: زوج مرضعته، وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجّارية.

(٢٥٦) صحيح البخاري، الجنائز، ٤٣.

٢- حقّ الابن

يُقـدّم الإنسـان الغالي والنفيس من أجل أبنائـه، ذاك أن ابنه يُعدّ قطعةً مـن روحـه ودمه، لذلك فـإن الأب يتأثّر بكلّ النوازل التـي تعصف بابنه، وهذا من الحقوق المشروعة لكلّ ابنٍ على أبيه.

٣- حقّ اللَّه

إن الإنسـان خليفـة الله في أرضـه، وكلّ ما نملكه هو في الأصل ملك لله، وكما أن جسدنا وصحّتنا نِعَمٌ أنعمَ بها الخالق علينا؛ فإن أبناءنا وجميع أقربائنا الذين نحبّهم أيضًا نعمةٌ من عنده سـبحانه، ومن ثمّ لا يحقّ لنا أن نغضـب عندما يسـتردّ الله أمانته التي أعطانا إيّاها، وألا نسـيء القول، لأن هذا هو حقّ الله كما أنه دَينٌ لا بدّ من الوفاء به.

د. بكاؤه ﷺ من أجل نجاة أمّته

كان النبيّ ﷺ يعبّر عن شعوره نحو أمته بالدعاء لها والبكاء من أجلها، فقد كان يرتعد خوفًا على أمته ويدعو لها بالنجاة كلّما سنحت له الفرصة، وفـي روايـة ‟أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَـلَا قَوْلَ اللهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيـمَ: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِـيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾[٢٥٧]، وَقَالَ عِيسَـى ؏: ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُـمْ عِبَـادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُـمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيـمُ**﴾[٢٥٨]، فَرَفَـعَ يَدَيْهِ ﷺ وَقَـالَ: **اللَّهُمَّ أُمَّتِـي أُمَّتِي**، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: **يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَـلْهُ مَا يُبْكِيكَ**، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ؏ فَسَـأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُـولُ اللهِ ﷺ بِمَـا قَـالَ -وَهُوَ أَعْلَمُ- فَقَالَ اللهُ: **يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَـنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُـوءُكَ**"[٢٥٩]، وبهذه البشـرى واسى المولى ﷻ نبيَّه ﷺ وطمأنه.

---

(٢٥٧) سورة إبراهيم: ١٤/ ٣٨.

(٢٥٨) سورة المائدة: ٥/ ١١٨.

(٢٥٩) صحيح مسلم، الإيمان، ٣٤٦.

ذ. أمره ﷺ لأصحابه بالبكاء

البكاء خوفًا من الله وخشـيةً منه وإجلالًا وإعظامًا له؛ هو حالةٌ خاصّةٌ بالمؤمنيـن، ونـرى ذلـك في مواضـع كثيـرةٍ في القرآن الكريـم، كما نرى أنـه أيضًـا يُنـذر من يظنـون الحيـاة الدنيـا لعبًا ولهـوًا، ويقضـون عمرهم لاهيـن ضاحكيـن، فنجـد الآية التالية تؤكّـد على أهمّيّة البـكاء قال تعالى ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٢٦٠]، لقد أمرنا الله فـي آيـات كثيرة من القرآن الكريـم أن نعبّر عما بداخلنا بما يتناسـبُ مع حالنا، ولقد عاش النبيّ ﷺ حياته على هذا النسق فعَنْ ثَوبَانَ مَولَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَـالَ: قَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَـانَهُ، وَوَسِـعَهُ بَيتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ**"[٢٦١]، وهو هنا يحث على البكاء، وقد كان ﷺ يتكلم بكلماتٍ مؤثّـرةٍ كـي ينبّه أصحابه ويجـذب انتباههم إلى معرفة أهـوال يوم القيامة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا**"[٢٦٢].

كان الحبيب يأمر أصحابه بالبكاء دومًا، ويؤكّد أن دموع العين الهاطلة خشـيةً مـن الله وإجـلالًا له تكون سـترةً ونجـاةً لصاحبها من عـذاب يوم القيامـة، فعَـنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُـولُ: "**عينَانِ لَا تَمَسُّـهُمَا النَّارُ: عَينٌ بَكَتْ مِنْ خَشْـيَةِ اللهِ، وَعَينٌ بَاتَتْ تَحرُسُ فِي سَـبِيلِ اللهِ**"[٢٦٣].

فالحديث يبيّن أن البكاء أحيانًا يكون سببًا من أسباب الوقاية من النار، وفي روايةٍ أخرى عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَا يَلِجُ النَّارَ**

(٢٦٠) سُورَةُ التَّوْبِةِ: ٨٢/٩.

(٢٦١) الطبراني: **المعجم الأوسط**، ٢١/٣.

(٢٦٢) **صحيح البخاري**، الأيمان والنذور، ٣.

(٢٦٣) **سنن الترمذي**، فضائل الجهاد، ١٢.

رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْـيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَـبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ"(٢٦٤)، وهنا يؤكّد النبي ﷺ على قيمة البكاء وقدره عند الله عزّ وجلّ.

ر. بكاء أصحابه لبكائه ﷺ

كان الصحابـة الكـرام رضي الله عنهم -من شـدّة محبّتهـم لرسـول الله- إذا تأثر بشيءٍ يتأثّرون، وإذا بكى يبكون، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿**أَفَمِنْ هَـذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُـونَ وَلَا تَبْكُونَ**﴾(٢٦٥)، بَكَـى أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، فَلَمَّا سَمِـعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَنِينَهُمْ بَكَى مَعَهُـمْ، فَبَكَيْنَـا بِبُكَائِهِ، فَقَالَ ﷺ: "**لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْـيَةِ اللهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِرٌّ عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَو لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**"(٢٦٦)، فكان الصحابةُ يتعاهدون أنفسهم بالبكاء، إما خوفًا وخشيةً من الجبّـار جلّ جلاله وإمـا خوفًا من الوقوع في معصيته، وإمّا محبّةً له واشـتياقًا إلى القرب منه، فكانوا في حالةِ التجاءٍ دائمٍ إليه.

ز. وجوب البكاء عند قراءة القرآن

عن سَـعد بن أبي وقّاصٍ رضي الله عنه قال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: "**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُـوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوا، وَتَغَنَّوا بِـهِ فَمَـنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِـهِ فَلَيسَ مِنَّا**"(٢٦٧)، فقد يكـون النبي قصد بهذا الحديث أن يقول "ابحثوا لأنفسـكم عن السـبل التي تُرقِّق قلوبكم وتُلينها"، وهناك وضعان مختلفان لذلك، أحدهما أنْ يُجبر الإنسان نفسَه على البكاء رياءً،

---

(٢٦٤) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ٨.

(٢٦٥) سورة النجم، ٥٣/٥٩ ـ٦٠.

(٢٦٦) البيهقي: شعب الإيمان، ٢/٢٣٣.

(٢٦٧) سنن ابن ماجه، إقامة الصلوات، ١٧٦.

والآخر أن يحملَ الإنسـان نفسَـه على البكاء خشـوعًا عند سـماع القرآن، فالأول مُحرّم، والثاني مأمور به.

هـ. البكاء على الذنوب

أمـر النبـي ﷺ عقبـةَ بن عامـر رضي الله عنه أن يبكـي على خطيئته عندما سـأله عن طريق النجاة فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ ﷺ: **امْلِكْ عَلَيكَ لِسَـانَكَ، وَلْيَسَـعْكَ بَيتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**"(٢٦٨)، وفي هذا الحديث يأمر النبي ﷺ بـ:

١- إمساك اللسان عن قول السوء.

٢- الجلوس في البيت مبتعدًا عن الناس ومتفرّغًا للطاعات والعبادات متضرّعًا إلى الله.

٣- البكاء والندم على الذنوب والمعاصي.

و. أمره ﷺ بالتباكي عند عدم الاستطاعة على البكاء

أمـر النبـي ﷺ مـن لا يبكون من النـاس أن يتباكوا، فعَنْ سَـعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتبَاكَوْا**"(٢٦٩).

ي. أمره ﷺ بالبكاء خشية من الله

وقـد حـثّ النبيّ ﷺ على البكاء خشـيةً من الله، وطربًـا بذكر الله، فعن أبـي هريـرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: "**سَـبْعَةٌ يُظِلُّهُـمْ اللهُ فِـي ظِلّـهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَـابٌّ نَشَـأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ**

(٢٦٨) سنن الترمذي، الزهد، ٦٠.

(٢٦٩) سنن ابن ماجه، الزهد، ١٩.

امْـرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِـبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَـمَ شِـمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُـلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَـتْ عَيْنَاهُ''(٢٧٠)، ولنختـم موضوعنـا بهـذا الحديـث الشـريف الـذي يوضّح فضـل البكاء بما ورد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ''**لَيسَ شَيءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ قَطْرَتَينِ وَأَثَرَينِ، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْـيَةِ اللهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَـبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ''**(٢٧١).

وبهذا نستخلص أن البكاء له ثلاثة أسباب:

١- أن يكون ناتجًا عن مشاعر وعواطف دينيّة.

٢- أو خوفًا وخشيةً من الله.

٣- أو بسبب البلايا والمصائب التي تصيب الإنسان.

والمهمّ في كل أنواع البكاء أن لا يخرج عن أُطُرِ المنطقيّة والعقل وأن لا يصـل إلـى الإفراط أو التفريط وألّا يتخلّلـه صياح أو صراخ أو كلماتٌ تنمّ عن عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

وأخيـرًا إن البكاء هو شـعورٌ فطريٌّ داخليّ يُكْسِـبُ الإنسـان الراحة، وكما أمرنا الرسـول الكريم ﷺ أيضًا بالبكاء في الصلاة وعند قراءة القرآن أو علـى الأقـلّ التباكـي، فإنه قد أجاز لنا البكاء فـي الأحزان دون عصيان للقـدر، وبـلا صـراخٍ أو صياحٍ -أي بـكاء لا إفراط فيه- كمـا يجب علينا أيضًا أن نبكي وندعو من أجل نجاة أمّتنا في الآخرة، ومن أجل العفو عن خطايانـا، بيـد أن بكاءنا هذا يجب أن يكون من القلب وخشـية وخوفًا من الله وألّا نضعه في غير محلّه أو موضعه.

---

(٢٧٠) صحيح البخاري، الأذان، ٣٦.

(٢٧١) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ٢٦.



القسم الثامن

آداب رسول الله ﷺ في الولائم



إجابة الدعوة في حياة رسول الله ﷺ

الدعوة (المناسبة): هي الاجتماعات التي يُقدّم فيها الطعام والشراب مودّةً واحترامًا وتآلفًا بين الناس، أما إجابة الدعوة فتعني قبولها وتلبيتها، وثمّة أصولٌ وقواعد مهمّةٌ من أجل تقوية أواصر الصداقة والمودّة والحبّ بين المسلمين، من أهمِّها إجابة الدعوة، ونتعلّم من الحديث التالي أن إجابة الدعوة من أهمّ الواجبات التي على المسلم أن يؤدّيها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ**"(٢٧٢)، كما أكّد المصطفى ﷺ أيضًا على أن إجابة الدعوة حقّ المسلم على المسلم، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**خَمْسٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ: رَدُّ التَّحِيَّةِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَشُهُودُ الْجِنَازَةِ، وَعِيَادَةُ**



(٢٧٢) صحيح مسلم، النكاح، ١٦.

الْمَرِيضِ، وَتَشْـمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللهَ"[٢٧٣]، ذكر الحديث السـابق أن إجابة الدعوة من الواجبات الأساسـيّة على المسـلم، وكان النبيّ ﷺ يُدعَى لموائد طعام ومراسم أعراسٍ ومناسباتٍ وأماكن مهمّة؛ فكان ﷺ يُلبّي هذه الدعـوات، بـل ويدعو أصحابـه أيضًا إلى منزله، والآن لنلـقِ نظرةً خاطفةً على هذه الناحية:

أ. تلبيته ﷺ للدعوات

١- إجابته ﷺ لموائد الطعام

كان الحبيـب ﷺ يجيـب دعوات الطعام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: "**لَـو دُعِيتُ إِلَـى ذِرَاعٍ أَوْ كُـرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَو أُهْدِيَ إِلَـيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُـرَاعٌ**[٢٧٤] **لَقَبِلْـتُ**"[٢٧٥]، ولحم الذراع والكراع المذكـور في الحديث هو نـوعٌ مـن اللحوم التي لا يفضلهـا الكثير من النـاس، وتلبيته ﷺ لمثل هذه الدعـوات دليلٌ على تواضعه، أما المعنى الآخر الذي يفيده الحديث؛ فهو اتّبـاع سـنّة النبيّ ﷺ فـي إكثار الضيافـة وتقديم أفضل أنواعهـا وألّا يُحقّر الضيـف ما قُـدّم لـه، ذاك أن هذه الدعـوات تُقوِّي العلاقـات الاجتماعية وتزيد الصداقة والمودّة بين الناس، ومن ثمّ علينا تلبية هذه الدعوات بقدر استطاعتنا.

إجابته ﷺ لدعوة جابر رضي الله عنه

يـروي لنا جابر رضي الله عنه أن الرسـول ﷺ انضـمّ إلى مائدةٍ عليها طعامٌ يكفي بضعـةَ أشـخاصٍ، إلّا أن مـا يقرب من ألفِ شـخصٍ قد شـبعوا منها، عن

---

(٢٧٣) سنن ابن ماجه، الجنائز، ١.

(٢٧٤) ذراع: اليد من الحيوان، والكراع: ما استدقّ من ساق الحيوان.

(٢٧٥) صحيح البخاري، الهبة، ٢.

جابر ﷺ قَالَ: ''إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ ﷺ: **أَنَا نَازِلٌ**، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ وَلَبِثْنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ فَذَبَحَتْ الْعَنَاقَ وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ[٢٧٦] ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ[٢٧٧] قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ ﷺ: **كَمْ هُوَ؟** فَذَكَرْتُ لَهُ قَالَ ﷺ: **كَثِيرٌ طَيِّبٌ**، قَالَ ﷺ: **قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنْ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ**، فَقَالَ ﷺ: **قُومُوا**، فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ ﷺ: **ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا**، فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ قَالَ ﷺ: **كُلِي هَذَا وَأَهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ**''[٢٧٨].

إجابته ﷺ لدعوة بني سلمة

كان النبي ﷺ يلبي غالبًا ما دعوة أي قبيلةٍ، ويروي لنا أنس بن مالك ﷺ أنه ﷺ أجاب دعوة بني سلمة، حيث قال: ''صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَصْرَ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ

(٢٧٦) البرمةُ: قِدْرٌ عَميقٌ مِنَ الحِجارَةِ أَوِ النُّحاسِ.

(٢٧٧) الأثافيّ: جمعُ أُثْفِيَة، وهي أحجار ثلاثة تُوضع عليها القدر فوق الموقد.

(٢٧٨) **صحيح البخاري**، المغازي، ٣٠.

نَنْحَـرَ جَزُورًا لَنَا وَنَحْـنُ نُحِبُّ أَنْ تَحْضُرَهَا، قَالَ ﷺ: **نَعَمْ**، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْنَا مَعَـهُ فَوَجَدْنَـا الْجَـزُورَ لَمْ تُنْحَرْ فَنُحِـرَتْ ثُمَّ قُطِّعَتْ ثُمَّ طُبِـخَ مِنْهَا ثُمَّ أَكَلْنَا قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّـمْسُ"(٢٧٩)، وهذا الحديث يُبين أن النبيّ ﷺ قد لبّى هذه الدعـوة، وأكل مـن الجمـل المقـدّم له، وباركـه، وهذا دليـلٌ على لينه ﷺ وتسامحِه ورأفتِه بأصحابه.

إجابته ﷺ لدعوة الفقراء

لـم يُفـرّق الرسـول ﷺ بين الناس في تلبيـة دعواتهم، مثلمـا لم يُفرّق بينهـم فـي أيّ شـيءٍ آخر، فهـو يُجيب الدعـوة غنيًّا كان الداعـي أم فقيرًا ولا يجـرح شـعور أحد، خاصة دعوة الفقراء الذيـن لا يملكون ما يقدّموه للناس لقلّة حيلتهم، فكان الرسول الحبيب ﷺ لا يُقصّر في تلبية دعواتهم تطييبًـا لخاطرهـم، عَـنْ أَنَسِ بْـنِ مَالِـكٍ ﷺ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيكَةَ دَعَتْ رَسُـولَ اللهِ ﷺ لِطَعَـامٍ صَنَعَتْـهُ لَهُ فَـأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ: "**قُومُـوا فَلأُصَلِّ لَكُمْ**" قَالَ أَنَـسٌ فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْـوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِـسَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْـنِ ثُـمَّ انْصَـرَفَ(٢٨٠)، كما أن هناك أمر آخـر يجب الانتباه إليه فـي موضوع الدعوة ألا وهو دعوة الجيران بعضهم البعض، فعلى النسـاء خاصّـةً الانتبـاه لهذا الأمر عَنْ أَبِي هُرَيـرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيّ ﷺ قَـالَ: "**تَهَادَوْا فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِـّق فِرْسِنِ شَـاةٍ**"(٢٨١)، فـلا ينبغي احتقار مـا تقدّمه الجارة لجارتهـا مهما كان صغيرًا وقليلًا، ولا ينبغي أبدًا التكبّر أو الغرور بل ينبغي العيشُ ببساطة وتواضعٍ قدر المستطاع.

(٢٧٩) صحيح مسلم، المساجد، ٣٤.

(٢٨٠) صحيح البخاري، الصلاة، ٢٠.

(٢٨١) سنن الترمذي، الولاء والهبة، ٦.

إجابته ﷺ لدعوة الغلام الخيّاط

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: "دَخَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى غُلَامٍ لَهُ خَيَّاطٍ، فَقَدَّمَ إِلَيهِ قَصْعَةً فِيهَا ثَرِيدٌ، قَالَ: وَأَقْبَلَ عَلَى عَمَلِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُهُ فَأَضَعُهُ بينَ يَدَيهِ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ بَعْدُ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ"(٢٨٢)، يُعتَبَرُ هذا الحديثَ في غاية الأهمّية، حيث يوضّح لنا مدى تواضعه ﷺ وتقديرِهِ للناس، فنجد فيه أن النبيّ ﷺ قد لبّى دعوة شخصٍ فقيرٍ لم يُذكر اسمه حتى، وطيّب خاطرَه.

إجابته ﷺ لدعوة أبي طلحة

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﵁ قال: "قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيءٍ؟ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحتَ ثَوبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟** فَقُلْتُ نَعَمْ، قَالَ ﷺ: **بِطَعَامٍ؟** قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: **قُومُوا**، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَينَ أَيدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيسَ عِنْدَنَا مِنْ الطَّعَامِ مَا نُطْعِمُهُمْ، فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى دَخَلَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْم مَا عِنْدَكِ؟** فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً(٢٨٣) لَهَا فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**،

---

(٢٨٢) صحيح البخاري، الأطعمة، ٢٥.

(٢٨٣) العُكَّة : زِقٌّ صَغير للسمن.

فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ أَذِنَ لِعَشَرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالْقَوْمُ ثَمَانُونَ رَجُلًا"(٢٨٤).

٢- إجابته ﷺ لدعوات مراسم الأعراس

يجتمع الناس في الحياة اليوميّة لأسبابٍ عدّةٍ، وهذه التجمُّعات توطِّد مشاعر الصداقة والأخوّة فيما بينهم، ولا ريب أن أهمّ هذه التجمّعات هي حفلات الأعراس، فليس من اللائق أن نترك هذين الشخصين وحيدَين في أسعد أيّامهما، وذلك من باب التضامن الاجتماعي، ومن ثمّ أمر النبي ﷺ بتلبية دعوات حفلات الزفاف، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ "**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا**"(٢٨٥)، وفي الحديث التالي يُشير الرسول الكريم ﷺ إلى أهمّيّة إجابة الدعوة وضرورة تناول الطعام المقدّم إن لم يكن هناك عذرٌ مقبولٌ يمنع من ذلك، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ**"(٢٨٦).

أمره ﷺ بالذهاب إلى مراسم الأعراس

أمر النبيّ ﷺ بالذهاب إلى حفلات الزفاف، وقال فيمن لا يودّون الانضمام إلى مثل هذه الدعوات دون عُذرٍ: "...**وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**"(٢٨٧)، وفي رواية أخرى عن نافع قال: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: "**أَجِيبُوا هَـذِهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ لَهَا**، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَأْتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَغَيْرِ الْعُرْسِ وَهُوَ صَائِمٌ"(٢٨٨).

---

(٢٨٤) صحيح البخاري، المناقب، ٢٥.

(٢٨٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، ٧٢.

(٢٨٦) سبق تخريجه، حاشية رقم (٢٦٩).

(٢٨٧) صحيح مسلم، النكاح، ١٦.

(٢٨٨) صحيح البخاري، النكاح، ٧٥.

أمرُه ﷺ مَن يأتي دون دعوةٍ أن يستأذن أهل البيت

لا ريب أن من أهمّ قواعد إجابة الدعوة والأصول التي يجب على المسلم اتباعها هو عدم ذهاب الشخص إلى مكانٍ لم يُدعَ إليه، كما أنه لا يليق إحضار صديقٍ غير مدعوٍّ إلى مكانٍ دُعينا إليه نحن، وإن حدث ذلك فعلينا أن نستأذن من صاحب الدعوة، ولقد قال الرسول ﷺ فيمن يذهب دون دعوة في رواية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "...**وَمَنْ دَخَلَ عَلَى غَيرِ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا**"(٢٨٩)، أما إذا اضطررنا لإحضار شخصٍ معنا أو أنه جاء رغمًا عنا فعلينا أن نطلب الإذن من صاحب الدعوة، ويستوقفنا هنا الحديث التالي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يُكْنَّى أَبَا شُعَيبٍ فَقَالَ لِغُلَامٍ لَهُ قَصَّابٍ: اجْعَلْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ، فَدَعَاهُمْ فَجَاءَ مَعَهُمْ رَجُلٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنَّ هَذَا قَدْ تَبِعَنَا فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ فَأْذَنْ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْجِعَ رَجَعَ**، فَقَالَ: لَا بَلْ قَدْ أَذِنْتُ لَهُ"(٢٩٠)، وفي الحديث يوضّح الحبيب ﷺ لصاحب البيت أن ذلك الرجل الذي تبعه لم يأتِ بدعوةٍ منه، فهو بذلك جنّب المدعوّين من الوقوع في الحرج، ونراه أيضًا قد هيّأ للضيف الذي جاء بغير دعوةٍ المناخَ ليتواجد في المكان وهو مطمئنّ، كما أنه أيضًا يُعلِّم كلًّا من الداعي والمدعوّ ماذا عليهما أن يفعلا في مثل هذا الموقف.

٣- إجابته ﷺ لدعوات أصحابه إلى منازلهم:

تلبيته ﷺ للدعوة في المنزل الذي استُخدم مسجدًا

كان الصحابة يدعون النبيّ ﷺ إلى منازلهم كي ينتفعوا من فيض يمنه وبركته، ومنهم مَن يُجهّز ركنًا خاصًّا في بيته ويطلب من النبيّ ﷺ

(٢٨٩) سنن أبي داود، الأطعمة، ١.

(٢٩٠) صحيح البخاري، البيوع، ١٦٣.

أن يصلّي فيه، فكان النبيّ يطيّب خاطرهم ويستجيب لذلك، ويستوقفنا هنا الحديث التالي: فعن مَحْمُود بْن الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيَّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ -وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ- أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَومِي، وَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنَّ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ لَهُمْ، وَدِدْتُ أَنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ تَأْتِي فَتُصَلِّي فِي مُصَلًّى، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ**، قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبيتَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **أَينَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّي مِنْ بَيتِكَ**؟ قَالَ: فَأَشَرْتُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبيتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رَكْعَتَينِ، ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرٍ صَنَعْنَاهُ لَهُ، قَالَ: فَثَابَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ حَولَنَا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي الْبيتِ رِجَالٌ ذَوُو عَدَدٍ"[٢٩١].

ويبيّن هذا الحديثُ بوضوحٍ مدى اهتمام النبيّ ﷺ بتلبيةِ دعوة أصحابه، حيثُ أجاب النبيّ ﷺ دعوة ذلك الرجل المسنّ الذي لا يستطيع الحضور إلى المسجد بسبب مرضه وشيخوخته، وذهب إليه ملبّيًا دعوته في اليوم التالي مباشرةً.

ب. الدعوات التي لم يلبِّها المصطفى ﷺ

دعوات المتكبّرين والمتغطرسين من الناس

نهى النبيّ ﷺ عن دعوة الأغنياء فقط بقصد التباهي والتفاخر وإهمال دعوة الفقراء، وذمّ ذلك ووصفَ ما يُقدّم فيه بأنه شرّ الطعام، ففي رواية عَنْ

(٢٩١) صحيح مسلم، المساجد، ٤٧.

أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْـرَكُ الْفُقَـرَاءُ وَمَنْ تَـرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُـولَهُ** ﷺ"[٢٩٢]، فيؤكّد الحديث على أهمّيّة تلبية الدعوة، وعدم التمييز بين الناس أو التفرقة بينهم عند توجيه الدعوة إليهم، ويُرشدنا ﷺ إلى السلوك الحسن القويم ألا وهو المسـاواة عنـد توجيـه الدعوة وعدم التفريق بين غنـيٍّ أو فقيرٍ امتثالًا لأمر الله وابتغاءً لرضوانه.

وكان النبيّ ﷺ يُحاول -قدر اسـتطاعته- تلبية الدعوة، شـريطةَ خلوّها من المحرّمات والمنكرات، وكان متواضعًا في الهيئة والكيفيّة التي يجلس فيهـا لتنـاول الطعام، فعـن أنس بن مالكٍ ﵁ قال: "**مَـا أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ، وَلَا فِي سُكْرُجَةٍ، وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ**"[٢٩٣].

ج. دعوته ﷺ للضيف في منزله

دعوته ﷺ لجابرٍ إلى الطعام في منزله

كان النبيّ ﷺ أكرمَ البشر وأجودَهم على الإطلاق، يُعطي المحتاج كلّ ما في يده، حتى إنه كان يُعطي عطاء مَن لا يخشى الفقر، وذات يوم مرّ على منزل جابر بن عبد الله ﵄ -الذي كان معسـرًا مادّيًّا ومعيلًا لإخوته السـبعة بعد استشهاد والده في يوم أُحُدٍ، والذي كان متفانيًا في خدمةِ إخوته الأيتام ورعاية أسـرته الكبيرة- الذي كان النبيّ يحبّه ويحترمه أيّما حبٍّ واحترام، ودعـاه إلـى الطعام في بيته ﷺ ويروي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: "كُنْتُ جَالِسًـا فِي دَارِي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَقُمْتُ إِلَيهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجَرِ نِسَـائِهِ، فَدَخَلَ ثُمَّ أَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيهَا، فَقَالَ ﷺ: **هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟** فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ فَوُضِعْنَ عَلَى بتّيٍّ، فَأَخَذَ

(٢٩٢) سبق تخريجه، حاشية رقم (٢٨٤).

(٢٩٣) صحيح البخاري، الأطعمة، ٢٣.

رَسُــولُ اللهِ ﷺ قُرْصًا فَوَضَعَهُ بَينَ يَدَيهِ، وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ فَوَضَعَهُ بَينَ يَدَيَّ، ثُــمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ فَكَسَــرَهُ بِاثْنَينِ فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَينَ يَدَيــهِ وَنِصْفَهُ بَينَ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **هَلْ مِنْ أُدُمٍ**؟ قَالُوا لَا إِلَّا شَــيءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ ﷺ: **هَاتُوهُ فَنِعْمَ الأُدُمُ هُوَ**"(٢٩٤).

وأخيــرًا: يجــب تلبيــة الدعوة إلى الطعام أو العــرس، خاصّةً إن كانت هنــاك دعوات من الأقارب والأصدقاء المقرّبين والفقراء، كما يجب علينا أيضًــا أن ندعوهــم، وألا نذهب إلى أيّ وليمةٍ دون دعوةٍ وألا نُجيب دعوة المتكبّرين والمتغطرسـين من الناس وأن لا نجيب الدعوات التي تحتوي على المحرّمات أو المنكرات.

(٢٩٤) صحيح مسلم، الأشربة، ٣٠.



القسم التاسع

آداب رسول الله ﷺ في التهادي



التهادي في حياة رسول الله ﷺ

كلمـة هدية: في اللغة العربيّة مشـتقّةٌ من كلمة هداية -هَدي، هُدى- بمعنى "الإرشاد إلى الطريق الصحيح".

ومن معانيها أيضًا إعطاء الشخص لغيره شيئًا لإظهار محبّتـه لـه، ولكي تقوى روابط الأخـوّة والصداقة وتدوم طويـلًا؛ لا بـدّ مـن دعمهـا مادّيًـا ومعنويًـا، ولا ريب أن التهادي وسـيلةٌ لهذا الدعم، وليس فـي القرآن آيةٌ تتعلّق بحكم التهـادي وقبول الهدية إلا تلك الآية التي تتحدّث عن ملكة سـبأ والهدايا التي أرسـلتها لنبيّ الله "سـليمان" وأنـه عليه السلام لـم يقبل هدية القوم الكافريـن لأنهم لم يقبلوا دعوتـه للحقّ ﴿**وَإِنِّي مُرْسِـلَةٌ إِلَيْهِـمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِـرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَـلُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ سُـلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾[٢٩٥].



---

(٢٩٥) سُورَةُ النَّمْلِ: ٢٧/٣٥-٣٦.

أمـا الأحاديث فهنـاك رواياتٌ كثيرةٌ تتعلّق بموضـوع التهادي، وقبول الهديّة وردّها، والآن لنُلْقِ نظرةً على بعض المواقف في حياة الرسـول ﷺ التي تتعلّق بموضوع التهادي.

أ. مَنْحُ الهدية وقبولُها

١- إعطاؤه ﷺ الهدايا

مثلمـا كان النبـيّ ﷺ يقبـل الهدايـا، كان أيضًا يقدّمهـا، وكان النبيّ ﷺ يُقـدّم الهدايـا دون مقابلٍ فكان يهادي نسـاءَه وجيرانَه وأقربـاءَه وأصحابَه وخدَمَه ومَنْ يَوَدُّ أن يحبّبهم في الإسلام، والوفودَ التي تأتي لزيارته، وكان من جملة الهدايا التي يُقدّمها النبيّ ﷺ اللباسُ والطعامُ والعطورُ والأحصنةُ والجِمالُ واللحومُ والأراضي وغيرها، فعَنْ عَائِشَـةَ رضي الله عنها قَالَتْ ''**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا**''[٢٩٦]، وكانت الهدية التي يقدمها الرسول تختلف باختلاف المكانة الاجتماعية بالنسبة للشخص المُهدى إليه.

الأشخاص الذين أهداهم

أ. من أراد أن يهديهم للإسلام

الهديّة التي أهداها لصفوان بن أميّة:

عَـنِ ابْنِ شِـهَابٍ قَالَ: ''**غزَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْـحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَينٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْـلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُـولُ اللهِ ﷺ يومَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً'' قَالَ ابْنُ شِـهَابٍ: حَدَّثَنِي سَـعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: ''وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**''[٢٩٧].

(٢٩٦) صحيح البخاري، الهبة، ١١.

(٢٩٧) صحيح مسلم، الفضائل، ١٤.

وكما نرى فإنّ النبيّ ﷺ أهدى لصفوان من النّعَمِ ما لا يخطر ببالِ أحدٍ، وذلك بُغيَةَ إدخال الإسلام إلى قلبه.

ب. من دخلوا في الإسلام حديثًا

الهدية التي أهداها النبيُّ ﷺ إلى الشاعر المعروف "كعب بن زهير":

كان في عهد المصطفى ﷺ شعراء وفصحاءُ وبُلغاءُ مسلمون كُثُرٌ، كما كان هناك أيضًا من الفصحاء والشعراء من يُصرّ على الكفر محاولًا إيذاء النبي ﷺ وأصحابه بأبياتٍ من الشعر، وقد كان "كعب بن زهيرٍ" أحدَ هؤلاء الشعراء، وقد أسلم أخوه "بُجير"، ولمّا أحسّ زهيرٌ بالحقد والكراهيةِ لدخول أخيه في الإسلام، كتب شعرًا سيّئًا، وعندما قرأه "بُجير" على رسول الله ﷺ، حزن النبي ﷺ، ثم قال لأصحابه: ‘‘**مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ كَعْبًا فَلْيَقْتُلْهُ، فَإِنِّي قَدْ أَهْدَرْتُ دَمَهُ مِنَ الْآن**‘‘، فأرسل "بُجير" إليه خطابًا يُحذّره فيه وينصحه، فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا الْكِتَابُ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَرْجَفَ بِهِ مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، فَقَالُوا: هُوَ مَقْتُولٌ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ شَيءٍ بُدًّا؛ قَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَذَكَرَ فِيهَا خَوفَهُ وَإِرْجَافَ الْوُشَاةِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ بَينَهُ وَبينَهُ مَعْرِفَةٌ، -مِنْ جُهَينَةَ كَمَا ذُكِرَ لِي- فَغَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَشَارَ لَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ، فَقُمْ إِلَيهِ فَاسْتَأْمِنْهُ، فَذُكِرَ لِي أَنَّهُ قَامَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَعْرِفُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيرٍ قَدْ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تَائِبًا مُسْلِمًا، فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **نَعَمْ**، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ ابْنِ قَتَادَةَ: أَنَّهُ وَثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي وَعَدُوَّ

اللهِ أَضْـرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: **دَعْهُ عَنْـكَ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا، نَازِعًا عَمَّـا كَانَ عَلَيْهِ**، قَالَ فَغَضِـبَ كَعْبٌ عَلَى هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ، لِمَا صَنَعَ بِـهِ صَاحِبُهُـمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا بِخَيرٍ، فَقَالَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي قَالَ حِينَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ:

إنَّ الرَّسَولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُول(٢٩٨).

وكمـا نرى في الحديث الشـريف السـابق فعلى الرغم مـن أنه عادى النبيّ ﷺ لبعضِ الوقت إلا أن النبيّ قَبِلَ رجوعَه عن غيّه وصفح وعفا عنه، بل وأهداه بردةً نبويّة شريفةً مباركةً(٢٩٩).

ج. أصحابه ﷺ

إعطاؤه نقودًا لسيدنا عمر رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: سمعتُ عمر يَقُولُ: ''كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِينِـي الْعَطَـاءَ فَأَقُولُ أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنّي فَقَالَ ﷺ: **خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَـيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْـرِفٍ وَلَا سَـائِلٍ فَخُذْهُ وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**''(٣٠٠).

والعَطَـاءُ: منحُ الشـيء بكرمٍ وإحسـانٍ وتسـامحٍ، وهي كلمـةٌ يندرجُ تحتها كلّ أنواع الخير والمساعدة، كما تطلق على المال الذي يُعطى لمن يُجاهدون في سبيل الله.

وقد ذُكر في القرآن الكريم الأصناف التي تستحقّ الزكاة، ومن هؤلاء المجاهـدون في سـبيل الله، والعطـاء المذكور في الحديث هنـا؛ هو نقودٌ خاصّةٌ غير نصيب المجاهدين المذكور في القرآن الكريم، وقد كان النبيُّ

---

(٢٩٨) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ٣/٣٦٩.

(٢٩٩) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٤/٣٦٩.

(٣٠٠) **صحيح البخاري**، الزكاة، ٥١.

ﷺ أحيانًا ما يُعطي سيدَنا عمر ﵁ عطاءً بصفته مجاهدًا في سبيل الله، مع العلمِ أنه كان يوجدُ في ذلك الوقت مَن هم أشدّ احتياجًا مِن سيدنا عمر ﵁ إلا أنّ هناكَ سببًا خاصًّا -كما يبدو- لاختيار سيدنا عمر ﵁ وإعطائه هذا المال.

وهذا الحديث يؤكّد أنه يجوز منح عطاء خاصّ لمن يجتهدون كثيرًا، وينالون حب الجميع ويوزعون ما يأخذونه بالعدل، وينفقونه في سبيل الله، حتى وإن كان هناك من هم أشدّ احتياجًا منهم، ولقد شرح هذا الحديثُ بوضوح أن "التهادي" هو تعبيرٌ عن أفضل حالات العلاقات الإنسانية، وأن الهدف الأساسي منه هو توطيد الصداقة والأخوّة بين الناس وترسيخها، ويفضل الإنسان أن يُهادي مَن يحبّهم ويرغب في مصادقتهم، ومن ثمّ فإن المهم هو شيوع التهادي بين الناس، وليس المهمّ هو قيمة الهدية، فعندما نتهادى علينا أن لا نُبالي بقيمة الهديّة وثمنها لأنها شيءٌ رمزيّ.

وإنّ الإنسان يقتني الهديّة ويمنحها لمن يحبّهم ويحترمهم ويُقدّرهم، وإذا قرنت مع الهديّة نيّةُ اتّباع النبيّ ﷺ حازَ شرف وثواب الاتّباع، ولذلك فإنّ الهديّة برمزيّتها وليست بكثرتها أو قلّتها، والمهمّ هو كسبُ وُدِّ الصديق وتطِييبُ خاطره بغضّ النظر عن الهديّة ودون التَّشَوُّفِ إليها.

د. من يطلب الهديّة بإلحاحٍ

إعطاؤه هديةً للرجل الذي طلبها ثلاث مرّات متتالية:

كان النبي ﷺ عندما يطلب أحدٌ منه شيئًا يعطيه إياه إن كان متوفّرًا لديه، وإلا فكان يَعِدُ بأن يعطيه، فلم يكن يخيّبُ أو يردّ سائلًا ولذا نراه يُهْدِي الرجلَ الذي طلب منه هديّةً ثلاث مرّاتٍ فيُعطيه هديّةً في كلّ مرّةٍ يطلب فيها، وقد يتطوّر الأمر من قِبَلِ طلاب الهدايا فيطلبُ أحدهم من النبيّ ﷺ رداءه الوحيد الذي يرتديه؛ وإذ بالنبيّ ﷺ يخلعُ رداءه ويُقدّمه

لهـم دون تـردّدٍ أو تباطـؤ، أو قد يطلبُ أحدهم من النبـيّ ما ليس بحوزته فـي ذلـك الوقت، فعَنْ عُمَرَ بْـنِ الْخَطَّابِ ﵁ قَالَ: ''جَاءَ رَجُـلٌ إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَسَـأَلَهُ فَقَالَ: **مَا عِنْدِي شَـيءٌ أُعْطِيك، وَلَكِنِ اسْتَقْرِضْ حَتَّى يَأْتِينَا شَيءٌ فَنُعْطِيَك** فَقَالَ عُمَرُ: مَا كَلَّفَكَ اللهُ هَذَا، أَعْطَيتَ مَا عِنْدَكَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ فَلَا تُكَلَّفْ، قَالَ: فَكَرِهَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ قَولَ عُمَرَ حَتَّى عُرِفَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ الرَّجُـلُ: يَـا رَسُـولَ اللهِ بِأَبِي وَأُمِّـي أَنْتَ، فَأَعْطِ وَلَا تَخْشَ مِـنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالًا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: **بِهَذَا أُمِرْتُ**''(٣٠١).

٢- قبوله ﷺ الهدية

لقـد كان النبـيّ ﷺ يقبـلُ الهديّة ولا يردّها، ولذلك فقـد كانت الهدايا تأتيـه كثيـرًا، كما أن مـن عادات ذلك العهـد أن يتهادى الملوك ورؤسـاء القبائل، ومن ثمّ كانت تأتيه هدايا كثيرة من الدول المجاورة، وهذه الهدايا عبـارة عن أشـياء كثيـرة تعود لذلك العهد مـن ألبسـةٍ وأدواتٍ كنحوِ جبّةٍ أو طقمٍ أو بردةٍ أو خفٍّ أو خيمةٍ أو عطورٍ أو سيفٍ أو جملٍ أو حصان أو بغلٍ أو دنانير، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''**لَو أُهْدِيَ إِلَيَّ كُـرَاعٌ لَقَبِلْتُ، وَلَـو دُعِيتُ عَلَيهِ لأَجَبْتُ**''(٣٠٢)، فـكان النبي ﷺ يقبل الهديّة دون أن يبالي بقيمتها، وكان يسـتخدم الهدايا المرسـلة إليه، وربّما يرسلها لآخرين، أو يوزّعها على بعض المحتاجين من المسلمين.

هدايا الملوك

عَـنْ عَلِيٍّ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ''أَنَّ كِسْـرَى أَهْدَى لَـهُ، فَقَبِلَ، وَأَنَّ الْمُلُوكَ أَهْـدَوا إِلَيـهِ، فَقَبِـلَ مِنْهُـمْ''(٣٠٣)، ويتبيّـن مـن هـذه الرواية أن الرسـول ﷺ كان يقبـل هدايـا ملـوك الدول المجـاورة، بصفته قائمًا علـى رأس الدولة

(٣٠١) مسند البزار، ١/٣٩٦.

(٣٠٢) سنن الترمذي، الأحكام، ١٠.

(٣٠٣) سنن الترمذي، السير، ٢٣.

الإسلامية، وإذا ما نظرنا للأمر من منظور تحسين العلاقات الثنائية بين الدولتين؛ فإنّنا نجد أن قبول النبيّ الهدايا -حتى من غير المسلمين- يخدم مصالح الدولة الإسلامية العليا في ذلك الوقت.

كما أننا إذا استقرأنا الهدايا التي قُدِّمت إلى النبي ﷺ من ملوك ذلك العصر؛ فإننا نجدها على النحو التالي:

فقد أهداه "هرقل" ملك الروم؛ لباسًا ملوّنًا بالسندس الأحمر، ودينارًا وكوبًا مليئًا بالزنجبيل وجُبَّةَ حريرٍ، وأهداه "فَرْوَةُ بنُ عَمْرٍو" عامل الروم في معن؛ حصانًا يسمّى "زريب" وبغلةً بيضاءَ تُسمّى "فضّة"، أمّا "النجاشيّ" ملك الحبشة؛ فقد أهداه خفًّا أسود وقدحًا زجاجيًّا وثلاثةَ رِمَاحٍ وخاتمًا من ذهبٍ، وأهداه "المقوقس" حاكم مصر؛ لباسًا حريريًّا والجاريةَ "ماريةَ" وأختَها "سيرين" وبغلةً تُسمّى "دُلدُل" وحمارًا يُسمّى "عُفير" وقدحًا زجاجيًّا وكحلًا ومرآةً ومشطًا، أما ملك "أيلة"؛ فقد أهداه بغلًا أبيض، أما ملك "ذي يزن"؛ فقد أهداه لباسًا من حريرٍ كان قد ابتاعه مقابل ثلاثةٍ وثلاثين جمل.

وأما بالنسبةِ إلى كيفيّة تصرّف النبيّ ﷺ بالهدايا الممنوحةِ إليه، فلقد ذكر "القاضي عياض" في كتابه "الشفا" قائلًا: "فَانْظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنَا ﷺ وَخُلُقَهُ فِي المال، تجده قد أوتي خزائن الْأَرْضِ، وَمَفَاتِيحَ الْبِلَادِ، وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ، وَفُتِحَ عَلَيهِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ بِلَادُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَجَمِيعُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَمَا دَانَى ذَلِكَ مِنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَجُلِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَخْمَاسِهَا وَجِزْيَتِهَا وَصَدَقَاتِهَا مَا لَا يُجْبَى لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْضُهُ، وَهَادَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الْأَقَالِيم، فَمَا اسْتَأْثَرَ بِشَيءٍ مِنْهُ وَلَا أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَمًا، بَلْ صَرَفَهُ مَصَارِفَهُ وَأَغْنَى بِهِ غَيرَهُ، وَقَوَّى بِهِ الْمُسْلِمِينَ"[٣٠٤].

---

(٣٠٤) القاضي عياض: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ١/٢٠٤.

عدم قبوله الصدقة

كان الرسول ﷺ يُفرق بين الصدقة والهدية، فيردّ الصدقة ويقبل الهدية ويُروى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ فَإِنْ قِيلَ هَدِيَّةٌ أَكَلَ مِنْهَا وَإِنْ قِيلَ صَدَقَةٌ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا[٣٠٥]، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: **كُلُوا** وَلَمْ يَأْكُلْ وَإِنْ قِيلَ هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ"[٣٠٦].

وأخيرًا: فإن التهادي أمرٌ نراه في كلّ عصر من عصور البشرية، والكل يُحب أن يُهدَى ويُهدِي فقيرًا كان أم غنيًّا، كبيرًا كان أم صغيرًا، وفي حياة النبيّ ﷺ أجملُ نموذجٍ للتهادي، ومن ثمّ يجب علينا أن نهادي أفراد عائلتنا وجيراننا المقرّبين وأقرباءنا وأصدقاءنا المحبوبين ومَن نريد تطييبَ خاطرهم من الناس، ولا ننتظِرُ عوضًا وبديلًا مقابل الهديّة، كما يجب أن نقبل الهدايا المقدّمة إلينا بغضّ النظر عن كِبَرِ أو صِغَرِ حجمها، وعلينا ألّا ننتظرَ أيّ هديّةٍ مقابل الخدمات التي نقدّمها، وكذلك لا يجوز لنا الرجوع في الهديّة بعد تسليمها، ولا يجوز رفضُها وإن كانت غير ضروريّة.

والطريقة الأفضل في التهادي أن تكون الهدية غير باهظة الثمن، فالهدايا الثمينةُ قد توقِع آخذَها في حَرَجٍ، فقد يكون الشخص الذي قَبِلَ الهديّة لا يستطيع ردَّها بالمثل، فمن يقدّم الهدية أو يقبلها اتّباعًا للسنّة لا يجب عليه أن ينظر لكثرة الهدايا وقلّتها أو ثمنها، أما إذا كان التهادي بغرض الرياء والتباهي والتفاخر؛ فعندئذ لن يتحقق الهدف المرجوّ منه، ذاك أن التهادي يجب أن يكون في حدود الإمكانيّات وألّا يزيد عن الميزانيّة، فالأصل في التهادي هو التذكير والتواصل لا التباهي والتفاخر.

(٣٠٥) صحيح مسلم، الزكاة، ١٧٦.

(٣٠٦) صحيح البخاري، الهبة، ٧.

ب. المبادئ التي وضعها النبيّ ﷺ في التهادي

١- حثّه ﷺ على التهادي

قـد حـثّ النبيّ ﷺ أمّته على التهادي حتى تـزداد المحبّة والمودّة فيما بينهم وتتوطّد علاقاتهم، ولذلك كان يُهدِي ويُهدَى ويحثُّ على التهادي، وبيّـن فائدة ذلك بقولـه ﷺ "**تهَادَوا تَحَابُّوا**"[٣٠٧]، وبقولـه ﷺ: "**تهَادَوا فَإِنَّ الهَدِيَّـةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ**"[٣٠٨]، وهو هنا يُخبرنا أن التهادي يزيد المحبّة ويوطّد مشاعر الحبّ والصداقة بين الناس، ويُذهب الحقد والكراهية فيما بينهـم، فعـن عَطَـاءِ بـنِ عبدِ اللهِ الخُرَاسـانيّ رضي الله عنه قـال: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: "**تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ، وَتَهَادَوا تَحَابُّوا، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ**"[٣٠٩].

٢- عدم اهتمامه ﷺ بحجم الهدية أو ثمنها

كان المصطفـى ﷺ يقبـل الهدايـا، ولا ينظـر لحجمها صغيـرًا كان أو كبيـرًا، وقـال بخصوص قبـول الهدية: "...**وَلَـوْ أُهْدِيَ إِلَـيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**"[٣١٠].

والحكمة من ذلك تتحقّق في قوله ﷺ: "... **وَتَهَادَوا تَحَابُّوا**..."، كما بيّن كيف أن الهديّة تزيد المحبّة بين الناس، وتقرب بينهم وإن كانت قليلة فقال: "**تهَـادَوا فَـإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّـدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَو شِـقَّ فِرْسِـنِ شَـاةٍ**"[٣١١]، والنبي ﷺ في مقدّمة هذا الحديث يحثّ على التهـادي ويبين أنه يُذهب الحقـد والكراهية من القلوب، أما بقيّة الحديث فيناقـش فيهـا التهـادي بين الجيـران، وأنه أفضل شـيءٍ يُبتدأ بـه الودّ بين

(٣٠٧) البخاري: **الأدب المفرد**، ٢٠٨/١.

(٣٠٨) **سنن الترمذي**، الولاء والهبة، ٦.

(٣٠٩) **موطأ الإمام مالك**، ١٣٣٤/٥.

(٣١٠) سبق تخريجه، حاشية رقم (٢٧١).

(٣١١) **سنن الترمذي**، الولاء والهبة، ٦.

الجيران، والمقصود هنا الجيران الذين يعيشون في نفس الحيّ أو العمارة أو المنزل، وهذه الأماكن التي تعجّ بالناس يحدث فيها مشاكل كثيرة لأسبابٍ عدّة مثل الضوضاء وغيرها، والتهادي هو الحلُّ الأمثل للتخلّصِ من كلّ أنواع المشاكل التي قد تحدث.

٣- عدم رفضه ﷺ الهدايا

لم يرفض الحبيبُ ﷺ هديّةً قطُّ، إلا في حالات استثنائية لكن إذا بلغ الأمر إلى المحرّمات فإن النبيّ ﷺ لا يُجامل أحدًا، بل يضع الدين فوق كلّ اعتبار، فعن عبد الله بن عبّاسٍ عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ رضي الله عنهم: أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِـ"الْأَبْوَاءِ" أَو بِـ"وَدَّانَ" فَرَدَّ عَليهِ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: "**أَمَا إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ**"(٣١٢)، في الحديث السابق نرى أن "الصعب بن جثامة" قد حزن كثيرًا لرفض هديّته، فقد كان لا يعلم أن الصيد ممنوعٌ ومحرّمٌ مع الإحرام، ولمّا علِم النبي ﷺ بأن "الصعبَ بن جثامةَ" قد يحزن ويظنّ أن هديته قد رُفِضت وضّح له الأمر بأنه لو لم يكن مُحْرِمًا لَقَبِلَهَا.

ونتعلّم من هذا الحديث أنه ينبغي لنا تفسير مواقفنا التي يُشكِلُ فهمُها أو التي تُفهَم على غير وجهِهَا الصحيح، فلا نتركها دون تفسيرٍ أو توضيحٍ كيلا تتفاقم وتكبُر، وإنما نُزيلُ الإشكال بالتوضيح والتبيان.

٤- عدم استرداد الهديّة

يُعتَبَرُ التهادي واحدًا من أهمّ أسباب ازدياد المودّة والمحبّة بين الناس، وله أصوله وقواعده وضوابطه الخاصّة، وأهمها عدم التراجع عن الهدية أو طلب استردادها من جديد، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم، يَرْفَعَانِ

(٣١٢) صحيح البخاري، الهبة، ٦.

الحَدِيثَ إلى رسول الله ﷺ قَالَ: "**لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا إِلَّا الوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ، وَمَثَلُ الَّذِي يُعْطِي العَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الكَلْبِ أَكَلَ حَتَّى إِذَا شَبِعَ قَاءَ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ**"(٣١٣)، فالنهيُ هنا جاءَ بأشدّ الألفاظ القطعيّة التي تُقرّع وتُعنّف فاعل ذلك.

٥- رفضه ﷺ هدايا غير المسلمين إلا في الظروف الاستثنائية

عادة لم يكن النبي ﷺ يقبل هدايا المشركين أو غير المسلمين عمومًا إلا في الظروف الاستثنائيّة، بل إنّه نهى عن ذلك، فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، قَالَ: "أَهْدَيتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةً، فَقَالَ: **أَسْلَمْتَ؟**، فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ**"(٣١٤)، ولقد سرد "الخطابي" حكمةَ عدم قبول النبيّ ﷺ هذه الهديّة فقال: "وفي ردّهِ هديَّته وجهان أحدهما أن يغيظه بِرَدِّ الهدية فيمتعض منه فيحمله ذلك على الاسلام، والآخر أن للهدية موضعًا من القلب، وقد روي "**تهادوا تحابوا**"، ولا يجوز عليه ﷺ أن يميل بقلبه إلى مشرك فَرَدَّ الهديةَ قطعًا لسبب الميل"(٣١٥)، بيد أن الوضع مختلف بالنظر إلى المناسبات التي تكون بين الدول وبعضها البعض، فقد كان الرسول ﷺ يقبل الهدايا من الدول المجاورة حفاظًا على العلاقات الثنائية بين الدولتين، وهذا يندرج تحت الظروف الاستثنائية.

٦- تقديم الهدية دون انتظار مقابل لها

لا شك أن التهادي يقوّي العلاقات بين الناس ويزيد المودّة والمحبة، إلا أنه من الواجب مراعاة المبادئ والأصول في ذلك، طبقًا لأخلاق الدين الإسلامي وآدابه، وبناءً على ذلك لا يجوز إعطاء هدية وانتظار مقابل لها

(٣١٣) **سنن الترمذي**، الولاء والهبة، ٧.

(٣١٤) **سنن أبي داود**، الخراج، ٣٣-٣٥؛ **سنن الترمذي**، السير، ٢١، ومعنى زبد المشركين: هداياهم.

(٣١٥) الخطابي: **معالم السنن**، ٤١/٣.

مثلها أو أكثر منها، ويستوقفنا هنا حديثُ أبي هريرة ﵁ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَكْرَةً فَعَوَّضَهُ مِنْهَا سِتَّ بَكَرَاتٍ فَتَسَخَّطَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "**إِنَّ فُلَانًا أَهْدَى إِلَيَّ نَاقَةً فَعَوَّضْتُهُ مِنْهَا سِتَّ بَكَرَاتٍ فَظَلَّ سَاخِطًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ أَو أَنْصَارِيٍّ أَو ثَقَفِيٍّ أَوْ دَوسِيٍّ**"(٣١٦) وعلى الرغم من الأخطاء التي كان النبي ﷺ يلاحظها في سلوكيّات الناس، إلا أنه كان يتعامل معهم بكل رفقٍ ولينٍ ومسامحةٍ، ونرى أمثلة ذلك كثيرة في حياة الرسول الكريم ﷺ، بيد أن هذا السلوك الفظ الغليظ قد يحثّ الرسولَ أحيانًا على عدم قبول الهدية رغم عظيم فضلها وأهمّيّتها، ويُفهَم من ذلك أنّ تقديمَ الهديّة طمعًا في مقابلها هو سلوكٌ سيّئٌ دنيءٌ يترفّع عنه كرام الرجال.

٧- عدم قبول الهدية مقابل خدمة

لقد علّمَنَا المصطفى ﷺ متى نرفض الهدية ومتى نقبلها، ففي رواية عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ، فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيهَا فَقَبِلَهَا، فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا**"(٣١٧)، وعلى ذلك لا يجوز قبول الهدية مقابل خدمةٍ ما، فإن هذا يُزيل ثواب العمل، كما أنه يُذهب الربح الحلال، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: "عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَ، وَالْقُرْآنَ فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ، لَآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَأَسْأَلَنَّهُ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ أَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا مِمَّنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ، وَلَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ ﷺ: **إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا**"(٣١٨).

---

(٣١٦) **سنن الترمذي**، المناقب، ٧٣.

(٣١٧) **سنن أبي داود**، البيوع، ٨٢.

(٣١٨) **سنن أبي داود**، البيوع، ٣٦.

لـم يكـن أحدٌ في عهد النبي ﷺ يأخذ أجـرًا مقابل تحفيظ القرآن، بيد أن بعـض الآراء قـد أجازت هذا الأمر في العصـور التالية نظرًا للضرورة، ومعنى تعليمُ الكتابِ في الحديث أي تعليم الكتابة.

٨- إعطاؤه ﷺ الملابس التي كان لا يستخدمها على سبيل الهدية

إرساله ﷺ الفرو إلى جعفر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: ''إِنَّ مَلِكَ الرُّومِ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ مُسْتَقَةً مِـنْ سُـنْدُسٍ، فَلَبِسَـهَا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَـى يَدَيهَا تَذَبْذَبَانِ مِـنْ طُولِهِمَا، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، أُنْزِلَتْ عَلَيكَ هَذِهِ مِنَ السَّـمَاءِ، فَقَالَ ﷺ: **وَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِـي بِيَدِهِ إِنَّ مَنْدِيلًا مِنْ مَنَادِيلِ سَـعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّـةِ خَيـرٌ مِنْهَا**، ثُمَّ بَعَـثَ بِهَا إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَلَبِسَـهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنِّي لَمْ أُعْطِكَهَا لِتَلْبَسَهَا**، قَالَ: فَمَا أَصْنَـعُ بِهَا؟ قَالَ ﷺ: **أَرْسِلْ بِهَا إِلَى أَخِيكَ النَّجَاشِيِّ**''(٣١٩).

كان الرسـول الكريـم ﷺ إذا جاءته هديّة ثمينـةٌ يهديها على الفور إلى الآخريـن، إيمانـًا منه أن مثل هذه الهدايـا القيّمة قد تثير الحزنَ والغيرة في قلـوب الناس لـذا كان النبي ﷺ يتخلّص من مثل هـذه الهدايا الباهظة بأن يهديها لغيره فور مجيئها لكي يرفـع الحرج والحزن عن الآخرين.

(٣١٩) مسند الإمام أحمد، ٢١/ ٩٢



القسم العاشر

آداب رسول الله ﷺ في الاستئذان



الاستئذان في حياة رسول الله ﷺ

من السلوكيّات العامّة التي يقوم بها الجميع: دخول بيوتِ الآخرين الخاصّة والعامّة، لكنّ هذا السلوك له آدابٌ ومبادئُ مهمّة يجب علينا كمسلمين اتّباعها في حياتنا اليومية وهذه الآداب على النحو التالي:

أ. أهمية الاستئذان قبل دخول المنزل.

ب. عدم النظر داخل المنزل أو دخوله بلا استئذان.

ج. الاستئذان ثلاثًا لا أكثر.

د. عدم الوقوف أمام الباب مباشرةً عند الاستئذان.

هـ. على من يستأذن للدخول أن يُعرّف نفسه.

و. الاستئذان عند دخول الغُرف داخل المنزل.



وأفضل قدوةٍ ومثلٍ يُتّبع في هذا الأمر هو الحبيب المصطفى ﷺ، فلنُلْقِ نظرةً عامّةً على سلوكياته ﷺ وأوامره في هذا الشأن.

أ. أهمية الاستئذان قبل دخول المنزل

قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[٣٢٠]، فالمنازل هي أماكن خاصّة ذاتُ حُرمة وثمّةَ أصولٌ وآدابٌ يجب مراعاتها عند دخول هذه الأماكن الخاصّة، وأهم هذه الآداب أن يستأذن الضيفُ من صاحب المنزل بالدخول، وثمرةُ الأمر بالاستئذان غضُّ البصرِ، فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**"[٣٢١].

ب. النهي عن النظر داخل المنزل أو دخوله بلا استئذان

لا يجوز في ديننا الحنيف النظر داخل المنازل أو دخولها دون استئذان، فهذا الأمر يُعدّ سلوكًا قبيحًا منذ العهود الأولى للبشر، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ ﷺ "**لو أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَينِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**"[٣٢٢]، فبهذا الوعيد الذي أطلقَه النبيّ ﷺ يتبيّنُ لنا مدى خطإ ذلك الرجل ومدى قبحِ ذاك السلوك.

ج. الاستئذان ثلاث مرّاتٍ لا أكثر

على المرء أن يستأذن ثلاثَ مرّاتٍ على الأكثر قبل دخول مكان ما، وألّا يزيد على ذلك، كما يجب عليه أن يعود أدراجَه إن لم يُجبه أحدٌ أو يأذن له، وفي هذا الشأن يقول المولى عز وجل في قرآنه الكريم ﴿**فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا**

---

(٣٢٠) سُورَةُ النُّورِ: ٢٧/٢٤.

(٣٢١) صحيح البخاري، الاستئذان، ١١.

(٣٢٢) سبق تخريجه، حاشية رقم (٣١٨).

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(٣٢٣)، كما نتعلم من الهديِ النبويّ كيفية الاستئذان عند الدخول فعن أبي موسى الأشعريّ وعن أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قال: "**إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ**..."(٣٢٤)، فيجب أولًا أن نطرق الباب أو نرنّ الجرسَ المنزليّ ونستأذن للدخول، ذاك أن منازلنا الحاليّة ليست كسابقتها التي كانت في عهد الرسول ﷺ، أما إذا لم يُجبْ أحدٌ فيطرق البابَ، أو يدقّ الجرسَ ثلاث مرّاتٍ على الأكثر، وعليه أن يعود أدراجه إن لم يردّ عليه أحدٌ من الداخل أو يُفتح الباب، لأنّ هذا يعني أن لا أحدَ في المنزل، أو أنهم غير مستعدّين للترحيب بهذا الضيف.

د. تعليمه ﷺ آداب دخول المنزل

هناك مبادئُ عامّة وقواعد مهمّة يجب مراعاتها عند دخول المنزل، فنحن نسمّي مجموعة هذه القواعد "آداب دخول المنزل"، ولقد كان الرسول ﷺ قدوةً لأصحابه ويطبّق بنفسه بعض الأمور ليوضّحها لهم ككيفيّة الاستئذان عند دخول منزلٍ ما، وتبيان الأمور التي يجب مراعاتها في الاستئذان.

زيارته ﷺ لسعد بن عبادة رضي الله عنه

عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْد بن عبادة رضي الله عنه قَالَ: "زَارَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنْزِلِنَا فَقَالَ ﷺ: **السَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ** فَرَدَّ سَعْدٌ رَدًّا خَفِيًّا، قَالَ قَيسٌ: فَقُلْتُ: أَلَا تَأْذَنُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: ذَرْهُ يُكْثِرُ عَلَينَا مِنَ السَّلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **السَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ**، فَرَدَّ سَعْدُ رَدًّا خَفِيًّا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(٣٢٣) سُورَةُ النُّورِ: ٢٨/٢٤.

(٣٢٤) صحيح البخاري، الاستئذان، ١٣.

السَّـلَامُ عَلَيكُمْ ورَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ، وَاتَّبَعَهُ سَـعْدٌ، فَقَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَسْمَـعُ تَسْـلِيمَكَ وَأَرُدُّ عَلَيكَ رَدًّا خَفِيًّا لِتُكْثِرَ عَلَينَا مِنَ السَّلَامِ، قَالَ: فَانْصَرَفَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَمَرَ لَهُ سَعْدٌ بِغُسْلٍ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ نَاوَلَهُ مِلْحَفَةً مَصْبُوغَةً بِزَعْفَرَانٍ، أَوْ وَرْسٍ، فَاشْتَمَلَ بِهَا، ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيـهِ وَهُـوَ يَقُـولُ: **اللَّهُمَّ اجْعَـلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَـعْدِ ابْنِ عُبَادَةَ**"(٣٢٥).

وكمـا نـرى في الحديث فقد طبّق الرسـول ﷺ بنفسـه كلّ التوجيهات والإرشادات التي وجّهها إلينا بالنسبة لآداب الاستئذان.

فلقد ألقى التحيّة أوّلًا..

ثمّ استأذنَ ثلاث مرّاتٍ..

فلمّـا لـم يـأتِ الـردّ والترحاب مـن أصحـاب المنزل لم يصـرّ على الدخول وعاد أدراجه.

هـ. تعليمه ﷺ أمته كيفية الاستئذان

لـم يكن الناس في عهد الرسـول ﷺ على علـم بقواعد الآداب، ومن ثـم نجـد الكثير منهـم كانوا يقومـون بسـلوكياتٍ خاطئةٍ، وقـد كان النبي ﷺ يصحّح لهم المسـارات ويُرشـدهم ويهديهم نحـو الأفضل بتوجيهاته ونصائحه، فإن بَدَرَ من أحدهم سـلوكٌ حسنٌ أقرّه وسدّده، وإن بَدَرَ سلوكٌ خاطـئٌ أنكـره ونهى عنه دون غضبٍ أو كلَلٍ أو ملَلٍ، ففي عهد المصطفى ﷺ كان مـن يتكلّـم خـارج المنـزل يُسـمَـعُ صوته في الداخـل، وذاك لأن المنـازل حينهـا كانـت تُبنـى بطريقةٍ بسـيطةٍ، وتتكوّن من طابـقٍ واحدٍ في

(٣٢٥) سنن أبي داود، الأدب، ١٢٧-١٢٨.

الغالب، ومن ثمّ كان الصحابة عندما يأتون منزل الرسول ﷺ يستأذنون قائلين "السلام عليكم، هل لنا بالدخول؟"، بيد أن هناك من كانوا يتناسون الاستئذان ويدخلون دون إذنٍ، فكان النبيّ ﷺ ينهاهم عن ذلك بكلامٍ ليّنٍ لطيفٍ، نتناولُ مثالًا على ذلك:

١- تعليمه ﷺ رجلًا من "بني عامر" آداب الاستئذان

عَنْ رِبْعِيٍّ قَالَ: "حَدَّثَنَا رَجُلٌ مَنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيتٍ فَقَالَ: أَأَلِجُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِخَادِمِهِ: **اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ السَّلَامُ عَلَيكُمْ، أَأَدْخُلُ؟** فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَدَخَلَ"[٣٢٦].

٢- تحذيره ﷺ "كَلَدَةَ بنَ حنبل"

وفي رواية أخرى نجد النبي ﷺ وهو ينهى "كلدة" بلطفٍ وتهذيبٍ عندما أراد الدخول عليه دون أن يُلقي عليه السلام، فعن كَلَدَةَ بْنَ حَنْبَلٍ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ بِلَبَنٍ وَلِبَإٍ وَضَغَابِيسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِأَعْلَى الوَادِي، قَالَ: "فَدَخَلْتُ عَلَيهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيكُمْ أَأَدْخُلُ؟**"[٣٢٧].

وهكذا فإنّ النبيّ ﷺ دائمًا ما يُرشِدُ الصحابة إلى محاسن السلوك وينهاهم عن قبيح السلوك.

و. عدم الوقوف أمام الباب مباشرةً عند الاستئذان

كان النبيّ ﷺ يُراعي -عند ذهابه إلى منزل الغير- ألّا يقف أمام الباب مباشرةً بل كان يقف يمين الباب أو يساره، وفي رواية عن

(٣٢٦) سنن أبي داود، الأدب، ١٢٥-١٢٦.

(٣٢٧) سنن الترمذي، الاستئذان، ٨.

عبد الله بن بُسرٍ قال: ''كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَومٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيمَنِ، أَوِ الْأَيسَرِ، وَيَقُولُ ﷺ: **السَّلَامُ عَلَيكُمْ، السَّلَامُ عَليكُمْ**''[٣٢٨]، كانت المنازل في عهد النبيّ ﷺ مكوّنةً من طابقٍ واحدٍ في الغالب، كما أنها كانت صغيرةً، ومن ثمّ كان مَن يقف أمام الباب يرى المنزل بأكمله ويطّلع على حاله كلّه حينما يُفتح الباب، ولذا لم يكن الرسول ﷺ يقف أمام الباب مباشرةً بل يقف على يمينه أو يساره، ويجب علينا حتّى في الوقت الحالي مراعاةُ هذه السنة واتّباعها في المنازل المنشَأَة بهذا الشكل، أمّا المنازل العصريّة الضخمة والمرتفعة فلها آدابها الخاصّة، فإذا كان على باب المبنى السكنيّ كاميرا للمراقبة فيجب علينا الاقتراب منها حتى يتمكّن صاحب البيت من رؤيتنا ومعرفتنا، وإن كان ثمّةَ جرسٌ فعلينا أن نقرعه وننتظر، وإن كان ثمّةَ جهاز تسجيلٍ أو نقلٍ للأصوات؛ فعلينا أن نتكلّم بوضوحٍ ونذكر أسماءنا ونعرّف عن أنفسنا.

ز. على من يستأذن للدخول أن يُعرّف عن نفسه

عند الاستئذان لا يجوز أن نُجيب على الأسئلة مثل ''من الطارق؟''، ''من أنت؟''؛ بإجابة لا تفيد التعريف مثل ''أنا''، بل لا بدّ من إجابةٍ مفهومة مختصرةٍ وواضحة، وبأقوال تكشف هوية الطارق تمامًا، فكما يجب الاستئذان قبل الدخول، يجب أيضًا التعريف بالنفس عند السؤال عن الهوية، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: ''أَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَينٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ ﷺ: **مَنْ ذَا؟** فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: **أَنَا أَنَا**، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا''[٣٢٩].

---

(٣٢٨) سنن أبي داود، الأدب ١٢٧-١٢٨.

(٣٢٩) صحيح البخاري، الاستئذان، ١٧.

طـرق أحدُهـم باب النبي ﷺ وعندما سـأل النبـيُّ ﷺ "من الطارق؟"؛ أجـاب الرجل بعبـارةٍ غير مفيدةٍ وقال "أنا" فلم يعجَب الرسـول ﷺ بهذا الردّ، لأنّ هذه الكلمة غير كافيةٍ في الإيضاح والتبيين، فكان النبيّ ﷺ دائمًا ما يوجّه أصحابه إلى الصحيح من السلوك، فإذا أمرهم بشيءٍ انصاعوا له، وإذا نهاهم عن شيءٍ ابتعدوا عنه، ولذا كانوا يفعلون ما يجب عليهم فعله، وعندمـا يسـألهم النبي "مـن الطارق؟" يجيبـون جوابًا واضحًـا ويعرّفون أنفسـهم بأسـمائهم، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَـالَ: "خَرَجْتُ لَيلَةً مِـنْ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَمْشِـي وَحْـدَهُ وَلَيسَ مَعَهُ إِنْسَـانٌ، قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّـهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِـيَ مَعَهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَمْشِـي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ ﷺ: **مَنْ هَذَا؟** قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ"(٣٣٠).

ح. الاستئذان عند دخول الغُرف داخل المنزل

مثلما يجب الاستئذان عند دخول المنزل، يجب أيضًا الاستئذان عند دخـول الغـرف داخل المنـزل، فعلى الجميـع في المنزل أطفـالًا وخدمًا أن يراعـوا ذلـك، قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْـتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُـونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَـاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُـنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَـيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَـاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(٣٣١)، والآيـة الكريمة توضّح أنه لا يجوز للأطفال أن يدخلوا حجرة والديهم إلا بعد أن يستأذنوا للدخول لا سيّما في هذه الأوقات الثلاثة، وهذه الأوقات هي:

(٣٣٠) صحيح البخاري، الرقاق، ١٣.

(٣٣١) سُورَةُ النُّورِ: ٥٨/٢٤.

١- قبل صلاة الفجر

٢- عند وضع الثياب من الظهيرة

٣- بعد صلاة العشاء

كما أخبرنا القرآن الكريم أيضًا أنه يجب على من بلغوا الحلم منهم ألا يدخلون الغرفة دون استئذانٍ قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(٣٣٢) وتستوقفنا هنا هذه الرواية التي توضح أنه لا يجوز دخول الغرفة دون استئذان، فعن عطاء بن يسار ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ ﷺ: **نَعَمْ** فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اسْتَأْذِنْ عليها**، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً**؟ قَالَ: لَا، قَالَ ﷺ: **فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا**"(٣٣٣)، وكما نرى في الحديث الشريف إذا كنا نريد تجنب المواقف الحرجة السيئة، يجب أن نستأذن قبل دخولنا الغرفة، حتى وإن كان من بداخلها فردٌ من عائلتنا.

وأخيرًا؛ لا يجوز دخول المنازل والنظر إليها دون استئذان، بل يجب الاستئذان قبل الدخول، ودقّ الجرس أو الباب ثلاث مرّاتٍ على الأكثر، وألّا نقف أمام الباب مباشرةً، كما يجب أن نُعرّف عن أنفسنا بأسمائنا، وأن نعتاد الاستئذان قبل الدخول إلى الغرف داخل المنزل، وإذا ما راعينا هذه الأمور واتّبعناها جيدًا فسيتحسن طراز حياتنا، ولن نشقّ على من نزورهم ولن نزعجهم، والأهمّ من هذا كلّه هو: الحصول على ثواب اتّباع السنة.

---

(٣٣٢) سُورَةُ النُّورِ: ٥٩/٢٤.

(٣٣٣) **موطأ الإمام مالك**، ١٤٠٢/٥.



القسم الحادي عشر

آداب رسول الله ﷺ في المصافحة



المصافحة في حياة رسول الله ﷺ

المصافحـة تعنـي السـلام باليـد بقصد إلقـاء التحية أو السـلام أو التهنئـة وإظهار الصداقـة والمحبة وغيرها، وإحدى خصال الدين الإسلامي هي مصافحة المسلمين بعضهـم البعض بعد السـلام، ومن ثم يجب علينا مراعاة هـذا الأمر، ومقابلة اليـد الممتدة للمصافحة بالمثل حتى وإن كان المَرْءُ مستـاءً وغاضبًا، وفـي رواية عَنْ قَتَادَةَ رضي الله عنه قَـالَ قُلْتُ لِأَنَسٍ: ''أَكَانَتْ الْمُصَافَحَـةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: نَعَمْ''[٣٣٤]، ومن الأمـور الأخرى المحمودة في الإسـلام معانقـة الأصدقاء أو الأقرباء القادمين من سـفرٍ بعيدٍ، وتقبيلُ أيدي الكبار، وجبينِ الصغار ورؤسِهِم.



أ. مصافحته ﷺ لأصحابه حين يلقاهم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: ''كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُـلُ فَصَافَحَـهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَـدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ

(٣٣٤) صحيح البخاري، الاستئذان، ٢٧.

الَّـذِي يَنْـزِعُ، وَلَا يَصْـرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِـهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُـلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُـهُ وَلَمْ يُـرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيهِ بَينَ يَدَي جَلِيسٍ لَـهُ''(٣٣٥)، وفي رواية أخرى لأنس يحكي لنا مثالًا جميلًا لمصافحة النبي ﷺ حيث كان ﷺ لا يسـحب يده قبل أن يدعها الرجل، حتى لا يجرح شـعوره، فعَنْ أَنَس بن مالك ﵁ قَـالَ: ''مَـا رَأَيْتُ رَجُلًا الْتَقَمَ أُذُنَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَيُنَحِّي رَأْسَـهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُـلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأَسَـهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَـذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ، حَتَّى يَكُـونَ الرَّجُـلُ هُـوَ الَّـذِي يَـدَعُ يَـدَهُ''(٣٣٦)، أي إن أفضل دليـلٍ على تقدير الشـخص الـذي نصافحـه واحترامـه، ألا نترك يـده قبل أن يـدع هو يدنا، وعلى الجميع في وقتنا الحاليّ مراعاة مثل هذه الأمور جيّدًا في علاقتهم بالآخريـن، وهنـاك حديث آخـر يُبيّن أن النبـي ﷺ كان يلقـي التحية أولًا علـى مـن يلقاهم ثم يصافحهم، يقول جندب كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ ''إِذَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ لَمْ يُصَافِحْهُمْ حَتَّى يُسَلِّمَ عَلَيهِمْ''(٣٣٧)، وهناك روايةٌ أخرى توضّح وتبيّـن مـدى اهتمام النبـيّ ﷺ بالمصافحة فعَنْ أَبِي هُرَيـرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِـيَ حُذَيفَةَ، فَـأَرَادَ أَنْ يُصَافِحَهُ، فَتَنَحَّى حُذَيْفَةُ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ جُنُبًا، فَقَالَ ﷺ: ''**إِنَّ الْمُسْـلِمَ إِذَا صَافَـحَ أَخَـاهُ تَحَاتَّـتْ خَطَايَاهُمَا، كَمَـا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّـجَرِ**''(٣٣٨)، ويؤكد الحديث السـابق أن النجاسـة المعنوية لا تمنـع من المصافحة، وفي ذلك دليل على أهميتها وقيمتها.

١- حثّه ﷺ على المصافحة

أمـر النبـي ﷺ المؤمنين أن يسـتغفروا بعد المصافحة، فعـن البراء بن عازبٍ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ''**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا، وَحَمِدَا**

(٣٣٥) **سنن الترمذي**، صفة القيامة، ٤٤.

(٣٣٦) **سنن أبي داود**، الأدب، ٥.

(٣٣٧) الطبراني: **المعجم الكبير**، ١٧٦/٢.

(٣٣٨) **مسند البزار**، ٨٤/١٥.

الله ﷻ، وَاسْتَغْفَرَاهُ غُفِرَ لَهُمَا"(٣٣٩)، وكما نرى في الحديث الشريف قد بشّر النبي ﷺ المسلمَين اللذَين يتصافحان ثم يستغفران الله بأن ذنوبهما ستُغفر قبل أن يقوما من مقامهما، ولا ريب أن غفرانَ الذنوب هنا يُقصد به العفو عن الصغائر دون حقوق العباد، وعلى الرغم من أن موضوع الحديث هو العفو عن صغائر الذنوب؛ إلا أنه يُبين أهمية المصافحةِ وعظمةَ شأنها إلى جانب أهمّيّة الاستغفار والدعاء.

٢- عدم مصافحته ﷺ النساء عند مبايعتهن

لا يجوز للنساء أن يصافحن الرجال من غير المحارم أو يقبّلن أيديهن، وعندما نزلت هذه الآية في المدينة وضّحت أُسُس مبايعة النساء، فقال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾(٣٤٠)، وعندما نزلت هذه الآية جمع النبي ﷺ النساء في المدينة وطلب مبايعتهن، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النِّسَاءَ بِالْكَلَامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿**لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا**﴾، قَالَتْ: وَمَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ إِلَّا امْرَأَةً يَمْلِكُهَا"(٣٤١).

وقالت في حديثٍ آخر رضي الله عنها: "كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمْتَحِنُهُنَّ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ**﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ**، لَا وَاللهِ مَا مَسَّتْ

---

(٣٣٩) **سنن أبي داود**، الأدب، ١٤٠-١٤١.

(٣٤٠) سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ: ٦٠/١٢.

(٣٤١) **صحيح البخاري**، الأحكام، ٤٩.

يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ غَيْرَ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ بِالْكَلَامِ وَاللهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ الله، يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: **قَدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلَامًا**"(٣٤٢).

كما رُوِيَ أن النبي ﷺ كان يضع قماشًا فوق يديه وتضع النساء نفس القماش فوق أيديها ثم يبايعهن، وعن أُمَيمَةَ بِنْتَ رُقَيقَةَ رضي الله عنها قالت: "جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ نُبَايِعُهُ، فَقَالَ ﷺ لَنَا: **فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ، إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ**"(٣٤٣)، كما رُوِيَ أنه كان يبايعهن عن طريق وضع يده في كوب ماء، ثم تضع النساء من بعده أيديها في الكوب(٣٤٤)، ومما يجذب الانتباه هنا هو أن النبي ﷺ لم يصافح امراةً قطّ من غير المحارم، ومن ثم علينا مراعاة هذا الأمر جيدًا أثناء المصافحة.

ب. السنة النبوية في المعانقة والتقبيل

استنادًا إلى الإجابات التي أجاب بها الرسول ﷺ على الأسئلة الموجّهة إليه، واستنادًا إلى أفعاله وسلوكياته في هذا الأمر، فإنه قد أباح المصافحة وحرّم المعانقة والتقبيل في غير الظروف الاستثنائية، فعَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: "قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَو صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ ﷺ: **لَا**، قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ ﷺ: **لَا**، قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ ﷺ: **نَعَمْ**"(٣٤٥).

فلقد نهى النبيّ ﷺ عن المعانقة والتقبيل، وأجاز المصافحة باليد في الظروف العاديّة، أما اللقاء بعد طول افتراق أو عقب سفرٍ طويلٍ فلا بأس بالمعانقة كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم.

---

(٣٤٢) **صحيح البخاري**، الطلاق، ١٧.

(٣٤٣) **سنن ابن ماجه**، الجهاد، ٤٣.

(٣٤٤) انظر، ابن إسحاق: **السير والمغازي**.

(٣٤٥) **سنن الترمذي**، الاستئذان، ٣١.

ولقد قسّم علماء الحديث هذا الأمر طبقًا للروايات كما سيأتي:

وعليه إذا تقابل اثنان لهما أن يتصافحا، كما يجوز معانقة الصديق أو القريب القادم من سفر بعيد، ولكن عندئذٍ لا بد من مراعاة أن تكون الثياب التي يرتديها سميكة، أما التقبيل فقد قال فيه علماء الإسلام أنه يستحب تقبيل أيدي المبجّلين من الناس وكبار السن والعلماء والمتدينين منهم، أما إذا كان التقبيل بسبب الغنى والثراء والشهرة فهو مكروه، ومن ثمّ فإن التقبيل يكون لليدين والجبين، وليس للشفة أو الخدّ.

١- استقباله ﷺ القادمين من سفرٍ بعيدٍ

من جميل الخصالِ معانقةُ المعارف والأصدقاء القادمين من سفرٍ بعيدٍ وتقبيل أيديهم أو جبينهم بحسب أعمارهم، ولقد كان النبي ﷺ يستقبل القادمين من سفرٍ بعيد بحفاوةٍ وترحابٍ، فإن كانوا أقرباء له يعانقهم ويقبّل جبينهم ويُظهر لهم مدى حبّه لهم وشوقه للقائهم.

استقباله ﷺ لزيد بن حارثة

زيد بن حارثة رضي الله عنه: هو ابن النبيّ ﷺ بالتبنّي، وكان النبيّ ﷺ يحبّه حبًّا جمًّا، وكثيرًا ما كان يُعيّنه على رؤوس الطلائع والسرايا أو يستخلفه قائدًا على الجيش، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "قَدِمَ زَيدُ بْنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيتِي فَأَتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُرْيَانًا يَجُرُّ ثَوبَهُ، وَاللهِ مَا رَأَيتُهُ عُرْيَانًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ"[٣٤٦].

نعم، لقد كان الحبيب المصطفى ﷺ في غاية اللطافة والنبل، فلم يكن يريدُ لزيدٍ أن ينتظر طويلًا على الباب، بل بمجرّد سماع النبيّ ﷺ صوتَ

(٣٤٦) سنن الترمذي، الاستئذان، ٣٢.

زيدٍ هرع مسرعًا إلى الباب لاستقباله حتى إنه لم يكن قد ارتدى ثيابه كاملةً بل يجرّها وراءَه ويلبسها وهو في طريقه إلى الباب.

استقباله ﷺ لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما قَالَ: ''بَعَثَتْ قُرَيشٌ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ، بِهَدِيَّةٍ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَقَالُوا لَهُ -وَنَحْنُ عِنْدَهُ-: قَدْ بَعَثُوا إِلَيكَ أُنَاسًا مِنْ سَفَلَتِنَا وسُفَهَائِهِمْ، فَادْفَعْهُمْ إِلَينَا، قَالَ: لَا، حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَينَا، وَقَالَ: مَا تَقُولُونَ؟ فَقُلْنَا: إِنَّ قَومَنَا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ بَعَثَ إِلَينَا رَسُولًا فَآمَنَّا بِهِ، وَصَدَّقْنَاهُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: عَبِيدًا هُمْ لَكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَلَكُمْ عَلَيهِمْ دَينٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ فِي عِيسَى، غَيرَ مَا تَقُولُونَ، قَالَ: إِنْ لَمْ يَقُولُوا فِي عِيسَى مِثْلَ مَا أَقُولُ لَمْ أَدعْهُمْ فِي أَرْضِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَينَا، فَكَانَتِ الدَّعْوَةُ الثَّانِيَةُ أَشَدَّ عَلَينَا مِنَ الْأُولَى، فَقَالَ: مَا يَقُولُ صَاحِبُكُمْ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقُلْنَا: هُوَ يَقُولُ: هُوَ رُوحُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَ: فَأَرْسَلَ، فَقَالَ: ادْعُوا فُلَانًا الْقَسَّ، وَفُلَانًا الرَّاهِبَ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالُوا: أَنْتَ أَعْلَمُنَا، فَمَا تَقُولُ؟ قَالَ النَّجَاشِيُّ: فَأَخَذَ شَيئًا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا عِيسَى مَا زَادَ عَلَى مَا قَالَ هَؤُلَاءِ مِثْلَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُؤْذِيكمْ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: مَنْ آذَى أَحَدًا مِنْهُمْ، فَأَغْرِمُوهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، ثُمَّ قَالَ: يَكْفِيكُمْ؟ فَقُلْنَا: لَا، فَأَضْعَفَهَا، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَظَهَرَ بِهَا، قُلْنَا لَهُ: إِنَّ صَاحِبَنَا قَدْ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَظَهَرَ بِهَا، وَهَاجَرَ، وَقَتَلَ الَّذِينَ كُنَّا حَدَّثْنَاكَ عَنْهُمْ، وَقَدْ أَرَدْنَا الرَّحِيلَ إِلَيهِ، فَزَوِّدْنَا، قَالَ: نَعَمْ، فَحَمَّلَنَا، وَزَوَّدَنَا، وأَعْطَانا، ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ، مَا صَنَعْتُ إِلَيكُمْ، وَهَذَا رَسُولِي مَعَكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، فَقُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرُ لِي، قَالَ جَعْفَرٌ: فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَينَا الْمَدِينَةَ، فَتَلَقَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاعْتَنَقَنِي، فَقَالَ ﷺ: **مَا أَدْرِي أَنَا بِفَتْحِ خَيبَرَ أَفْرَحُ، أَوْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ**، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَامَ رَسُولُ النَّجَاشِيّ، فَقَالَ: هُوَ ذَا جَعْفَرٌ، فَسَلْهُ مَا صَنَعَ بِهِ صَاحِبُنَا، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَدْ فَعَلَ بِنَا كَذَا، وَحَمَّلَنَا، وَزَوَّدَنَا، ونَصَرَنَا، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرُ لِي، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ دَعَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلنَّجَاشِيّ**، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: آمِينَ، قَالَ جَعْفَرٌ: فَقُلْتُ لِلرَّسُولِ: انْطَلِقْ، فَأَخْبِرْ صَاحِبَكَ مَا رَأَيتَ مِنَ النَّبِيّ ﷺ"[٣٤٧].

ويتبين من هاتين الروايتين أن النبي ﷺ قد عانق كلا من زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقد كان زيدٌ ابنه بالتبنّي، وجعفر ابن عمّه أبي طالبٍ بمثابة ابنه أيضًا لأنّ والدَه توفّي وهو صغيرٌ، فأخذه عمّه العبّاس وربّاه، وقد كان الرسول ﷺ بمثابة أبٍ له، ويلبّي كل احتياجاته، وكما رأينا فقد تعامل مع الاثنين بشفقة الأب ورحمته بأبنائه.

وقد قسم العلماء التقبيل إلى أقسامٍ متعدّدةٍ؛ وهي:

"التحية والشفقة والرحمة والشهوة والمودة"

فتقبيل الوالدين خدّ ابنهما هو "تقبيلٌ من قبيل رحمة"، ولقد اتّضح من هاتين الروايتين مدى لطف النبي ﷺ ورقّة شعوره ولينه حين قبّل جبينهما.

٢- تصرّفه ﷺ تجاه من يريدون تقبيلَ يده

لم يكن الرسول ﷺ يسمح للناس -بشكلٍ عام- أن يُقبِّلوا يديه، غير أنه كان لا يردّ مَن يريدون ذلك ويصرّون عليه، وقد أذن الرسول لأصحابه بذلك ممّن يريدون تقبيلَ يديه، فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ قَالَ: "قَالَ يَهُودِيٌّ

(٣٤٧) الطبراني: **المعجم الكبير**، ١١٠/٢.

لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيّ فَقَالَ صَاحِبُهُ: لَا تَقُلْ نَبِيٌّ، إِنَّهُ لَو سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ، فَأَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: **لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تُوَلُّوا الفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً اليَهُودَ أَنْ لَا تَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ**، قَالَ: فَقَبَّلُوا يَدَيهِ وَرِجْلَيهِ، فَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ، قَالَ ﷺ: **فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي**؟ قَالُوا: إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ لَا يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ تَبِعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا اليَهُودُ"[٣٤٨].

ولقد استنبط علماء الإسلام من هذا الحديث أنه يجوز تقبيلُ يد الشخص لزهده وتُقاه وعلمه وشرفه وصدقه وعدله وأمانته، ولا يجوز تقبيل يده لثرائه وغناه أو لأيّ أسبابٍ دنيويّة.

وأخيرًا يجب علينا مصافحة أفراد عائلتنا، وأصدقائنا المقرّبين، وأقربائنا لدى مقابلتهم، وأن نستقبل من يأتون منهم من سفرٍ بعيدٍ بحفاوةٍ وحبٍّ، فنعانقهم ونقبّلهم، ولا تجوز مصافحةُ غيرِ المحارم.

(٣٤٨) سنن الترمذي، الأدب، ٣٣.



القسم الثاني عشر

آداب رسول الله ﷺ في السفر



الأسفار والرحلات في حياة رسول الله ﷺ

السـفر: يعني الخروج في طريق أو الذهاب والسـفر والسـير من مكانٍ إلى آخر داخل البلاد أو خارجها، وهو جزءٌ لا يتجزّأ من حياة البشر، يكون السفر حينًا من أجل التجـارة أو العلـم أو زيـارة الأقارب أو تأديـة الواجبات الدينيـة، وأحيانًـا أخرى يكون لمقاصـد وأهداف أخرى، والأهم في ذلك كله أن يكون السـفر ذا أهدافٍ وغايات محـدّدة، وألا يكـون فيما يُغضب الله، ولقد أمر الحق ﷻ بالسـفر لأغراض عدّة، منها السـفر في سـبيل أَخْذِ العبرة والعظـة مـن عاقبة السـابقين فقـال تعالى ﴿**قُلْ سِـيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُـرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَـةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾(٣٤٩)، كما أن الآيـة التاليـة تبيّن للمجرميـن عاقبة من كانوا أشـدّ منهم قوّةً وغرورًا، وأنكروا البينة لما جاءتهم وأن الله ﷿ قطع دابرهـم فـي الأرض، قال تعالـى ﴿**أَوَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَـدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً**



---

(٣٤٩) سُورَةُ النَّمْلِ: ٢٧/٦٩.

وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣٥٠]، وقال المولى ﷻ فيمن يسيرون فـي الأرض ابتغـاء وجهه تعالـى ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٣٥١] فقد ذكر الله تعالى في الآية السـابقة السـائرين في الأرض ابتغـاء وجهـه ﷻ مع التائبيـن العابدين الحامديـن وأثنى عليهم، وكما أن الدعوة للإسـلام والجهاد والهجرة والعلم كل ذلك يندرج تحت مفهوم "السير ابتغاء وجه الله"، كما يندرج تحت هذا المفهوم أيضًا: الصيام بغرض كبح جماح النفس عن رغباتها ابتغاء وجه الله.

كان النبـي ﷺ يسـافر للتجارة وللزيـارة وللهجرة وللجهـاد، وكان ﷺ يُجسّـدُ -مـن خلالِ أسـفاره هذه- بعضَ السـلوكيّات المهمّة في السـفر، ويُطبّق بنفسه وعلى نفسه أوّلًا الأوامرَ والنواهي التي يُعمّمها على أصحابه.

أ. ما راعاه النبي ﷺ أثناء السفر وأوصى به

١- الدعاء عند السفر

دعاؤه ﷺ للمسافرين ونصيحته لهم

عَـنْ أَبِـي هُرَيـرَةَ ﵁ "أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَـافِرَ فَأَوصِنِـي، قَـالَ ﷺ: **عَلَيـكَ بِتَقْـوَى اللهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَـرَفٍ**، فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ ﷺ: **اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيهِ السَّـفَرَ**"[٣٥٢]، كان الصحابة الكرام ﵃ يُخطِرون النبيّ ﷺ بكلّ نازلةٍ فيشـكون له ما يزعجهم ويسـألونه في كلّ أمورهم فيسـتهدون بنُصحه ﷺ وإرشـادِه، ومن ثمّ كانوا

(٣٥٠) سُورَةُ الرُّوم: ٩/٣٠.

(٣٥١) سُورَةُ التَّوْبة: ١١٢/٩.

(٣٥٢) سنن الترمذي، الدعوات، ٤٥.

عندما ينوون السفر يطلبون منه النصح، ويتبيّن من الحديث السابق:

١- حواره ﷺ مع الآخرين واهتمامه بشؤونهم

٢- اهتمامه بما يُحزن قومه وتقديمه لهم النصح والإرشاد

٣- إجابته على سؤال السائل بما يتناسب معه

ففي الحديث نرى أن الرجل المسافر طلب من النبي ﷺ النصيحة، فقال له النبي: "**عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ**".

أولًا: تقوى الله أمر مهمّ جدًّا، ومِن تقوى الله احترامُ الناس كبيرهم وصغيرهم، وحتى الحيوانات وغيرها... بيد أنه لا بدّ من تقوى الله كي يتحقّق ذلك، فمن يتّقِ الله -أي يخشاه ويحترمه- يحترمِ الجميعَ.

ثانيًا: ذكر الله وهو يأتي بعد تقوى الله، ذاك أن الارتباط بالله أمر ضروريٌّ جدًّا، وذكر الله هو الشيءُ الذي يقوّي ذلك الارتباط ويحافظ عليه، وقد عبّر النبيّ ﷺ عنه في الحديث بلفظ "**التكبير**".

غادر الرجل بعد أن سمع النصيحة، فدعا له النبيّ من خلفه وقال "**اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيهِ السَّفَرَ**"، وذلك يعني أنه يجب الدعاء للمسافر، وهو أمرٌ مستحسنٌ جميلٌ، وسلوكٌ يوثّق حبل المودّة بين الناس، وهنا يعلّمنا النبي ﷺ كيف يكون الدعاء للمسافر.

دعاؤه ﷺ عند ركوب الدواب

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه "**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَينَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا**

بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: **آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**"(٣٥٣).

وكما نرى في الحديث يدعو النبيّ ﷺ ربَّه حين يركب، فقد كان ﷺ كأيّ بشرٍ يأكل ويشرب، ويسكن ويسافر، ويزور أصدقاءَه وأقاربَه، ولا ريب أنّ السفرَ -مهما توفّرت معه أسباب ووسائل الراحة- مشقّةٌ وضيقٌ وعذابٌ، وقد قال النبيّ ﷺ: "**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ**"(٣٥٤)، وكلّ من يخرج للسفر ويُكابدُ مشاقّه؛ يترك خلفه جزءًا من عائلته، فإن طال سفره ينشغلُ بالُه برزق أهلِه وقوتِهم، ومن ثمّ يُعلِّمنا الحبيب المصطفى ﷺ -الذي يشعر بكلّ ما يشعر به البشر- الدعاءَ الذي يجب على المسافر قوله.

ولقد كان الناس قديمًا يسافرون بوسيلةِ الحصان والجمل، أما الآن فهم يسافرون بالحافلة أو القطار أو الطائرة، وهذه الوسائل أيضًا عُرضَةٌ للحوادث والكوارث والأخطار وغيرِها ممّا قد يعترض الطرق، وهو ما قد يؤدّي إلى حدوث مصائب ماديـة أو معنوية، وإن مِن أهمّ عناصر الحيطة والحَذَرِ اتّقاءُ المصائب ودرؤُها بالصدقة والدعاء.

التكبير والتسبيح عند السفر

كان النبي ﷺ يَقضي كلّ أوقات حياته في الطاعة والدعاء والعبادة، حتى إنه كان يُحوّل كلّ عادةٍ إلى عبادة، فكان يقوم بكل شيءٍ ويقوّمه حتى إنه كان يُسبِّح في سفره، ونتعلّم من ذلك كله، كيف نستغلّ الوقت

(٣٥٣) صحيح مسلم، الحج، ٤٢٥.
(٣٥٤) صحيح البخاري، العمرة، ١٩.

ونستثمره، ونكتسبُ من خلاله الثواب، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَجُيُوشُهُ إِذَا عَلَوا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا"(٣٥٥)، وفي روايةٍ أخرى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أيضًا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنْ الْجُيُوشِ أَوْ السَّرَايَا أَوْ الْحَجِّ أو الْعُمْرَةِ إِذَا أَوفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَو فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**"(٣٥٦).

فقد كان النبيّ ﷺ يُعلن وحدانيّة الله وربوبيته للناس جميعًا ويصدحُ بها في كلّ وقتٍ حتى أثناء السفر.

التعوّذ من التعرّض للمصائب والبلايا أثناء السفر

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَالْحَورِ بَعْدَ الْكَونِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ"(٣٥٧).

فلقد اشتمل هذا الحديثُ على خلاصة سلوكيّات السفر السليمة وهي كالتالي:

أ. التعوّذ من مشقّات السفر:

السفرُ في حدّ ذاته تعبٌ ومشقّة، وذلك لأن المرء يترك الراحة والاستقرار ويرحل بعيدًا عنها، ومن ثمّ لا بدّ له أن يكون قادرًا على هذا السفر ويملك إمكاناته والوسائل التي يسافر بها مثل الحافلة أو غيرها،

---

(٣٥٥) سنن أبي داود، الجهاد، ٧٢.

(٣٥٦) صحيح مسلم، الحجّ، ٤٢٨.

(٣٥٧) صحيح مسلم، الحج، ٤٢٦.

والإنسـان مخلـوقٌ ضعيفٌ، قد يمرض في سـفره ولذا يجـب عليه اتّخاذ الاحتياطات اللازمة، فإن أراد أن يخرج في سـفر طويل عليه أن يُعدّ زاده من طعام وشـراب ومسـكن وملبس، وهذه الأشـياء في حدّ ذاتها تمثّل له مشقّةً وصعوبةً عبّر عنها النبيّ ﷺ بكلمة "وَعْثَاءِ" ثمّ استعاذ منها.

ب. التعوّذ باللّه من التعرّض لمواقف مفزعة ومحزنة:

قديمًـا كان المسـافر لطول سـفره عندما يعود -ربمـا- لا يجد الكثير ممّـن يحبّهـم، فقد كان السـفر يمتدّ شـهورًا طويلةً وربّمـا أعوامًا عديدةً، والإنسـان بفطرتـه يودّ أن يكـون بجانـب أقربائه عند وفاتهـم، بيد أن من يسـافر سـفرًا طويلًا قـد لا يجد بعضَ أحبابه عند عودتـه... ومن ثمّ ندعو للمسـافر ونقـول ''رحلـة طيبة'' ويـودّع المسـافر من يتركهـم خلفه قائلًا ''أستودعكم الله وأترككم في رعاية الله وأمنه'' ولقد ترسّخت هذه الأقوال في أعرافنا وعاداتنا وتقاليدنا.

ج. التعوّذ من المسّ بسوء

وهذا التعوّذُ معناه عميقٌ جدًّا، فقد يخطر للمسافر عندما يفارق أحبابه وقـوعَ بعـض الحوادث مثل الإصابـة بمرض ما أو تدهـورِ الحالة المادّية أو ارتكاب المعاصي والذنوب أو تدهورِ الصحّة والسـلامة، وعندئذٍ يلجأ الإنسـان العاقـل إلـى الله ويعوذ به من المـسّ بهذه الأضرار، وقـد بيّن لنا المصطفى ﷺ بالدعاء السابق كيف ندعو عندما نعوذ بالله من الضرر.

د. التعوّذ من دعوة المظلوم

يجـب علـى المسـلم العاقل أن يحذر مـن دعوة المظلـوم، فلا يظلمُ أحـدًا ولا يجـور على حقّ أحد، ويجب على من اعتـادوا مراعاة الحقوق في الحضر أن يراعوها أيضًا في السـفر، وليفهموا أنّ طولَ مسـافة السـفر

ووقتَهُ المحدودَ وقلّةَ زاده ووسائلَ النقل والازدحامَ فيها؛ كلُّ ذلك يؤدّي إلى الفوضى ويتسبّب في انعدام النظام، ومن ثم تجب مراعاة ومداراة هذه الأمور جميعها، وعدم التعدّي على حقوق الآخرين.

ذ. التعوّذ من سوء المنقلب في المال والأهل والولد عند العودة

هناك شعورٌ فطريٌّ لدى الجميع بحبّ المال والجاه، وبالتالي يكره المرءُ أن يلحق بماله وسلطانه أيُّ سوءٍ، إضافةً إلى أنّ هناك أشياء أخرى يحبّها الإنسان ويخاف عليها، ومن ذلك أسرته وعائلته، وهي أهمّ وأقيمُ ما لديه، فكل إنسانٍ يغادر أهله يفكر في عاقبة أمورهم وما يلحق بهم من بعده، ولذلك فهو لا يفارقهم قبل أن يستودعهم الله وكأنه يؤمّن عليهم، وهذا الدعاء يلائم كلّ عصرٍ ومكان، ويناسب كلّ إنسانٍ فقيرًا كان أو غنيًّا موظّفًا كان أو عاملًا، ذاك أن الجميع يسافرون ويرحلون ويتركون أحبابهم من خلفهم، ويتمنّى كل امرئٍ أن يرى أهله وأحبابه جميعًا بخيرٍ عندما يعود، وهذا شعورٌ فطريٌّ لدى الإنسان، كما وضح لنا الحديث الشريف.

وأخيرًا: يأمرنا النبي ﷺ في الحديث الشريف أن نعوذ بالله ونلتجئ إليه، لتطمئنّ قلوبُنا ويطبئنّ وجداننا، فنتخلّص من الخواطر السيئة وما ينتج عنها من مضيعةٍ للوقت.

دعاؤه ﷺ عقب عودته من السفر

عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: "أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَا وَأَبُو طَلْحَةَ وَصَفِيَّةُ رَدِيفَتُهُ عَلَى نَاقَتِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ الْمَدِينَةِ قَالَ ﷺ: **آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ"(٣٥٨).

(٣٥٨) صحيح مسلم، الحجّ، ٤٢٩.

كان المصطفى ﷺ حينما يخرج في سفرٍ يدعو ربَّه عند الخروج وأثناء السفر وعند العودة، فيرفع يديه لربه ويتضرّع له، نعم، فلقد كان الدعاء والتضرُّعُ سجيّةً لدى رسول الله ﷺ.

٢- تحديد أوقات السفر

أمره ﷺ المسافرين بالخروج في أوقات مبكّرة

كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالخروج للسفر في ساعات مبكِّرة، فعَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**"، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَو جَيشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ[٣٥٩].

وممّا يُؤخذ من هذا الحديث أن دعوة النبيّ ﷺ بالبركة في البُكُورِ لا تقتصر على السفر فقط، بل تشمل العبادة والعلم والتجارة وغيرها.

كان النبي ﷺ يفضل الخروج للسفر في الخميس

كان النبي ﷺ يخرج يوم الخميس للسفر مع أصحابه، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَومَ الْخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَومَ الْخَمِيسِ"[٣٦٠]، وفي رواية أخرى أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ "لَقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ إِلَّا يَومَ الْخَمِيسِ"[٣٦١]، فقد كان الرسول ﷺ عادةً ما يخرج للسفر متحيّنًا يوم الخميس، أما الأيام الأخرى نادرًا ما كان يخرج فيها.

---

(٣٥٩) سنن أبي داود، الجهاد، ٧٨.

(٣٦٠) صحيح البخاري، الجهاد، ١٠٣.

(٣٦١) صحيح البخاري، الجهاد، ١٠٣.

أمره ﷺ بالسفر ليلا

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**عَلَيكُمْ بِالدُّلْجَةِ**[٣٦٢]، **فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللّيلِ**"[٣٦٣].

لقد كان النبي ﷺ يعيش في شبه الجزيرة العربية التي يسودُها مناخٌ حارٌّ، ومن ثمّ كان يأمر قومه بالسفر ليلًا حتى يقيهم من أشعّة الشمس الحارة، وهذا الأمر سيمنحهم قطع مسافةٍ أطول ليلًا، لأن الجوّ حينها يكون باردًا رطبًا خلاف ما يكون عليه في أوقات النهار، وكما أن الجسد يكون أكثر نشاطًا وحيويّة.

وفي عصرنا الحاليّ يسافر الناس ليلًا، حيث يقضون وقت سفرهم نائمين مستريحين طوال الطريق، ولذا عندما يستيقظون في صباح اليوم التالي يقومون بعملهم كما يفعلون في باقي الأيام بكلّ نشاطٍ وحيويّةٍ، كما أنهم سيتجنّبون ازدحام النهار الذي قد يتسبّب في تأخيرهم عن العمل، وأما قوله ﷺ "**الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللّيلِ**"؛ فهو مجازيٌّ يقصد به: أن الطريق يكون سهلًا ومريحًا مع اعتدال الجوّ ليلًا.

دخوله ﷺ منزله نهارًا عند عودته من السفر

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ كَانَ لَا يَدْخُلُ إِلَّا غُدْوَةً أَو عَشِيَّةً"[٣٦٤].

كان النبي ﷺ عندما يعود من سفرٍ طويلٍ يتبع آدابًا وسلوكًا خاصًّا بذلك الزمان والمكان، فقد كان يُقيّم الوضع من حوله زمانًا ومكانًا وجغرافيًا تبعًا لظروف المناخ، ثم يأمر الناس بما يتماشى مع هذه الظروف، ومن

(٣٦٢) الدلجة: السير في الليل.

(٣٦٣) **سنن أبي داود**، الجهاد، ٥٧.

(٣٦٤) **صحيح البخاري**، العمرة، ١٥.

المعلوم أن شبه الجزيرة العربية تشتهِرُ بحرارةِ مناخها وإذا ما نظرنا جيّدًا إلى الأزمنة التي أمر النبيُّ ﷺ بالخروج فيها؛ نجد أنها أوقات توسط واعتدال المناخ وهي؛ الضحى والمغرب، فبعد شروق الشمس يخرج الناس إلى الأسواق من أجل تلبية احتياجات منازلهم بكلّ راحةٍ ويُسرٍ، ولهم أن يفعلوا ذلك أيضًا قبل حلول الليل وسكون الناس، أي قُبيلَ صلاة المغرب.

كما أن دخول المنزل بغتةً في الليل دون سابق خبرٍ مع القدرة على إخبار أهل البيت قد يتسبّب في إفزاعهم وترويعهم، ونحن نرى في عصرنا الحاليّ أن وسائل الاتصالات تتطوّر تدريجيًّا، ولذا فباستطاعتنا أن نخبرهم بموعد وصولِنا مسبقًا، عن طريق وسائل الاتصال مثل تليفون المنزل أو الهاتف المحمول أو الإنترنت وغيرها، وبذلك نكون قد جنبناهم القلق والفزع، وتلافينا وضعهم في موضعٍ حرجٍ.

٣- استراحته ﷺ أثناء السفر

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم قد نقلوا إلينا بإيجازٍ سلوكيّاته وأفعاله أثناء سفره من أكلٍ وشربٍ واستراحةٍ، كان الرسول ﷺ عندما يخرج للسفر ليلًا عادةً ما ينزل في مكانٍ ما ويستلقى ليستريح، فكان ينام على شقه الأيمن، أما إذا كان في الصباح فكان ينصب ذراعه ويضع رأسه على كفّه، وهي رقدةٌ للاستلقاء والاستراحة المؤقّتةِ ولا تصلح للنوم بشكلٍ مريحٍ تمامًا، ذاك أن الإنسان لا بدّ له أن يستلقي ويرقد بقامته فوق سرير ويضع تحت رأسه وسادةً حتى يستغرق في النوم تمامًا، وقد كان الرسول ﷺ يرقد هكذا في الصباح حتى لا تفوته الصلاة، فالإنسان لن يستغرق في سباتٍ عميقٍ إن رقد بهذا الشكل، ولذا كان يأخذ النبيّ ﷺ قسطًا من الراحةِ بتلك

الوضعية والهيئة حتى لا تفوته صلاة الفجر، فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ ''كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ فَعَرَّسَ بِلَيلٍ اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ''(٣٦٥).

٤- أمره ﷺ بأن يكون السفر في جماعة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ''**خَيرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ، وَخَيرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ**''(٣٦٦).

٥- السير أثناء السفر تبعًا للظروف المحيطة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''**إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنْ الْأَرْضِ وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ فَأَسْرِعُوا عَلَيهَا السَّيرَ وَإِذَا عَرَّسْتُمْ بِاللَّيلِ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهَوَامِّ بِاللَّيلِ**''(٣٦٧).

٦- تأخره ﷺ في المسير لمساعدة الضعفاء أثناء السفر:

كان الرسول ﷺ أثناء سفره يتأخر في المسير من أجل مساعدة الضعفاء ومساندتهم، وفي رواية أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: ''كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ فَيُزْجِي الضَّعِيفَ، وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُمْ''(٣٦٨)، أي إنه ﷺ كان يتأخر في المسير خلال أسفاره كلّها ليهتمّ بمن لا يستطيعون المسير على أقدامهم من القافلة، ولكي يدفع بالحيوانات الضعيفة ويساعد القافلة على مواصلة السير، وكان هناك من يصيبهم التعب لدرجة لا يستطيعون معها سوق حيواناتهم، فيُردفهم النبي ﷺ من خلفه على راحلته، ويوضح

(٣٦٥) صحيح مسلم، المساجد، ٣١٣.

(٣٦٦) سنن أبي داود، الجهاد، ٨١.

(٣٦٧) صحيح مسلم، الإمارة، ٥٤.

(٣٦٨) سنن أبي داود، الجهاد، ٩٤.

لنا النبي ﷺ بهذا التصرف أنه من الضروري الاهتمام بالضعفاء والعاجزين أثناء السفر.

٧- صلاة ركعتي شكرٍ عند العودة من السفر

عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ "...كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ..."[٣٦٩].

٨- أمره ﷺ بتعيين قائدٍ في السفر

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**"[٣٧٠]، لقد أكّد ديننا الحنيف على ضرورة التنظيم في كل عمل وضرورة الالتزام والانضباط في شتّى مراحل الحياة، فمن المهد إلى اللحد ومنذ انبثاق البذرة المجتمعيّة إلى أعلى المناصب، لا تقاعس عن ذلك ولا تقاعد، كما وبّخ واستنكر بشدّةٍ كلّ ما يؤدّي إلى فساد هذا النظام، أو يتسبّب في الفوضى والتشتُّت والتفكّك، وحثّ الناس على الاتّحاد والانتظام في كلّ شؤونهم، وبيّن لهم أن ذلك هو طرق الصلاح والرشاد ووسيلة الطمأنينة والرقيّ، فجاء قول النبيّ ﷺ "**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**" لَبِنَةً من لَبِنَات طريق الحضارة والتقدّم والرشاد.

وقد قال "**ثَلَاثَةٌ**" لأن الجماعة تبدأ من ثلاثة فما فوقها.

فالنظامُ ضرورةُ كلّ زمانٍ ومكان، وإذا نظرتَ إلى المجتمعات الفوضويّة تجدها لا تنفع البشريّة بشيءٍ قطّ، حتى إنهم إذا أرادوا القيام بشيءٍ لا يُفلحون، ولذا أمر النبيّ ﷺ الناسَ إن كانوا في جماعةٍ أن يختاروا من بينهم قائدًا قبل أن يخرجوا للسفر، فيتوجب على الجماعة -التي

---

(٣٦٩) **صحيح البخاري**، المغازي، ٨٠.

(٣٧٠) **سنن أبي داود**، الجهاد، ٨٠.

تخرج في سفرٍ- أن تكون منظّمة ومرتّبة وتابعةً لقيادةٍ مركزيّة، وأن تضع لنفسها وفق ذلك خطّةَ سيرٍ تتحرّك من خلالها.

٩- أمره ﷺ بالعودة من السفر إلى المنزل مباشرةً

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنْ الْعَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَومَهُ فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ**"(٣٧١).

ب. السلوكيات التي نهى عنها ﷺ أثناء السفر

١- العودة إلى المنزل فجاءة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَطَالَ الرَّجُلُ الْغَيبَةَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ طُرُوقًا"(٣٧٢)، وفي رواية أخرى عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أيضًا قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيلًا، يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ"(٣٧٣)، لقد نهى الرسول ﷺ عن العودة إلى المنزل من السفر بغتةً دون سابق إخبارٍ وإشعار، خاصةً وإن كان بعدَ سفرٍ طويلٍ، ولقد كان المسافرون قديمًا لا يستطيعون إخبار أهليهم بموعد وصولهم لعدم توفُّر وسائل الاتّصال كالهواتف والتلغراف وغيرها، ولذا أمر النبيّ ﷺ أصحابه بأن يعودوا من سفرهم إلى منازلهم نهارًا تجنّبًا للمواقف السيّئة.

٢- تفرّق المسافرين عن بعضهم أثناء الاستراحة

وقد نهى الرسول ﷺ المسافرين عن التَّشَتُّتِ والتشرذُمِ وقتَ الاستراحة أثناء السفر، فعن أَبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا

(٣٧١) صحيح البخاري، العمرة، ١٩.

(٣٧٢) صحيح مسلم، الإمارة، ١٨٣.

(٣٧٣) صحيح مسلم، الصيد، ١٨٤.

تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ، إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيطَانِ**، فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بُسِطَ عَلَيهِمْ ثَوبٌ لَعَمَّهُمْ"[٣٧٤].

فقد نهى النبيّ ﷺ عن التفرُّق والتشرذُم أثناء الاستراحة في طريق السفر، وذلك بغيةَ المحافظةِ على الوحدة والاتّحاد والنظام بين الجماعة، وسدِّ الذرائع أمام التفرقة وبَذْرِ بذور الفتنة بين الناس.

٣- السفر منفردًا

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**لَو يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيلٍ وَحْدَهُ**"[٣٧٥].

إن سفرَ المرْءِ مُنفردًا محذورٌ سواء كان قديمًا أوحديثًا في وقتنا الحاليّ، وسواء كان سيرًا على الأقدام أو بوسيلةِ نقلٍ، فالإنسان في كِلا الحالين عُرضَةٌ للتهلكة والمخاطر، فقد تتعطّل السيّارةُ في مكانٍ قفرٍ مهجورٍ، وقد يتعرّض لقطّاع الطرق من العصابات وغيرها، وفي روايةٍ عن عمرو بن شعيبٍ عن أبيه عن جدّه رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**الرَّاكِبُ شَيطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ**"[٣٧٦].

وفي الحديث الشريف تشبيه يقصد به أن "من يطع الشيطان، فهو يُشبهه"، فالشيطان دائمًا يُزين السوء ويُجمله، ولذا لا يأمن من شرِّه من يسافر بمفرده أو بصحبةِ شخصٍ واحدٍ فقط، ولذلك حثّ النبيّ الناس على السفر جماعةً -وأقلُّ الجماعةِ ثلاثةٌ- لأنّ الجماعةَ تتكاتفُ مع

(٣٧٤) سنن أبي داود، الجهاد، ٨٨.

(٣٧٥) صحيح البخاري، الجهاد، ١٣٥

(٣٧٦) سنن أبي داود، الجهاد، ٧٩.

بعضها في مواجهة الشرور ولا ترضخُ أو تُنصِتُ لوسوسات الشيطان، وذلك يوضّح أن من عناصر عقوبة الشيطان انخراط الأفراد في الجماعة، لأن الفردَ يُخطِئُ بمفرده لكنّه يخجل من ارتكاب الحماقات مع الجماعة وهذا هو تأثير الجماعة على الفرد، وإذا ما أدرك الناس ذلك سيترابطون دائمًا ويتماسكون فيما بين بعضهم البعض، إلى أن يُصبِحوا أقوياء أمام عدوّهم المشترك، وهذا سيكشف عن آليّة الدفاع بداخلهم.

ولا يقصد النبيّ ﷺ هنا أنّ كلَّ مَن سافرَ بمفرده يكون شيطانًا، لا ... بل هناك الكثير من الناس من ذوي الأخلاق الحميدة والسجيّة الحسنة، سافروا فرادى لكنّ الشيطان يتجوّل بمفرده ويحاول السيطرة والتأثير على مَن يتجوّلون بمفردهم، ومن هنا جاء التشبيه بين الشيطان وبين المنفرد في سفره، ولا يطّرد التشبيه على الجميع بل يُغلّب عليهم.

وأخيرًا، نستطيع تلخيص آداب السفر بما يلي:

١- يجب تقديم النصيحة للمسافر والدعاء له.

٢- ومحاولة الخروج إلى السفر يوم الخميس قدر المستطاع.

٣- أن يتجنّب المرء السفر بمفرده قدر المستطاع.

٤- التعوذ بالله من البلايا والمصائب التي قد تعترضنا في سفرنا.

٥- الدعاء عند ركوب وسيلة النقل والتكبير والتسبيح.

٦- الاهتمام بالضعفاء والمحتاجين ومساعدتهم أثناء السفر.

٧- عدم التفرّق والابتعادِ عن الجماعة ساعةَ الاستراحة في الطريق.

٨- الدعاء عند العودة من السفر، وصلاة ركعتي شكر.

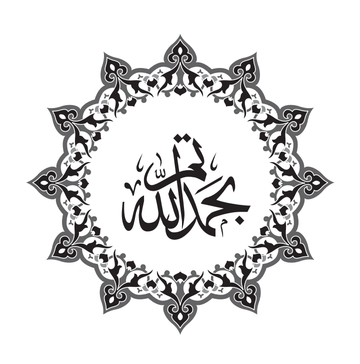
٩- عـدم العـودة إلـى المنزل بغتةً بعد السـفر خصوصًـا في الأوقات المتأخرة ليلًا.

١٠- محاولةُ ابتداء السفر الطويلِ ليلًا.

١١- اختيار قائدٍ للمجموعة المسافرةِ، وذلك درءًا للفوضى.

١٢- إذا اضطرّ الإنسان إلى السفر نهارًا فعليه أن يُبكّر قدر المستطاع.

١٣- مراعاة العودة من السفر إلى المنزل مباشرةً.



المصادر والمراجع

- **أبـو داود**، سـليمان بـن الأشـعث بن إسـحاق بن بشـير بن شـداد بن عمـرو الأزدي السِّجِسْـتاني (ت: ٢٧٥هـ)؛ **سـنن أبي داود**؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد؛ المكتبة العصرية، صيدا - بيروت؛ ١-٤.
- **أبو يعلى**، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسـى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)؛ **المسـند**؛ تحقيق: حسـين سـليم أسـد؛ دار المأمون للتراث، دمشق، ١-١٣، الطبعة الثانية، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- **أبو الفضل العراقي**، أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسـين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: ٨٠٦هـ)؛ **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، فـي تخريج مـا في الإحياء من الأخبار** والمطبوع بهامش إحيـاء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- **ابـن أبـي شـيبة**، أبو بكر بـن أبي شـيبة، عبد الله بن محمـد بن إبراهيم بـن عثمان بن خواسـتي العبسـي (ت: ٢٣٥هـ)؛ **المصنـف فـي الأحاديـث والآثار**؛ تحقيـق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).
- **ابـن إسـحاق**، محمد بن إسـحاق بن يسـار المطلبـي بالولاء، المدنـي (ت: ١٥١هـ)؛ **المغازي**؛ تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
- **ابـن الأثير**، أبو الحسـن علي بـن أبي الكرم محمد بن محمد بـن عبد الكريم بن عبد الواحـد الشـيباني الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ)؛ **أسـد الغابـة في معرفة الصحابة**؛ تحقيـق: علـي محمد البجـاوي؛ دار الكتـب العلمية، بيـروت، ١-٨، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- **ابـن حبـان**، محمـد بن حبان بن أحمد بن حبـان بن معاذ بن مَعْبـدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)؛ **صحيح ابن حبان**؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ مؤسسة الرسالة، ١-١٨، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

- **ابـن حجـر**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسـقلاني (ت: ٨٥٢هـ)؛ **الإصابة في تمييز الصحابة**؛ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١-٨، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).
- **ابن كثير**، أبو الفداء إسـماعيل بن عمر بن كثير القرشـي البصري ثم الدمشـقي (ت: ٧٧٤هـ)؛ **البداية والنهاية**؛ دار الفكر، ١-١٥، (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
- **ابـن ماجـه**، أبـو عبـد الله محمد بن يزيـد القزوينـي، (ت: ٢٧٣هـ)؛ **سـنن ابـن ماجه** (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٦)؛ دار السلام، الرياض.
- **ابن سـعد**، أبو عبد الله محمد بن سـعد بن منيـع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)؛ **الطبقات الكبرى**؛ تحقيق: محمد عبد القادر عطا؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١-٨، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- **أحمـد بـن حنبـل**، أحمد بـن حنبل أبـو عبدالله الشـيباني؛ **المسـند**؛ تحقيق: شـعيب الأرنـؤوط - عـادل مرشـد، وآخـرون؛ مؤسسـة الرسـالة، ١-٤٥، الطبعـة الأولـى، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- **الإمـام مالـك**، مالـك بن أنس بن مالـك بن عامـر الأصبحي المدنـي (ت: ١٧٩هـ)؛ **الموطـأ**؛ تحقيـق: محمـد مصطفـى الأعظمي؛ مؤسسـة زايد بـن سـلطان آل نهيان، أبو ظبي، الإمارات، ١-٨، الطبعة الأولى، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- **بديع الزمان سـعيد النُّورْسِـي** (ت: ١٩٦٠م)؛ من كليات رسـائل النور: **اللمعات**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- **البـزار**، أبـو بكـر أحمد بن عمرو بن عبـد الخالق بن خلاد بن عبيـد الله العتكي (ت: ٢٩٢هـ)؛ **المسـند**؛ تحقيق: عبد القادر عرفات، ١-٣، مؤسسـة علوم القرآن، بيروت، المدينة (١٤٠٩هـ).
- **البيهقي**، أحمد بن الحسـين بن علي بن موسـى الخُسْـرَوْجِردي الخراسـاني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)؛ **شعب الإيمان**؛ تحقيق: محمد السيد بسيوني زغول، ١-٩، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٠م).
- ـــــــ؛ السنن الكبرى؛ تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الثالثة، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- **البخـاري**، محمـد بن إسـماعيل أبو عبدالله البخـاري الجعفـي (ت: ٢٥٦هـ/٨٧٠م)؛ **صحيح البخاري** (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-١)؛ دار السلام، الرياض.
- ـــــــ؛ **الأدب المفـرد**؛ تحقيـق: محمـد ناصـر الديـن الألباني؛ دار الصديق للنشـر والتوزيـع، الطبعة: الرابعة، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

- **الدارمـي**، أبـو محمـد عبد الله بـن عبد الرحمن بـن الفضل بن بَهرام بـن عبد الصمد الدارمي، التميمي السـمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)؛ **مسند الدارمي (سنن الدارمي)**؛ تحقيق: حسـين سليم أسد الداراني؛ دار المغني للنشـر والتوزيـع، المملكة العربية السعودية، ١-٤، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- **الدينـوري**، أبـو بكر أحمـد بن مـروان الدينوري المالكـي (ت: ٣٣٣هـ)؛ **المجالسـة وجواهر العلم**؛ تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت لبنان، (١٤١٩هـ).
- **الحاكـم**، أبـو عبـد الله الحاكم محمد بن عبـد الله بن محمد بن حمدويـه بن نُعيم بن الحكـم الضبـي الطهماني النيسـابوري (ت: ٤٠٥هـ)؛ **المسـتدرك علـى الصحيحين**؛ تحقيـق: مصطفـى عبد القادر عطا؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١-٤، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ/١٩٩٠م).
- **الطبرانـي**، سـليمان بن أحمـد بن أيوب بن مطير اللخمي الشـامي، أبو القاسـم (ت: ٣٦٠هـ)؛ **المعجـم الكبير**؛ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السـلفي؛ مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١-٢٥، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- ـــــــ؛ **المعجم الأوسـط**؛ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسـن بن إبراهيم الحسيني؛ دار الحرمين، القاهرة.
- **مسـلم**، مسـلم بن الحجاج أبو الحسـن القشيري النيسـابوري (ت: ٢٦١هـ)؛ **صحيح مسلم** (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٢)؛ دار السلام، الرياض.
- معمر بن راشـد، معمر بن أبي عمرو راشـد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، (ت: ١٥٣ هـ)؛ تحقيـق: حبيـب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسـلامي، بيـروت، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).
- **نور الدين الحلبي**، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت: ١٠٤٤هـ)؛ **السـيرة الحلبية (إنسـان العيون) في سـيرة الأمين المأمون**؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١-٣، الطبعة الثانية، (١٤٢٧هـ).
- **النسـائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شـعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ)؛ **السنن الكبرى**؛ تحقيق: حسـن عبد المنعم شـلبي؛ مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١-١٠، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- **القاضي عياض**، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)؛ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ١-٢، القاهرة، (٢٠٠٤م).
- **الراغـب الأصفهاني**، أبو القاسـم الحسـين بن محمد المعـروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)؛ **المفردات في غريب القرآن**، بيروت، (١٩٩٢م).

- **الترمذي**، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت: ٢٧٩هـ)؛ **سنن الترمذي**؛ تحقيق: أحمد محمد شاكر؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١-٥.
- ـــــــ؛ **الشمائل المحمدية**، بيروت، (١٩٩٢م).
- **الخطابـي**، أبـو سـليمان حمد بن محمـد بن إبراهيم بـن الخطاب البسـتي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)؛ **معالم السنن**، دار الكتب العلمية، ١-٤، بيروت، (١٩٩٦م).